عاطف السيد

من سيناء إلى كامب ديفيد

١٩٦٧ - ١٩٧٩

١٩٨٧/١٩٨٨

عاطف السيد

من سيناء إلى كامب ديفيد

١٩٦٧ - ١٩٧٩

١٩٨٧/١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سيظل الصراع العربى الاسرائيلى لفترة طويلة قادمة محور الاهتمام الرئيسى فى العالم العربى ، وستظل اسرائيل احد العوامل الأساسية فى التفاعلات الحادثة فى النظام الاقليمى العربى لارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة الأمريكية . ذلك الارتباط الذى ينهض على مجموعة من الدعائم اهمها الاعتبارات الاستراتيجية ، التى تتمثل فى تشابه كل من المصالح الأمريكية والاسرائيلية فى الشرق الأوسط ، بالاضافة الى نجاح اسرائيل الفائق فى اقتناع الولايات المتحدة بوجود وحدة فى المصالح المشتركة . وتحت هذه الدعوى تمارس اسرائيل سياستها التوسعية العدوانية ضد العالم العربى .

ومن هنا تأتى اهمية هذا الكتاب ، الذى يتناول فترة زمنية تمتد الى اثنتى عشرة سنة فيما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٩ ، مكملا بذلك كتاب « القرارات المصيرية والاسرار الخفية فى الصراع العربى الاسرائيلى » الذى يعالج الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٧ .

وغنى عن القول أن القيادات العربية قد أخفقت تماما فى التخطيط الاستراتيجى السياسى والعسكرى وادارة الصراع مع اسرائيل فى الفترة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٧ .

وتمثل الهزيمة القاسية فى يونيو ١٩٦٧ ذروة الاخفاق العربى ، ومرد ذلك الى التخلف الحضارى والأمراض السياسية والاجتماعية المزمنة التى استشرت فى الجسد العربى .

وانتشرت بذور الهزيمة المرة فى كل شبر من الأرض العربية ، غير أن مصر بدأت تستوعب درس النكسة ، واخذت تخطط لجولة قادمة مع

اسرائيل على أساس علمى ، وهى فى نفس الوقت لم تخضع لارادة العدو فى فرض الهدوء على جبهة القتال . فشنت حرب استنزاف ضارية ، الا أنها لم تحسن ضبط الايقاع على سلم تصعيد الحرب .

ثم استنفدت تلك الحرب أغراضها ، وكان لابد من جولة حاسمة مع العدو ، فكانت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، التى تعتبر أول تحول كيفى حقيقى فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى . فقد شهد العرب بأنفسهم قيمة التضامن والتعاون والتنسيق فيما بينهم . وقد جنوا ثمارها وانعكست عليهم آثارها فى شتى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية .

وقد برز — بوجه خاص — دور المملكة العربية السعودية بقيادة الراحل العظيم الملك فيصل بن عبد العزيز فى دعم دولتى المواجهة — مصر وسوريا — ، كما أسهمت اسهاما فعالا فى توثيق عرى التضامن العربى ، ووضعت ثروتها النفطية فى خدمة القضية العربية .

بيد ان هذا التضامن لم يستمر طويلا فقد سعى انور السادات ، فى أعقاب اتفاقية فصل القوات الأولى على الجبهة المصرية ، الى الدول النفطية وبخاصة المملكة العربية السعودية لرفع الحظر عن النفط — استرضاء للولايات المتحدة الأمريكية — دون أن يحقق قرار الحظر أهدافه ، غير أن الملك فيصل لم يوافق الا بعد تحقيق فصل للقوات على الجبهة السورية .

ثم أحدثت اتفاقية فض الاشتباك الثانية مع اسرائيل فى سبتمبر سنة ١٩٧٥ شرخا فى صرح التضامن ، الذى تحول الى صدع هائل بعد توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية . لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تجتمع فيها كلمة العرب ويلتئم شملهم فى التاريخ المعاصر ، ولكن أنور السادات لم يغتنم الفرصة ، ومن ثم فقد أخفق فى استثمار أهم نتائج حرب أكتوبر .

وفى ظل التفكك العربى وعزل مصر وانشغال العراق بالحرب مع ايران وتركيز سوريا معظم طاقاتها فى لبنان ، فقد أخذت اسرائيل تصول

وتجول فى المنطقة العربية ، وهى فى عربدتها تثخن الجراح فى الجسد العربى الواهن .

فقد ضمت القدس الشرقية والجولان ، ودمرت المفاعل النووى العراقى ، وغزت لبنان ، ودمرت مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس ، ولم تجرؤ دولة عربية واحدة على التصدى لمغامراتها بعد ان سرت فى القيادات العربية سموم الذل والهوان .

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

يتناول الفصل الأول « نتائج واثار حرب يونيو ١٩٦٧ » .

وترجع أهمية هذا الفصل الى انه بسط النتائج السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية لحرب يونيو ١٩٦٧ ، ثم الاثار السياسية على المستوى العالمى والعربى والمحلى وانعكاسانها على المجتمع العربى . كما عرض لأثار الحرب على الاقتصاد المصرى ، الذى يمر منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بفترة انكماش وبطء فى النمو . ثم انتقل الى التركيز على العلاقات العربية بعد حرب يونيو وانحسار الزعامة الناصرية ، وموقف الاتحاد السوفييتى من العرب ، ثم موقف الدول العربية من قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

ويتضمن الفصل الثانى « تطور الأوضاع السياسية والعسكرية » سياسة مصر الخارجية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، حيث فقدت مصر التوازن الذى طالما احتفظت به بين القوتين العظميين . فهى من ناحية انجذبت انجذابا شديدا الى الاتحاد السوفيتى ، بينما نافرت تنافرا شديدا مع الولايات المتحدة الامريكية من الناحية الأخرى . ثم يبين اسباب اهتزاز العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ابتداء من مايو سنة ١٩٧١ ، ويفصل الموقف الأمريكى المنحاز الى اسرائيل . كما انه يولى اهتماما بتطور السياسة الخارجية المصرية من بداية عهد السادات الى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ويتناول بالشرح تطور الأوضاع العسكرية وحرب الاستنزاف واثارها .

ويشمل الفصل الثالث « حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ » ، صنع قرار

الحرب ، والاعداد السياسى والعسكرى لتنفيذه ، متناولا خطط الحرب بالدراسة والتحليل ، وحجم القوات المتصارعة ، وسير العمليات الحربية وما اكتنفها من نجاح واخفاق ، كذلك ما تمخضت عنه الحرب من نتائج وآثار فى شتى المجالات .

أما الفصل الرابع « محاولات الحل » فتناول اتفاقيات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية والموقف العربى فى أعقابها . ثم يبرز مبادرة السادات بزيارة القدس ، مبينا أسباب الرحلة من وجهة النظر المصرية والتصور الاسرائيلى لها وأسبابه . ويهتم كذلك ببيان أثر مبادرة السادات فى العالم العربى وما أثارته من انتقادات عنيفة وردود فعل غاضبة .

ولما كانت مصر قد توصلت الى اتفاق مع اسرائيل ، فقد كان لابد أن أخصص فصلا لدراسة هذا الاتفاق عنوانه « الاتفاق المصرى الاسرائيلى وآثاره » . وقد تناولت فيه نصوص اتفاقيتى كامب ديفيد ونصوص معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، محللا موادها ومبينا آثارها على المنطقة العربية .

واذا كانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ قدمت رؤية جديدة لمغزى وحدة العمل والتضامن العربى ، فقد طمس ذلك الاتفاق معالم الرؤية واجهض قيمة التضامن وفتت وحدة العمل العربى .

وقد افادت الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل من التصدعات العربية وعملتا على تعميقها لتقويض الكيان العربى والعربدة فى المنطقة العربية دون حساب . كما ترتب على معاهدة السلام تحطيم التزامات مصر العربية ، اذ اكدت المادة السادسة من المعاهدة :

انه فى حالة تعارض الالتزامات السابقة لأى طرف مع الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة .

واغتنمت الولايات المتحدة الفرصة ـ بعد انفراط عقد التضامن العربى ـ لتزيد من تأييدها لاسرائيل واستهانتها بالأمة العربية .

وقد ورث الرئيس حسنى مبارك هذه الأوضاع القاتمة ، الا أنه لم يركن اليها ، بل انه يسعى بدأب الى تخفيف القيود والالتزامات الموروثة بما يحمى ارادة مصر وعروبة مصر والتزامات مصر العربية . لقد عادت مصر تبنى من جديد علاقاتها العربية وبدأت حوارا مع معظم القادة العرب، لقى فى نفوسهم استجابة واعية ورغبة مخلصة ، وأصبح الأشقاء العرب هم الأولى بالرعاية بدلا من اسرائيل ، كما أصبحت مصالح مصر العليا هى الأولى بالرعاية فى منظور السياسة الخارجية المصرية .

وآمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت فى تجلية بعض جوانب هذه الفترة الهامة من الصراع العربى الاسرائيلى .

والله الموفق

عاطف السيد

يونيه ١٩٨٧

الفصل الأول

نتائج وآثار حرب يونيو ١٩٦٧

نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ :

كانت القيادة السياسية المصرية تعرف تماما الأهداف الاستعمارية والصهيونية فى المنطقة العربية ، ولكن لم يغن علمها عنها شيئا ، اذ اعطت اسرائيل الذريعة لشن العدوان فى صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، فى الوقت الذى لم نكن فيه مستعدين لصد العدوان ودحره .

وقد أفضت حرب يونيو ١٩٦٧ الى نتائج خطيرة ذات آثار مدمرة على مستقبل العالم العربى . فعلى المستوى السياسى ، بدا لاسرائيل ان الأمة العربية التى اذهلتها الهزيمة لابد أن ينتهى الأمر بها الى الاستسلام ، غير أن الشعب العربى اخذ يفيق من هول الصدمة وبدأ يعيد تنظيم صفوفه لمواجهة الأوضاع الجديدة .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد أصبحت المبادأة السياسية فى منطقة الشرق الأوسط فى جانب اسرائيل ، كما بقى وجودها فى الأراضى العربية المحتلة عنصرا من عناصر الضغط العسكرى والمساومة السياسية . كذلك فقد استطاعت اسرائيل الحصول على تأييد جزء هام من الرأى العام العالمى بعد أن نجحت فى ابراز قضيتها على أنها دفاع عن وجود ضد محاولة لتدمير هذا الوجود .

وعلى المستوى العربى ، فقد برزت ضرورة توحيد الجهود والعودة الى العمل الجماعى العربى ، فانعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم فى التاسع والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٧ . وقد تقرر فى هذا المؤتمر أن تدعم السعودية والكويت وليبيا اقتصاديا الدول العربية التى داهمها العدوان حتى « ازالة آثار العدوان » . وقد تكشف مؤتمر الخرطوم عن أن القاهرة لم تعد بعد العاصمة الأولى فى صنع المصير العربى .

أما بالنسبة لمجموعة عدم الانحياز ، فقد فقدت مصر خلال السنوات التى أعقبت حرب يونيو كثيرا من تأثيرها داخل هذه المجموعة ، كما خفت موازين مصر فى الدائرة الأفريقية ، وعلى الرغم من وقوع العدوان الاسرائيلى على دولة أفريقية هى مصر ، فلم تقطع سوى دولة افريقية واحدة هى غينيا علاقاتها باسرائيل .

أما على المستوى العالمى ، فقد اكتملت القطيعة التامة فى العلاقات المصرية الأمريكية ، بعد أن اتهم جمال عبد الناصر الولايات المتحدة بالتواطؤ مع اسرائيل . وقد تجسدت تلك القطيعة فى صورة قطع العلاقات الدبلوماسية وترحيل جميع الأمريكيين عن مصر . وترسمت خطى عبد الناصر عدة دول عربية ، كما قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية ببريطانيا والمانيا الغربية ، غير أن هذا الاختلال فى العلاقات الدبلوماسية لم يكن فى صالح مصر ، فقد كان البديل المتاح هو توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى لدرجة أجبرت مصر على الارتماء فى أحضانه .

وعلى المستوى الاقتصادى ، فقد سددت الحرب الى الاقتصاد المصرى ضربة شديدة أفضت الى خسائر جسيمة . وتشمل هذه الخسائر ضمن ما تشمل ، دخل قناة السويس بعد تعطيل الملاحة فيها ، وقد كانت من أهم مصادر النقد الأجنبى (١١٠ مليون جنيه) . وامتد تأثير غلق القناة الى ميناء عدن فركد النشاط الاقتصادى فيه وفقد كثير من العمال عملهم . هذا بالاضافة الى حرمان مصر من ايرادات بترول سيناء ، والدخل السياحى بسبب ظروف الهزيمة والاستعداد للحرب ، الى جانب الخسائر فى الأسلحة والمعدات والمنشآت العسكرية .

كما كانت المدن والمناطق المأهولة بالسكان ، والمنشآت الصناعية الواقعة على مقربة من القوات الاسرائيلية ، هدفا لانتقامها وطعما لنيرانها . وقد توقف الانتاج فى بعض المنشآت الاقتصادية التى استهدفها العدو مما ادى الى زياده الأعباء الاقتصادية للدولة .

كما كانت للحرب نتائج ضارة بالاقتصاد الأردنى ، فقد خسر الأردن الضفة الغربية ، اهم مناطقه الانتاجية ، وأعلن الملك حسين ان نصف بلاده قد تهدم وأن بلاده لن تلبث ان تنهار تماما .

وعلى الجانب الآخر ، فقد كانت للحرب نتائج ايجابية على اقتصاد اسرائيل . ففى خـلال الفترة من عـام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٧ بلغ معدل التوسع الاقليمى ٦٫٧٪ مما أتاح للاقتصاد الاسرائيلى فرص اسـتغلال موارد طبيعية وبشرية جديدة .

لقد استفادت اسرائيل من القوى البشرية فى الضفة الغربية وقطاع غزة بالعمل فى المشروعات ومجالات الاقتصاد الاسرائيلى كمنتجين ، كما استفادت منهم كمستهلكين يمثلون اتساعا أفقيا فى حجم السـوق أمام المنتجات الاسرائيلية .

هذا بالاضافة الى استغلالها الموارد الطبيعية فى الأراضى المحتـلة لاسيما البترول والنحاس ، وزيادة دخلها من السياحة نتيجـة احتلالها الاماكن المقدسة وسيناء ، والمكاسب التى حققتها من بيع الأسلحة العربية المستولى عليها . كذلك فقد استفادت اسرائيل من زيادة المنح والمساعدات الاجنبية والقروض ، ففى عام ١٩٦٧ بلغت مبيعات سندات اسرائيل فى الخارج ٢١٧٫٥ مليون دولار بينما كانت فى العام السابق ٩٠٫٩ مليـون دولار وفى العام اللاحق ١٣٠٫٥ مليون دولار .

وقد نتج عن ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة ، توطد علاقات اسرائيل الاقتصادية ببعض دول أفريقيا وآسيا عبر البحر الأحمر ، اذ أنها اغتنمت الفرصة بعد انتصارها وزيادة وزنها فى نظر بعض الدول الأفريقية وتبنت حركة تصدير واسعة للسلع والخبرات الفنية والبشرية فضلا عن حركة استيراد المواد الخام الأفريقية رخيصة الثمن التى يسهل نقلها عبر البحر الأحمر .

واذا انتقلنا الى النتائج العسكرية لروعتنا ضخامتها ، فقد تمكنت اسرائيل من هزيمة ثلاثة جيوش عربية وتدمير القسم الأكبر من أسلحتها ومعداتها ، واستولت على شبه جزيرة سيناء والضـفة الغربية لنهـر الأردن ومرتفعات الجولان السورية ، ونجحت فى أن توجه الى قواتنـا الضربة التى طالما استعدت لتوجيهها وبلغت فى ذلك درجة من النجـاح فاقت كل أحـلامها .

وقد أعلنت المصادر الرسمية المصرية أن مصر خسرت فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، ألفا وخمسمائة ضابط شهيد ، عشرة آلاف جندى شهيد بالاضافة الى خمسمائة ضابط أسير ، وخمسة آلاف جندى أسير ، بينما أعلن الاسرائيليون أنهم خسروا ٢٧٥ قتيلا ، و ٨٠٠ جريح فى جبهة سيناء .

وبالنسبة الى الخسائر المادية ، فقد أعلنت مصر عن تدمير ٨٠٪ من الأسلحة والمعدات ، كما كشفت التحقيقات التى جرت فى أعقاب النكسة العسكرية مع قادة القوات الجوية المصرية عن انه لم يتبق من المقاتلات والمقاتلات القاذفة بعد الضربة الجوية الاسرائيلية سوى ٦٤ طائرة من ٢٠١ طائرة كانت صالحة للقتال ، على حين أعلنت اسرائيل انها خسرت ٢٠ طائرة مقاتلة قاذفة فى الضربة الجوية المركزة ، ٦١ دبابة فى القتال فى جبهة سيناء .

أما من الناحية الاستراتيجية فقد حقق احتلال اسرائيل الأراضى العربية أهم جوانب أمنها اذ توافرت لها حدود طبيعية وشكل جغرافى مناسب وعمق استراتيجى كاف الى حد بعيد بعد أن احتلت خطوطا تمر فوق موانع طبيعية مناسبة ، كما اتسعت جبهة اسرائيل وتعددت منافذها الاستراتيجية بزيادة نشاطاتها المختلفة مع الدول الأفريقية والأسيوية .

وقد أدى وصول العدو الى قناة السويس على الجبهة المصرية ومرتفعات الجولان السورية على الجبهة السورية ونهر الأردن على الجبهة الأردنية الى تقليص العمق الاستراتيجى العربى ، كما شكلت هذه الموانع عقبة أمام القوات العربية عندما اتيحت لها الظروف للتحول الى الهجوم المسلح .

وقد اثبتت الحرب أن التفوق البشرى والاقليمى للقوى العربية لا يستخدم بطريقة فعالة ، لذلك برزت أهمية توحيد القوى العربية الثورية فى جميع البلاد العربية فى الجبهة المعادية للصهيونية والاستعمار ، وعدم اثارة معارك فرعية جانبية تعرقل أو تبدد جهودها المشتركة .

آثار نكسـة يونيـو ١٩٦٧

الآثار السياسية وانعكاساتها على المجتمع العربى :

كانت لحرب يونيو ١٩٦٧ اصداء بعيدة المدى لدى الراى العـالم العالمى ، ففى الولايات المتحدة كان الراى العام اكثر تعاطفا مع اسرائيل ، كما كانت القيادات الحزبيـة ومعظم الكونجرس — غالبا — اشـد تحيزا لاسرائيل من البيت الأبيض . وفى غرب أوروبا كان صدى حرب يونيو فى فرنسا أكثر وضوحا منه فى بريطانيا ، ذلك لأن الحكومة البريطانية كانت تنسق سياستها مع الولايات المتحدة . وقد كانت الحكومة الفرنسية اسبق الى فهم الحقائق من غيرها ، وقد تعرض الجنرال ديجول بسبب موقفـه الحيادى وانتقاده اسرائيل لبدئها بالعدوان لحملة مضادة اثرت فيما بعـد على مركز حكومته ، كما كان الاشتراكيون اشد تعاطفا وتأييدا لاسرائيل من غيرهم . اما دول وسط اوروبا والدول الصغيرة بصفة عامة فقـد كانت اميل الى اسرائيل لعدم وجود مصالح اقتصادية هامة لها فى العالم العربى ولقلة اتصالاتها الخارجية . وقد تمثل موقف الاتحاد السوفييتى ودول اوروبا الشرقية فى الدعوة الى ايجاد حل سلمى للصراع العربى الاسرائيلى وتقديم المساعدة والعون الى مصر وسوريا .

على حين اكتسبت اسرائيل فى الدول الأفريقية نفوذا قويا بعد أن فقـد العرب كثيرا من وزنهم السياسى ومكانتهم الدولية . وقد اسـتغلت اسرائيل هذه الفرصة لاستقطاب الراى العـالم الأفريقى ومحاولة طمس القضـية العربية ، وحققت اسرائيل بعض النجـاح حيث تراخت الدول الافريقية ازاء القضية العربية . وقـد بدا ذلك فى اتخاذ الكثير من الدول الافريقية مواقف اقل تاييدا للجانب العربى ادت الى منع الجمعية العـامة للأمم المتحده فى دورتها الطارئة عام ١٩٦٧ من اتخاذ قرار بشأن الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة مما شكل صدمة للجانب العربى .

وعلى الجانب الآخر فقد اختفت صـورة اسرائيل باعتبارها قطرا صغيرا محاطا بجيران أقوياء يوشكون على التهامه .

اما على الصعيد العربى ، فقـد اساءت تلك الهزيمة القاسية الى العرب بصـفة عامة ومصر بصـفة خاصة باعتبارها عاصـمة العـرب

استراتيجيا والقوة الوطنية الأولى التى يقع عليها عبء الدفاع عن العالم العربى . وقد وجد العرب فى الهزيمة التى حاقت بهم ، الدليل على عجزهم عن الصمود فى حرب حديثة ، كما أدت حرب يونيو الى تفاقم الانقسامات فى العالم العربى خاصة فى أعقاب صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، كما توالت الانقسامات داخل القطر العربى الواحد ، كذلك احتجبت قضية فلسطين وفترت دعوة القومية العربية .

وفى مصر اغتنم جمال عبد الناصر الفرصة وزاد من سلطاته حيث جمع بين رياسة الجمهورية ورياسة الوزارة وامانة الاتحـــاد الاشتراكى ، كما استرد سيطرته على الجيش ، وقد دخل فى روع عبد الناصر ان هناك املا فى تغيير مجرى الحوادث بعد ان جمع عناصر القوة فى يده .

القى جمال عبد الناصر بتبعية الهزيمة على القيادة العسكرية متناسيا أنه هو الذى اثار الأزمة السياسية العسكرية الى درجة المواجهة المسلحة مع اسرائيل على الرغم من أنه كان يعلم الحقائق المرة عن القوات المسلحة المصرية بعد أن انعكست عليها الآثار الضارة لحرب اليمن .

ولم يكن الرأى العام المصرى يدرك تماما ابعاد الهزيمة عندما وقعت . ولكنه استفاق بعد أن بدأت الأمور تتضح أمامه خاصة بعد الجـــدل الذى اثير فى محاكمات العسكريين الذين نسبت اليهم مسئولية الهزيمة ، ثم مفاجأة الرأى العام بصدور الأحكام المخففة عليهم مما اثار الريبة وجعل الناس يدركون أن هناك مسئولين كبارا عن الهزيمة ، وأن الذين قدموا الى المحاكمة ليسوا سوى ستار زائف ، فانطلقت المظاهرات فى فبراير عام ١٩٦٨ من مصانع حلوان وامتدت الى فئات اخرى . فخرج طلبة جامعة عين شمس فى مظاهرات صـــاخبة تندد بفســـاد النظـــام الناصرى وتعلن مســـئولية عبد الناصر عن الهزيمة « لا صـــدقى ولا الغـــول(١) ، عبـــد الناصر هو المسئول » ، ودوت هتافات الطلبة مطالبة بالتغيير واطلاق الحريات .

---

(١) هما الفريق أول طيار محمـــد صـــدقى محمود قائد القوات الجوية المصرية ، واللواء صدقى عوض الغـــول قائد الفرقة الرابعة المدرعة فى حرب يونيو ١٩٦٧ .

وقد استطاع عبد الناصر ، بواسطة قوات الأمن ، أن يفض تلك المظاهرات ، غير انه كان يدرك تماما أن النار مازالت تحت الرماد ، وكان لابد من فعل شيء يمتص ثورة الجماهير حتى اهتدى هو ومستشاروه الى اصدار بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ .

أصدر عبد الناصر بيان ٣٠ مارس كمخدر طويل المفعول للرأى العام فى مصر ، ولكن خاب ظنه بعد أن تجددت المظاهرات فى نوفمبر ١٩٦٨ . وبدأت هذه المرة من المنصورة ، ثم انطلقت كالسيل العارم من جامعة الاسكندرية وتدفقت على شوارعها ثم امتدت الى القاهرة ، مما اجبر الحكومة على اغلاق الجامعات لمدة شهرين .

وسعت الحكومة الى تحويل القضاء المصرى فى عام ١٩٦٩ من سلطة مستقلة الى جهاز تابع للاتحاد الاشتراكى العربى ، وجر القضاء الى مهاوى السياسة . وكان مما قاله على صبرى فى مقال نشره فى جريدة الجمهورية تبريرا لذلك « ان رجال العدالة يعاب عليهم انهم كونوا طبقة انفصلت عن المجتمع واصبحت احكامها فى غير صالح المجتمع ، بل لصالح المستغلين والمنحرفين الذين لم تصدر الاحكام ضدهم لعدم ثبوت الجريمة حيث أن التفتيش كان باطلا أو لعدم كفاية الأدلة للادانة » . وعندما قاوم القضاة هذه الغزوة الهمجية مثلما نددوا من قبل ببيان ٣٠ مارس فى بيان قوى اعلنوا فيه احتجاجهم على أساليب النظام الناصرى ، لم يتوان جمال عبد الناصر عن اتخاذ اجراءات صارمة ضدهم ، أفضت الى فصل ثلاثمائة قاض دفعة واحدة فى اغسطس عام ١٩٦٩ ، فيما عرف بمذبحة القضاء . ومما يثير الأسى ان اثنين من القضاة سعيا بالوشاية بزملائهم فى علم ١٩٦٨ عند محمد ابو نصير ، وزير العدل آنذاك ، الذى سارع الى ابلاغ جمال عبد الناصر .

ولكن القدر لم يمهل جمال عبد الناصر حتى يجنى ثمار سياسة التعسف ، فقد رحل فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وتولى أنور السادات مقاليد السلطة فى مصر .

وقد اعلن السادات أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، لما انقضى ذلك العام دون حسم اخذ الناس يسخرون منه ، وشهدت الجامعات المصرية فى يناير سنة ١٩٧٢ اول مظاهرات معادية تقع فى عهده . ولكنه لم يتبع سياسة عبد الناصر فى معالجة الموقف وذلك باغلاق الجامعات حتى لا يظهر بمظهر الضعف خاصة وأنه فى بداية حكمه ، انما عالج الأمر بمد اجازة نصف السنة . ثم اتبع سياسة التفرقة فلجأ الى اسلوب ضرب جماعات المعارضة بعضها ببعض ، فشجع الجماعات الدينية على ضرب المعارضة اليسارية .

الا أن أنور السادات عاد الى اتباع سياسة عبد الناصر حين اصدر قرارا باغلاق الجامات فى ٤ يناير ١٩٧٣ ، وذلك عندما تجددت مظاهرات الطلبة على نطاق اوسع بكثير من تلك التى وقعت فى العام السابق . ولم يقف الأمر عند مظاهرات الطلبة ، بل تعداها الى الكتاب والمثقفين واساتذة الجامعات ، الذين وقع معظمهم على عـرائض تنـدد بسـياسة اللاسلم واللاحـرب .

ولم تكن ثمار حرب يونيو وقفا على مصر وحدها ، انما انتشرت فى كل شبر من الأرض العربية . ففى الأردن تغير تركيب البلاد جغرافيا وسكانيا بعد أن فقدت المملكة الأردنية الهاشمية الضفة الغربية التى يمثل سكانها خمسين بالمائة من مجموع السكان ، وبذا خضع نحو مليون عربى للاحتلال الاسرائيلى . ويختلف هذا الوضع تماما عن الوضع فى هضبة الجولان أو شبه جزيرة سيناء اللتين تفتقران الى الكثافة السكانية .

وقد سيطرت على الأردن المخاوف من أن يتكرر الخروج الجمـاعى من الضفة الغربية على غرار ما حدث فى فلسطين علم ١٩٤٨ ، خاصـة وان للاسرائيليين دعاوى تاريخية فى الضـفة لا يخفونها فى اى وقت . لذلك وجه الملك حسين نداء الى سكان الضفة الغربية يناشدهم البقاء فى اماكنهم وعـدم ترك ديارهم لاى سـبب كان . واستجاب معظم سـكان الضفة فلم تحدث سوى عملية هجرة محدودة بدات منذ عام ١٩٦٧ واستمرت طوال السنوات التالية ، الا ان حركة الهجرة اخذت تنشـط شيئا فشيئا لضيق سبل العيش ، كما توسعت اسرائيل فى انشاء المستوطنات . ويتضح

من ذاك أن الملك حسين كان يسعى الى تطويق آثار الاحتلال فى أعقاب حرب يونيو ، ووصل به الأمر الى فتح باب النضال أمام الفدائيين فانطلقوا من الأردن لمهاجمة الأهداف الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة .

غير أن الفدائيين لم يحسنوا التعامل مع السلطات الأردنية وأصبحوا يكونون دولة داخل الدولة ، كما أن الثأر الاسرائيلى من غارات الفدائيين لم يترك شرق الأردن يعيش فى أمان . وقد أدى ذلك الى الصدام بين النظام الأردنى والفدائيين ، فكانت مذابح أيلول سنة ١٩٧٠ التى كانت خطوة نحو ابتعاد الأردن عن الصراع مع اسرائيل . ثم أعقبها الخطوة الثانية المتمثلة فى مشروع الملك حسين الذى دعا الى اقامة مملكة متحدة بين ضفتى الأردن مع السماح بشبه حكم ذاتى للفلسطينيين فى اطار المملكة الأردنية ، الا ان هذا المشروع تعرض لنقد شديد من جانب مصر وسوريا . وقد أدى الاعتراف الدولى بمنظمة التحرير الفلسطينية الى اعتراف الملك حسين فى مؤتمر الرباط سنة ١٩٧٤ بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى فى الضفة وغزة . ومن هنا تبدل وضع الأردن حيال الصراع العربى الاسرائيلى اذ لم تعد للحكومة الأردنية مشكلة أرض محتلة .

أما سوريا ، فكانت ردود الفعل الشعبية فيها خافتة ، وقد اغتنم النظام العلوى الفرصة واتخذ من الحرب ذريعة ليقضى على معارضة الاخوان المسلمين للنظام ويشدد من قبضته على الشعب السورى . ثم اخذ النظام الحاكم يطلق الشعارات التى تنادى بالحرب الشعبية على الرغم من ايقافه نشاط الفدائيين عبر الحدود السورية الاسرائيلية .

بيد انه لم يحدث تغيير جذرى فى النظام السورى ، انما اقتصر على تبديل المواقع بين شخصيات النظام الحاكم تدريجيا ، وبدأ باستبعاد اللواء أحمد سويدان رئيس الأركان السورى بعد ستة أشهر من الهزيمة . أما الثالوث الذى كان يحكم سوريا خلال حرب يونيو ، المؤلف من نور الدين الاتاسى رئيس الدولة ويوسف زعين رئيس الوزراء وابراهيم ماخوس وزير الخارجية فقد اختفى دون ضجة .

كما أن الصراع على السلطة بين اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع واللواء صلاح جديد رئيس المخابرات قد حسم لصالح حافظ الأسد ، الذى وصل الى رياسة الدولة بعد قليل ، ولكن لم تغير حرب يونيو الاتجاهات الدبلوماسية السورية كما غيرت من دبلوماسية مصر(١) .

الآثـــار الاقتصـــادية :

اجتمعت الآثار الســلبية ليمــر الاقتصــاد المصرى بفترة انكماش متصاعدة . والمتتبع لحركة نمو الاقتصاد المصرى ، يجد أنه شــهد بداية نهضة اقتصادية خلال النصف الأول من الستينيات ، وذلك من خلال الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٠/١٩٦٥ ، التى كان من أهم أهدافها تحقيق زيادة فى الدخل القومى قدرها ٤٠٪ بالمقارنة بعام ٥٩/٦٠ . وقد ترتب على هذه الخطة أن حقق الدخل القومى زيادة بنسبة قدرها ٣٧٪ بالأسعار الثابتة ، كما بلغ معدل نمو الدخل الفردى ٣ر٦٪ سنويا بالاضافة الى اتاحة فرص عمل جديدة لنحو ٣ر١ مليون عامل . ونتيجة لحرب اليمن ، فقد ارتفع عجز ميزانية الدولة من ١ر٦٦ مليون جنيه عام ٥٩/١٩٦٠ الى ٣٥٦ مليون جنيه عام ٦٤/١٩٦٥ .

وقد أدى هذا العجز فى الميزانية واللجوء الى القروض الى اتبــاع سياسة الانكماش فى السنوات التالية للحد من الاستهلاك وتنمية الادخار . وازدادت الأحوال الاقتصادية ســـوءا بزيادة الانفاق فى حرب اليمن مما أفضى الى توقف العمل بالخـطة الخمســية الثانية وبدء العمل بخـطط ســنوية .

ومنذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ والاقتصاد المصرى يمر بفترة انكماش وبطء فى النمو ، فقــد هبط متوسط المعــدل السنوى لنمو الناتج المحلى الاجمالى الفعلى عن الفترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ الى ٥ر٣٪ ، وهكذا هبط نمو اقتصــادنا الى النصف تقريبــا ، اذ كان ٥ر٦٪ فى النصف الأول من

---

(١) صلاح العقاد ، السادات وكامب ديفيد ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .

الستينيات . كما أن تحويل الموارد لخدمة اغراض الحرب قد أدى الى تدهور برامج التنمية كما ونوعا ، وبالتالى تدهور الهياكل الأساسية والقدرات الانتاجية فى المجتمع فانخفض مستوى المعيشة خاصة فى المناطق الحضرية ونشأت مشاكل التضخم وعجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات وتفاقم الديون واستحكام الأزمة الاقتصادية . كذلك قامت مصر بتنفيذ ميزانية الطوارئ وزيادة بعض فئات الضرائب وفرض ضرائب جديدة ورفع أسعار بعض المواد حتى يتمكن الاقتصاد المصرى من الصمود . وعلى الرغم من اسهام مؤتمر قمة الخرطوم المنعقد فى اغسطس ١٩٦٧ فى سد بعض النقص فى العملات الصعبة ، فان ذلك لم يمنع مصر من اللجوء الى القروض الأجنبية ذات الفائدة المرتفعة .

وقد كان احد الأسباب الرئيسية فى ازدياد العجز القومى هو تعثر جهود التنمية نتيجة اتجاه الموارد نحو الانفاق العسكرى على حساب الاستثمارات المدنية .

وقد نقصت الموارد التى يمكن توجيهها الى التنمية بسبب تزايد الانفاق الاستهلاكى العام سنة اثر سنة ، كما يتضح ذلك من الجدول الآتى :

السنة	الناتج المحلى الاجمالى بالسعر الجارى	الاستهلاك العائلى	الاستهلاك العائلى الى الناتج المحلى	الاستهلاك العام	الاستهلاك العام الى الناتج المحلى	الاستهلاك العائلى والعام الى الناتج المحلى
٦١/٦٠	١٤٥٩ر٦	٩٩٣ر٦	٧٨ر٠٧	٢٥٥ر٩	١٧ر٥٣	٨٥ر٦٠
٦٦/٦٥	٢٤٥٤ر٩	١٥٨٣ر٣	٦٤ر٤٩	٤٨١ر٩	١١ر٣٥	
٧١/٧٠	٣١٤٥ر٥	٢٠٦٥ر٨	٦٥ر٦٧	٧٩٤ر٣	٢٥ر٢٤	٩٠ر٩١
٧٢/٧١	٣٣٣٦ر٧	٢٢٠٧ر٦	٦٦ر١٦	٨٨٣ر٢	٢٦ر٤٦	٩٢ر٦٢

المصدر : الناتج المحلى والاستهلاك العائلى والعام من تقارير متابعة النمو — وزارة التخطيط سنوات مختلفة .

وجدير بالذكر أن زيادة نسبة الاستهلاك الى الناتج القومى قد أدت الى انخفاض نسبة الادخار بصورة كبيرة مما أسهم فى خفض معدل النمو فى الناتج القومى . والمتتبع لتطور هبوط الادخار المحلى للناتج القومى يجد أن نسبة الادخار المحلى الى الناتج القومى قد انخفضت من حوالى ١٤٪ عام ١٩٦٥/٦٤ الى ٨٪ تقريبا فى النصف الأول من السبعينيات ، بينما ازدادت نسبة الاستهلاك العام من ١٧ر٥٣٪ عام ١٩٦١/٦٠ الى ٢٦ر٤٦٪ عام ٧٢/٧١ . وقد نجم عن نقص المدخرات القومية وزيادة الاستهلاك العام وهبوط حجم النشاط الاقتصادى ، بدء ظهور الضغوط التضخمية فى مصر بشكل واضح خلال الفترة من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٣ وما بعدها ، فتزايد العجز فى ميزانية الدولة وازداد بالتالى الاعتماد على الدين العام المصرفى وزيادة الاصدار النقدى . ويوضح الجدول التالى مجمل هذه التطورات .

عجز ميزانية الدولة وتطور الدين المصرفى
وفائض المعروض النقدى (بالمليون جنيه)

السنة	٦١/٦٠	٦٦/٦٥	٧١/٧٠	٧٢/٧١	٣/٧٢
عجز الموازنة العامة	١٥٩ر٦	٢٤٨ر٩	٢٦٥ر٩	—	٣٣ر٥
حجم الدين العام	٣٢٣ر٣	٥٧٠ر—	٦١٦ر٦	٦٩٦ر٥٦	٩٢ر٨
فائض المعروض النقدى	١١ر٥	٦ر٢	٢٥ر١	٤١ر—	٨٦ر١

ويوضح هذا الجدول أنه فى نفس الوقت الذى كان يتزايد فيه عجز الموازنة العامة ، كان يتزايد أيضا حجم الدين المصرفى . كما يكمل عجز الميزان التجارى والمعاملات الجارية صورة زيادة الأعباء القومية عن الناتج القومى بسبب أضرار الحرب وانخفاض معدل النمو . وقد ترتب على نمو الديون الخارجية بمعدلات كبيرة وارتفاع أعبائها ، أن وصل معدل خدمة الديون الى ٣٥٪ فى عام ١٩٧٣ ، وهو أعلى معدل سجلته الاحصاءات الدولية فى الآونة الأخيرة . على حين أدى ضياع الضفة الغربية لنهر الأردن الى حرمان المملكة الأردنية الهاشمية من انتاجها

خاصة الانتاج الزراعى ومن الأيدى العاملة الرخيصة ، مما اثر بشدة على حجم النشاط الاقتصادى والدخل القومى للمملكة .

العلاقات العربية فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ :

أصيبت مكانة مصر فى المنطقة العربية بعدة نكسات ابتداء من نكسة الانفصال التى سددت ضربة قوية الى وضع القيادة المصرية للعالم العربى وانتهاء بالتورط فى اليمن الذى انتهى فى ديسمبر ١٩٦٧ . ولما كانت قيادة مصر للعالم العربى قد اختلطت بقيادة عبد الناصر له ، فقد أثرت تلك النكسات تأثيرا ضارا مباشرا على الزعامة الناصرية . غير أن عبد الناصر تمكن قبيل حرب يونيو — بعد تصعيد الأزمة مع اسرائيل من أن يستقطب الزعامة العربية دون منازع . ولكن بعد هزيمة يونيو أخذت تنحسر تلك الزعامة تدريجيا ، وبدأ تألق شخصيات عربية على مسرح الصراع العربى الاسرائيلى ، من أمثال الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف والرئيس الجزائرى هوارى بومدين . وتضاءلت النزعة المتشددة عند جمال عبد الناصر ، وبدأ يتخذ موقفا وسطا بين فريق المتشددين العرب وفريق المعتدلين .

وقد نتج عن هذا التحول امكان عقد اجتماع قمة يحضره ملوك ورؤساء الدول العربية ، خاصة بعد أن اتضحت ضرورة العودة الى العمل الجماعى العربى . وعبر عن ذلك جمال عبد الناصر فى رسالة بعث بها الى الملك حسين فى ٢٢ يونيو ١٩٦٧ حيث قال : « ان من الزم الأمور الآن الا ندخر جهدا فى تجميع طاقة عمل عربى موحد يقدر على أداء دوره بالنسبة للخطر الداهم على الأمة العربية كلها وعلى مصير شعبها وحتى على قادتها مهما اختلفت الآراء بينهم » . وأيد الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى لأن ذلك يتعلق « بتصفية الجو العربى وتقوية وحدة الصف والمصير المشترك فى القضية الفلسطينية » .

وكانت اول بادرة للتضامن العربى قد ظهرت فى اجتماع وزراء الخارجية العرب يوم ١٩٦٧/٦/١٨ حيث تم الاتفاق على توحيد كلمة

العرب وتأييد موقف دول المواجهة مع التصميم القاطع على استمرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ، وحظر تصدير النفط اليها .

ثم كان لقاء الصمود العربى ى القاهره فى الفترة ما بين ١٣ — ١٧ يوليو ١٩٦٧ بين الملك حسين والرؤســاء عبد الناصر والأتاسى وبومدين وعبد الرحمن عارف واسماعيل الأزهرى ، حيث اتفقوا على سفر الرئيسين هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موســكو فورا لاجراء محادثات سرية وعاجلة مع القادة السوفييت ثم يعودان الى القــاهرة للابلاغ عن نتيجة المحادثات .

وقد اجتمع الرئيسان بومدين وعارف بالزعماء السوفييت فى موسكو خلال يومين ، حيث تاكد لهما اتجاه السوفييت الى تفضيل العمل الدبلوماسى مع تقديم المســـاعدات الاقتصادية الى الدول العربية التى اضيرت من العدوان ، وحث العرب على تبنى فكره انهــاء الحرب مع اسرائيل حتى يكسبوا أصواتا تؤيد تضبتهم فى الأمم المتحدة . كما اتضح أن المعســكر الاشتراكى لا يشجع العرب على اللجوء الى استخدام القوة .

عاد الرئيسان العراقى والجزائرى الى القاهرة ، وبعد مناقشات دامت يومين اقترح محمد أحمد محجوب ، رئيس وزراء السودان ، ضرورة تحرك العرب فى اطار حل سياسى ، وطلب دعوة وزراء الخارجية العرب الى مؤتمر يعقد فى الخرطوم فى أوائل أغسطس عام ١٩٦٧ لوضع جــدول أعمال مؤتمر القمة العربى .

وقد عقد مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم فى الفترة ما بين ٨/٢٩ — ١٩٦٧/٩/٢ (١) ، وحضره الملوك والرؤساء ووزراء الخارجية واحمد الشقيرى ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وتخلفت سوريا عن الحضور . وقد تقرر فى مؤتمر الخرطوم ان تدفع الكويت ٥٥ مليون جنيه استرلينى ، والسعودية خمســين مليونا ، وليبيا ثلاثين مليونا ، وتوزع

---

(١) تفاصيل ما دار فى هذا المؤتمر من مناقشات علنية فى الأهــرام ، ٣٠ ، ٣١ أغسطس ١٩٦٧ .

هذه المبالغ على مصر وسوريا والأردن . وفى البيان الختامى أقر المؤتمر ضرورة تحقيق وحدة الصف العربى ، كما حدد القرار الجماعى اطار الحل السياسى فى عدم التفاوض مع اسرائيل أو الاعتراف بها أو الصلح معها . ويكشف أحمد الشقيرى عن أن اللاءات الثلاث (لا تفاوض ، لا اعتراف ، لا صلح مع اسرائيل) من صنعه هو ، وأن مؤتمر القمة فى الخرطوم قد أقرها تحت ضغط منظمة التحرير الفلسطينية وتهديد وفدها بالانسحاب (١) .

وفى مؤتمر الخرطوم ، تم الاتفاق بين مصر والسعودية على تسوية مشكلة اليمن وعودة باقى القوات المصرية الى مصر تنفيذا لقرار الحكومة المصرية سحب قواتها من اليمن . وتبرز أهمية مؤتمر الخرطوم فى أنه غطى على الخلافات العربية بصورة مؤقتة ، غير أن قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، أحدث انقساما بين الدول العربية وأثار ردود فعل متباينة . وعموما فقد انتهى عام ١٩٦٧ بقبول معظم الرأى العام العربى تلك التسوية التى طرحتها المنظمة العالمية . الا أن سوريا أعلنت رفضها للقرار ، وحذت حذوها حركة المقاومة الفلسطينية ، اذ كانت تهدف الى تحرير فلسطين المحتلة واقامة دولة فلسطينية ديمقراطية بعد تدمير كيان اسرائيل التوسعى العنصرى . أما الأردن فقد أراد التوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل ، وهو ما ظهر فى مؤتمر الخرطوم وفى قبوله لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . غير أن مصر ابدت اصرارها على ضرورة الانسحاب الاسرائيلى وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين . وفى نفس الوقت فتحت سوريا الباب على مصراعيه امام العمل الفدائى الفلسطينى ، وبذلك أصبحت حركة تحرير فلسطين (فتح) تمارس عملياتها الفدائية ضد اسرائيل من لبنان والأردن وسوريا ، وتشعبت علاقاتها العربية وازداد تأثيرها على المستويات الفلسطينية والعربية والدولية .

---

(١) أحمد الشقيرى ، ذكريات عن مؤتمر القمة فى الخرطوم فى : مجلة شئون فلسطينية — اصدار مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، العدد ٤ ، ١٩٦٧ .

ويعد قبول مصر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تحولا أساسيا فى موقف مصر من الصراع العربى الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ ، فقد كان جمال عبد الناصر يقف بصلابة تجاه اسرائيل ويتبنى قضية تحرير فلسطين . لذلك شن حربا شعواء على الحبيب بورقيبه حين قال : انه يمكن تطبيق سياسة المراحل على قضية فلسطين ، وان على العرب فى المرحلة الحالية أن يحددوا مطلبهم بتنفيذ قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، مع امكان الاعتراف باسرائيل اذا قبلت تنفيذ القرار ، وطالب بانشاء دولة فلسطينية فى الأراضى المحررة مرحليا ، على أن يقوم الفلسطينيون وحدهم بحمل لواء قضيتهم سياسيا وعسكريا . ثم اننا نجد بعد عامين هذا التغيير الجوهرى فى موقف جمال عبد الناصر ، الذى تجاوز أبعاد تصريحات بورقيبة بقبوله انهاء حالة الحرب والاعتراف باسرائيل فى مقابل انسحاب قواتها الى حدود الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . ويعتبر هذا التراجع نكوصا عن مواقفه المعلنة كزعيم للأمة العربية ، التى طالما تغنت اسماعها بشعاراته العذبة التى لم تتحقق .

وقد تطلبت المواجهة مع اسرائيل تنسيق التعاون مع سوريا والدول العربية الاخرى التى يمكنها التأثير فى الموقف العسكرى . وعلى الرغم من رفض سوريا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، فقد عقد جمال عبد الناصر معها اتفاقا سريا فى عام ١٩٦٩ ، كشف عنه محمود رياض فى مذكراته وعزا سبب سريته الى تجنب اثارة اسرائيل .

وبوصول نميرى والقذافى الى الحكم فى السودان وليبيا فى عام ١٩٦٩ ، اتيحت الفرصة أمام جمال عبد الناصر لايجاد دائرة عربية محدودة تسير على نهجه . وقد طرحت فى عام ١٩٧٠ فكرة قيام اتحاد ثلاثى يضم مصر وسوريا وليبيا ، غير أن الاتحاد السوفييتى لم يكن راضيا عن قيام هذا الاتحاد . وفى نفس الوقت توثقت علاقات مصر بالأردن ، فقد رأى عبد الناصر فى الملك حسين ونظامه الجسر الباقى للاتصال بالولايات المتحدة سيما ان مصر والأردن قبلتا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ دون سائر البلاد العربية . وعلى الرغم من قبول مصر ذلك القرار ، فانه لم يؤثر على علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بها . ولكن ما ان اعلنت مصر قبولها مشروع

روجرز وشرعت فى تطبيقه حتى دب الشـــقاق بين المنظمـــة والحكومة المصرية ، وبادرت اذاعة فلسطين الموجهة من القاهرة الى مهاجمة جمال عبد الناصر ، فما كان منه الا أن أوقف تلك الاذاعة . ثم اتسعت المهاترات الاعلامية وبلغت مدى بعيدا ، كما برزت الخلافات بين مصر وبعض الدول العربية وفى مقدمتها الجزائر التى رمت مصر بقبولها الحلول الانهزاميـــة التصفوية الاستسلامية .

وكان الملك حسين ، منذ حرب يونيو ، يشعر بتحرج الأوضـــاع فى شرق الأردن نتيجة قدوم أعداد كبيرة من الفلسطينيين يختلفون فى المصالح المحلية مع سكان شرق الأردن الأصليين . وقد حدثت بعض المنازعات بين الجانبين . كما شـــهد عام ١٩٦٨ بدء الصدام بين الجيش الأردنى والفدائيين خلال شهرى فبراير ونوفمبر اثر مظاهرات قام بها الفلسطينيون فى ذكرى تصريح بلفور ، ثم هدأت الحالة نســـبيا ابان عام ١٩٦٩ ، ثم تجددت المشاحنات فى شهر يونيو ١٩٧٠ على نطاق واسع .

وكان بعض الوزراء الأردنيين يعارضون حركة المقاومة الفلسطينية مما ادى الى حدوث صدام بينهم وبين الزعماء الفلسطينيين ، الذين هدد بعضهم بالاطاحة بالملك حسين ما لم يستبعد الوزراء المعارضين للعمـــل الفدائى . وقد اضطر الملك حسين تحت ضغوط الفدائيين الى اقالة هؤلاء الوزراء فى يونيو ١٩٧٠ . غير أن الملك حسين أضمر فى نفســـه شرا للفدائيين واخذ يتحين الفرص المناسبة للفتك بهم ، بعد أن أجبروه على التعديل الوزارى الأخير . وقد اجتمعت عده عوامل مواتية ساعدت الملك حسين على انفاذ خطته ، منها الاختلاف الذى حدث بين منظمة التحرير والحكومة المصرية بعد موافقة عبد الناصر على مشروع روجـــرز ووقف اطلاق النار فى جبهة القنـــاة ، ومنها اطراد اعتماد منظمة التحرير على مساعدة وتاييد النظام السورى لها ، ثم كانت أحداث اختطاف الطـــائرات واحتجاز ٥٤ أمريكيا فى احد المطارات النائية بالأردن السبب المباشر الذى جعل الملك يقدم على تنفيذ خطته دون أن يخشى ردود فعل عربية مؤثرة . ولتنفيذ خطة القضاء على الفدائيين ، شكلت حكومة أردنية عســـكرية برياسة محمد داود فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وعندما بدأ تنفيذ الخطة ، دفعت سوريا بلواء مدرع الى الحدود الأردنية مما أفضى الى رد فعل أمريكى على نطاق واسع ، مؤداه التدخل العسكرى الأمريكى فى الأردن عند الضرورة .

وقد تراجعت سوريا وسحبت اللواء المدرع الى الأراضى السورية خوفا من تدخل عسكرى اسرائيلى تدعمه الولايات المتحدة .

شعر جمال عبد الناصر بمسئوليته ازاء انقاذ الفدائيين من المذابح التى يتعرضون لها فى الأردن ، فدعا الى مؤتمر قمة عربى حضره معظم الرؤساء العرب ، وتم التوفيق بين الأطراف المتنازعة حيث اتخذ المؤتمر قرارات تنظم علاقة الفدائيين والحكومة الأردنية ، ولكن بعد أن كان الجيش الأردنى قد سحق أهم مواقع الفدائيين . غير أن أحداث سبتمبر (أيلول) لم تضع حدا للصراع بين حكومة الأردن والفدائيين ، فقد انتهز الملك حسين تغيير النظام السورى وقيام نظام جديد برياسة حافظ الأسد ، الذى لم يكن متحمسا للاقدام على مجابهة مع الأردن من أجل الدفاع عن الفدائيين ، وقام بتصفية المراكز المتبقية للفدائيين خلال شهر يوليو ١٩٧١ مما دعا بعض الدول البترولية الى اتخاذ قرارات بقطع المعونة عن الأردن . كما بادرت الجزائر الى قطع علاقاتها الدبلوماسية به ، وحذت حذوها مصر فى العام التالى حين أعلن الملك حسين فى مارس ١٩٧٢ عن مشروعه بانشاء المملكة الأردنية المتحده .

الفصل الثانى

تطور الأوضاع السياسية والعسكرية

تطور الأوضاع السياسية :

سياسة مصر الخارجية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ :

فقدت مصر بعد حرب ونيو ١٩٦٧ التوازن الذى طالما احتفظت به بين القوتين العظميين ، اذ أنجذبت انجذابا شديدا الى الاتحاد السوفييتى، بينما تنافرت تنافرا شديدا مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تمثلت مظاهر هذا الاتجذاب فى زيادة الوجود العسكرى السوفييتى على الأراضى المصرية ، فقد بلغ عدد الخبراء السوفييت العسكريين فى مصر ١٨ ألف خبير فى يولبو عام ١٩٧٢ (١) ، بالاضافة الى التسهيلات التى منحتها مصر للأسطول السوفييتى فى الموانىء المصرية (٢). وقد بلغ هذا الاحلال فى مداه بعقد « معاهدة الصداقة والتعاون » (٣) بين مصر والاتحاد السوفييتى فى ٢٧ مايو عام ١٩٧١ . وكانت فترة سريانها خمسة عشر عاما كما جاء فى مادتها الحادية عشرة . وقد وجد بعض المصريين فى هذه المعاهدة لونا من « الحماية المقنعة » .

أما الطرف الآخر وهو الولايات المتحدة الأمريكية فكانت الأمور تسير معه على نحو مخالف تماما ، فقد تحول الجفاء ، الذى صاحب علاقات مصر بالولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٥ ، الى قطيعة كاملة فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ .

---

(١) السياسة الدولية ، العدد ٤٥ يوليو ١٩٧٦ ، « الخلاف المصرى — السوفييتى » ، ص ٢٣٢ .

(٢) من تصريحات الرئيس أنور السادات فى المؤتمر القومى فى ١٩٧٢/٢/٢٦ .

(٣) نص المعاهدة فى مجلة السياسة الدولية ، العدد ٢٥ ، يوليو ١٩٧١ ، ص ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

وهـــذا الموقف الناشىء يقودنا الى بحث موقف القطبين فى المنطقـــة العربيـــة فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ .

أولا — المـــوقف السوفييتى :

أبدى الاتحاد السوفييتى اهتماما كبيرا بالعدوان الاسرائيلى على دول المواجهة العربية . وقـــد سلك فى تأييده لها مسلكين : أحدهما معنـــوى دبلوماسى والثانى اقتصادى عسكرى .

وفى الاتجاه الأول قاد الاتحاد السوفييتى حملة ضد اسرائيل فى مجلس الأمن أثنـــاء الحرب وفى الجمعيـــة العامة فيما بعـــد ، ودعا دول أوروبا الشرقية الى عقد مؤتمر قمة ، وهو ما لم يحـــدث فى أزمات خاصة بالعالم الاشتراكى مثل أزمة الصواريخ فى كوبا سنة ١٩٦٢ . وانعقد مؤتمر قمـــة الدول الاشتراكية وقرر قطع العلاقات الدبلوماسية باسرائيل ولم تشـــذ ســـوى رومانيا . كما كان المشروع الالبانى أكثر المشروعات التى قدمت من الدول الاشتراكية أو من غيرها للجمعية العامة فى دورتها الطارئة تأييـــدا للحق العربى ، اذ تضمن ادانة اسرائيل ، والانسحاب غير المشروط من جميع الأراضى العربية والتعويض عن كل آثار العـــدوان ، والتأكيد بأن الجمهورية العربية المتحدة هى وحدها صاحبة السيادة على قناة السويس ومضايق تيران ، وهى وحدها التى نقرر ما اذا كان لاسرائيل أن تمـــر فى أى ممـــر مائى فى أراضيها .

كذلك قدم الاتحـــاد الســـوفييتى مشروعات لادانة عدوان اسرائيل ســـواء فى الجمعية العامة أو فى مجلس الأمن خاصـــة بعد العدوان على مدينة السويس ومعامل تكرير البترول بهـــا .

وبينما كان الاتحاد السوفييتى يفضل العمل الدبلوماسى والمساعدات الاقتصادية ، كانت الصين تنادى بوجوب قيام العرب بحرب شعبية وعدم الاستسلام لوقف اطلاق النار .

وعلى الجانب الاقتصادى قدم الاتحاد السوفييتى عقب العدوان مباشره ١٠٠ ألف طن قمح الى الجمهورية العربية المتحدة ، كما تم الاتفاق على أن

يقدم ٣٥٠ ألف طن قمح خـلال عـام ١٩٦٨ . والى جانب المسـاعدات الاقتصادية التى قدمها الاتحاد السوفيتى، فقد عقدت الاجتماعات والمؤتمرات بين زعمـاء الدول الاشتراكية لبحث ما يمكن تقديمه من دعم للدول العربية . وقد جـاء فى بيان مؤتمر بودابست أن المجتمعين بحثوا التدابير التى تهدف الى دعم القوى والامكانات الدفاعية للدول العربية والاجراءات اللازمـة لقيام تعاون اقتصادى طويل الأجل بين الدول الاشتراكية والدول العربية .

كذلك عقد مؤتمر فى بلجراد الدول الاشتراكية صدر فى نهايته بيـان مشترك أعربت فيه دول أوروبا الشرقية عن استعدادها للتباحث مع الدول العربية حول الاجراءات اللازمة لدعم التعاون الاقتصادى معها . وقدمت بولندا قرضا مقداره عشرة ملايين دولار يسدد على عشر سـنوات ، اما الصين الشعبية فقدمت ١٥٠ ألف طن قمح .

أما فى المجال العسكرى ، فقد سارع الاتحاد السوفيتى الى امـداد مصر بالأسلحة والمعدات منذ يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ مبتدئا بارسال ٣١ طائرة ميج ٢١ ، ٩٣ طائرة ميج ١٧ . وقد وصلت خلال الشهر الأول بعد هزيمة يونيو أسلحة ومعدات بلغ وزنها ٤٨ ألف طن تعويضا عن خسـائر الحرب دون مقابل ، كما ارسلت بولندا وألمانيا الشرقية ويوجوسلافيا طائرات ميج ١٧ وأسلحة للقوات البرية والدفاع الجوى .

وفى يوم ١٦ يونيو وصل وفد عسكرى سوفييتى كبير بقيادة الجنرال لاشنكوف للمعاونة فى استقبال الأسلحة والمعدات وانشاء أول خط دفاعى غرب قناة السويس .

كما وصل فى ٢١ يونيو الرئيس بودجورنى ومعه مارشال الاتحـاد السوفييتى زخاروف رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفييتية وأجريا مباحثات سياسية وعسكرية مع وفد مصرى برياسة جمال عبد الناصر، انتهت بالاتفاق على هدف محـدد هو « ازالة آثار العدوان الاسرائيلى » واعطاء القوات المسلحة المصرية الأولوية فى الدعم العسكرى العـاجل والمتطور . وقد ابدى عبد الناصر فى خطابه أمام بودجورنى يوم ٢١ يونيـو

رغبته فى التخلى عن سياسة عدم الانحياز والتحالف الكامل مع الاتحاد السوفيتى ، وكان مما قاله فى هذا الخطاب « .. والآن علينا أن نبحث كيفية تنظيم علاقاتنا معكم ، نحن مستعدون أن نعقد اتفاقية سرية أو علنية » . وقال أيضا فى معرض خطابه « .. ان القيادة السياسية فى الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للانحياز اليكم ضد معسكر الاستعمار »(١) .

وقد طلب عبد الناصر اسهام الاتحاد السوفييتى بالمستشارين والخبراء العسكريين ، وزيادة قطع الأسطول السوفييتى فى شرق البحر المتوسط مع استعداد مصر لاعطاء تسهيلات له فى الموانىء المصرية لايجاد توازن بين الوجود البحرى السوفييتى والأسطول السادس الأمريكى ، كما طلب طائرة مقاتلة قاذفة بعيدة المدى حتى يمكن ردع اسرائيل فى العمق اذا ما اعتدت على مصر . وقد وعد الوفد السوفييتى عبد الناصر بعرض هذه المطالب ومناقشتها فى موسكو .

وبعد اتمام المباحثات بين الجانبين المصرى والسوفييتى ، غادر بودجورنى القاهرة يوم ٢٤ يونيو ١٩٦٧ تاركا المرشال زخاروف والوفد العسكرى والمستشارين السوفييت لمساعدة القوات المسلحة المصرية .

وفى التاسع والعشرين من يونيو عام ١٩٦٧ ، قابل المارشال زخاروف الرئيس جمال عبد الناصر وأبلغه موافقة القادة السوفييت على قرارات وتوصيات المؤتمر الذى عقده مع الرئيس السوفييتى بودجورنى يوم ٢١ يونية ١٩٦٧ . كما أبلغه قرارات القيادة السوفييتية الخاصة بدعم القوات الجوية المصرية بالطائرات المقاتلة القاذفة من طراز سوخوى الجديد ، وطائرات التدريب من طراز ميج ٢١ ، والدبابات الجديدة . وأحاطه علما بما تم انجازه فى خط الدفاع الأول غرب القناة ، وخطة اعادة بناء وتنظيم

---

(١) نقلا عن مقال « عندما عرض عبد الناصر على السوفييت التخلى عن عدم الانحياز » للدكتور عبد العظيم رمضان ، مجلة أكتوبر ، العدد ٥٠١ ، يونيو ١٩٨٦ ، ص ٢٥ .

وتدريب القوات المسلحة المصرية ، والدور الذى قام به هو والمستشارون العسكريون السوفييت .

وعموما فقد وقع عبء استعواض الأسلحة التى فقدت فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ على عاتق الاتحاد السوفيتى دون مقابل . اما الأسلحة اللازمة لتنفيذ خطة انشاء الوحدات الجديدة فكانت تتم فى شكل اتفاقيات تسليح بواقع من ثلاث الى أربع فى السنة الواحدة ابتداء من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧١ ، وهى عبارة عن قروض مالية ذات شروط مريحة مع فترة سماح عشر سنوات . كما كان القرض متسطا على أربعين سنة بفائدة بسيطة لا تعدو ٥ر٢٪ .

ومن هنا بدأت مصر تعتمد على الاتحاد السوفييتى اعتمادا كاملا . وقد تعاظم النفوذ السوفييتى بزيادة الضغط العسكرى الاسرائيلى ، ونتج عن الاعتماد مصر الكامل عسكريا واقتصاديا وسياسيا على الاتحاد السوفييتى أن تحولت الى شريك ضعيف فى علاقاتها به ، وتجلى ذلك فى اصرار الكرملين على تسليح مصر الى حد معين ، وهو الحد الذى اعتبره المسئولون المصريون لا يفى بمتطلبات تحرير الأرض . وقد ولد ذلك شعورا مضادا ظهر فى أعمال محددة ، أهمها قبول عبد الناصر مبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية ، بعد اخفاق رحلة عبد الناصر الى موسكو فى يونية — يولية ١٩٧٠ . كما برز فيما بعد فى سلوك أنور السادات عام ١٩٧١ — عندما ماطل الاتحاد السوفيتى فى تسليم السلاح — حين طلبت مصر سحب ثلاثة عشر مستشارا عسكريا فى ٢٣ نوفمبر ، وعندما رفضت الحكومة المصرية طلب الاتحاد السوفييتى الحصول على قواعد بحرية مصرية فى البحر المتوسط بعد ذلك بنحو عشرين يوما(١) .

ثانيا — الموقف الأمريكى :

كان عبد الناصر قد قطع علاقات مصر الدبلوماسية بالولايات المتحدة فى أعقاب حرب يونيو ، واعقب ذلك نوع من التآكل شبه التام فى العلاقات المصرية الأمريكية .

---

(١) ملف « الخلاف المصرى السوفييتى » ، ص ٢٣١ .

وعلى الرغم من قبول مصر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، فقد كان الموقف الأمريكي أكثر انحيـــازا الى اسرائيل . بل ان الواقع يقول ان الولايات المتحدة قدمت بعـد حرب عام ١٩٦٧ كل أسـباب المعونة الى اسرائيل ، وأصــبحت لاول مرة فى تاريخ العـلاقات بينها وبين الشرق الأوسط المورد الرئيسى للسلاح الى اسرائيل ، وهو أمر كانت الولايات المتحدة تعمل على تجنبه من قبل حتى لا تغضب العرب . كما استخدمت الولايات المتحدة ثقلها السياسى لتأييد اسرائيل فى شتى المناسبات بمـا فيه استخدام حق الفيتو فى مجلس الأمن لصالح اسرائيل .

ومرد ذلك الى عدة أسباب أهمها ارتباط مصر وسوريا بالاتحـاد السوفييتى وتدهور علاقاتهما بالولايات المتحدة ، وضعف قدرة العـرب على التأثير بسبب الخلافات والانقسامات ، وهزيمة يونيـو ١٩٦٧ التى افقدت العرب كثيرا من وزنهم السياسى ، كما كانت دول الخليج البترولية تتطلع الى حماية الولايات المتحدة لا ان تقف منها موقف المجابهة .

وفى ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، أعلن الرئيس الأمريكى ليندون جونسون مبادئه الخمسة كأساس لحل مشكلة الشرق الأوسط ، وتقوم هذه المبادىء على :

١ — اجراء مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل .

٢ — الاعتراف من جانب الجميع بحق كل دولة فى أن تعيش فى سلام .

٣ — حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية .

٤ — تقييد شحنات الأسلحة الى الشرق الأوسط .

٥ — تلميح أمريكا بايجاد تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

وأهم ما يلاحظ على هذه المبادىء أنها لم تتعرض لحقـوق شعب فلسطين بالدرجـة التى أعطتها لاجراء المفاوضـات المباشرة للاعتراف بالوجود الاسرائيلى وضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية .

كان المقصود بالمبادىء الخمسة خداع الرأى العـام العربى وبذر الشقاق بين الدول العربية وتخديرها بمخدر الاسترخاء حتى ينتهى الأمر بها الى تجرع كأس الهزيمة حتى الثمالة .

اما حقيقة الموقف الأمريكى فقد اتضحت فى اللقاء الذى تم بين الرئيس الأمريكى جونسون ورئيس الوزراء السوفييتى كوسجين فى جلاسبورو وأثناء انعقاد الدورة الاستثنائية للجمعية العامة ، اذ عبر الرئيس الأمريكى عن أسفه لموقف ايزنهاور من اسرائيل عام ١٩٥٦ ، فقد أجبرها على الانسحاب من سيناء مقابل شىء بسيط هو حق الملاحة فى مضايق تيران . أما هو فلن يمارس ضغطا على اسرائيل ، وأن اقل ما يرضى به هو اعتراف عربى صريح بالوجود الاسرائيلى لكى يبدأ التفاوض من أجل الانسحاب .

وهكذا اصبح الاعتراف العربى باسرائيل شرطا مسبقا على الانسحاب دون الافصاح عن كونه شاملا أم جزئيا ، بينما كان الحديث السائد فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ يتضمن الانسحاب الاسرائيلى الكامل ثم يعقبه الاعتراف العربى . ثم اتضحت تماما نية الرئيس الأمريكى جونسون حين اعلن فى أكتوبر ١٩٦٧ ان الانسحاب الاسرائيلى لا ينبغى بالضرورة أن يكون من جميع الأراضى العربية التى احتلت فى حرب يونيو .

ثم اتجهت السياسة الأمريكية اتجاها خبيثا يهدف الى فصم عرى التضامن العربى ، فحواه التمييز بين سيناء وغيرها من الأراضى العربية المحتلة . وقد ذكر محمود رياض وزير خارجية مصر آنذاك ، أنه أثناء انعقاد الجمعية العامة عرض دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة مشروعا مفصلا يتضمن انسحاب اسرائيل من سيناء وفق شروط محددة ، واعتبر دين راسك رفض مصر هذا المشروع دلالة على تشدد بالغ ، وقال اذا كنا نعرض عليكم استرداد أراضيكم دون جهد ، فكيف ترفضون ذلك ؟

وقد دعا هذا المشروع ، الذى لم يتجاوز مجرد عرضه للبحث ، الى انسحاب اسرائيل من الأراضى المصرية بالكامل ، وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، على أن يتبع ذلك منح قناة السويس للملاحة الاسرائيلية ، وتمركز قوات دولية فى شرم الشيخ لا تنسحب الا بقرار من مجلس الأمن او الجمعية العامة ، وتفاهم حول مستوى التسليح فى المنطقة ، ثم حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على اساس سؤال كل لاجىء بطريقة سرية ،

وبصفة شخصية عن رغبته فى العودة الى اسرائيل . وفى حالة رفضه فله أن يختار أى بلد يريد أن يذهب اليـــه .

وتبدو صورة الصلح المنفرد واضحة فى هذا المشروع فضـــلا عن انه لم يحدد بوضوح مستقبل الفلسطينيين .

وبوصول ريتشارد نيكسون الى رياسة الولايات المتحدة فى ينـــاير ١٩٦٩ ، صار ترتيب أولويات السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة كما يلى : —

١ — البحث عن وسيلة لانهاء حرب فيتنام .

٢ — اقامة جســـور مع الصين الشـــعبية تمهيدا لتطبيع العلاقات معهـــا .

٣ — الاهتمام بقضية تخفيض السلاح على المستوى العالمى .

٤ — الشرق الأوســـط .

وممـــا لا شـــك فيه أن قدوم الخبراء السوفييت الى مصر كان له أثر كبير على السياسة الأمريكية التى أصبحت تســـلم خلال عام ١٩٦٩ وحتى منتصف عام ١٩٧٠ بأن حل مشكلة الشرق الأوسط لا يمكن التوصل اليه بدون مشاركة الاتحاد السوفييتى . لذلك تمت الاتصالات بين الجانبين الأمريكى والسوفييتى من أجل تحقيق هذا الغرض ، الا أن اختلاف وجهتى نظر الجانبين حالت دون الوصول الى اتفاق .

فبينما تمســـك الاتحاد السوفييتى بمبدأ التسوية الشاملة وضرورة انسحاب اسرائيل أولا قبل انهاء حالة الحرب ، رأت الولايات المتحـــــدة ضرورة انهاء حالة الحرب أولا ، ثم انسحاب اسرائيل بالتدريج طبقا لتسويات جزئيـــة متواليـــة .

وقد بدا للولايات المتحدة أنه لا أمل يرجى من التفاهم مع الاتحـــــاد السوفييتى ، لذا اتجهت السياسة الأمريكية اتجاها جديدا يقوم على اعلان مبادىء التسوية من طرف واحد ، فصـــدر مشروع أول لوليام روجرز ،

وزير الخارجية الامريكية ، سنة ١٩٦٩ وهو ينص على اجراء محادثات بين أطراف النزاع على غرار ما حدث فى اتفاقيات الهدنة فى رودس سنة ١٩٤٩ ، تشمل الانسحاب من الضفة الغربية مع تعديلات طفيفة فى الحدود لصالح اسرائيل ، على حين تبقى القدس موحدة مع الاعتراف بدور الأردن فى المجالات الاجتماعية والدينية بالنسبة للأماكن المقدسة الاسلامية فى شرق المدينة ، والاتفاق بين مصر واسرائيل على ضمانات حرية الملاحة فى المضايق ، وفتح قناة السويس الملاحة لجميع الدول بما فى ذلك اسرائيل طبقا لانهاء حالة الحرب ، كذلك مبدأ اقامة مناطق منزوعة السلاح ، والمقصود بهذه المناطق هو الجانب العربى وحده

وبادرت اسرائيل الى رفض المشروع على الفور حتى لا تدع فرصة امام مصر لابداء رأيها ، على حين كان رد الاتحاد السوفييتى سلبيا . وقد ادى هذا الموقف الى انهيار مشروع روجرز الاول حيث رأت الولايات المتحدة أنه لاداعى لتقديم التنازلات من جانب واحد ، وعاد الرئيس الأمريكى يردد تعهدات الولايات المتحدة بالحفاظ على أمن اسرائيل وسلامتها .

غير أن الفترة الثالثة التى بدأت فى ربيع عام ١٩٧٠ شهدت اتجاهين متوازيين للسياسة الأمريكية : اتجاه يستهدف الضغط على مصر عسكريا بتقديم الاسلحة والمعدات المتطورة الى اسرائيل ، واتجاه يقدم الحلول الوسط التى تستهدف انهاء حالة الحرب اولا ، ثم الوعد بانسحاب اسرائيل بطريقة اكثر تحديدا عما جاء فى القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

ويعتبر مشروع روجرز ، الذى جاء على شكل بيان موجه الى الحكومة المصرية فى ١٩ يونيو ١٩٧٠ ، مثلا حيا للحلول الوسط ، وتعتبر المرحلة التاليه لاعلان مشروع روجرز نقطة تحول فى سياسة جمال عبد الناصر الخارجية وموقفه من النزاع العربى الاسرائيلى .

وقد جاء ضمن فقرات هذا البيان « وفى رأينا ان الطريق الأكثر فعالية للاتفاق على تسوية هو ان تبدأ الاطراف فى العمل تحت اشراف السيد غير

يارنج بشأن الخطوات التفصيلية الضرورية لتنفيذ قرار مجلس الأمن ر ٢٤٢ » . ثم انتهى الى المقترحات التالية :

اولا :

١ — أن تتعهد كل من مصر واسرائيل ، باعادة وقف اطلاق النـ لمدة محـــدودة على الأقل .

٢ — أن تتعهـــد كل من مصر واسرائيل ، وايضا اسرائيل والأرد باصدار البيان التالى الذى سيكون من السفير يارنج الى السكرتير العـ للأمم المتحـــدة .

« ان مصر واسرائيل اخطرتنى انهما قد وافقتا واظهرتا رغبتهما تنفيذ قـــرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل اجزائه وانهما تعينان ممثليهما المناقشات التى ستدور تحت اشرافى » .

ثانيـــا : ان الهدف من المناقشات هو التوصل الى اتفاق على اقام سلام عادل ودائم بينهما يقوم على :

(ا) الاعتراف المشترك بين كل من مصر واسرائيل بحق كل منهمـ فى السيادة والاستقلال السياسى .

(ب) الانسحاب الاسرائيلى من اراضى تم احتلالها فى نزاع ١٩٦٧ وذلك مما يتمشى مع القرار ٢٤٢ .

ثالثـــا : احترام قرارات وقف اطلاق النار الصادرة من مجلس الأمر من أول يوليو الى أول اكتوبر .

وقد صدر هذا البيان حينما كان عبد الناصر على اهبـــة السفر الى الاتحاد السوفييتى للعلاج واجراء مباحثات مع القادة السوفييت ، فأرجـــ البت فى هذا الموضوع . وما ان عاد من رحلته حتى اعلن فى **٢٣** يوليـــو ١٩٧٠ قبول مشروع روجـــرز ، على الرغم من تصريح انـــور السادات للصحفيين — اثناء غياب عبد الناصر — بعدم قبول مشروع روجرز .

وبنظرة خاصـــة الى مشروع روجرز ، تبدو بعض الاختلافات عن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، نجملها فيما يأتى : —

١ — يجعل المشروع الولايات المتحدة بديلا عن هيئة الأمم المتحدة فى الرقابة على وقف اطلاق النار ، ويخصها دون الأمم المتحدة بالقـدرة على توجيه مباحثات انهاء حالة الحرب والانسحاب .

٢ — ان المشروع لا يشير الى اللاجئين الفلسطينيين ويلمح على استحياء الى امكانية اشراك الأردن فى المباحثات ، وهو بذلك يمهد الى صلح منفرد مع اسرائيل .

٣ — نص مشروع روجرز على « الانسحاب من أراض احتلت سنة ١٩٦٧ » وهو ما يعنى التنازل عن بعض الأراضى المحتلة وتعديل الحدود لصالح اسرائيل .

ويرجع السبب المباشر لقبول عبد الناصر مشروع روجرز الى زيادة خسائر مصر البشرية وعدم تلقى مصر الأسلحة المناسبة من الاتحاد السوفييتى للاستمرار فى حرب الاستنزاف ، بينما كانت اسرائيل تحصل من الولايات المتحدة على اسلحة متطورة باستمرار .

وقد كان الاتحاد السوفييتى يرفض تزويد مصر بالأسلحة الهجومية لاعتقاده أن أى هجوم مصرى على اسرائيل قد يؤدى الى هزيمة أخرى .

وقـد أعلنت اسرائيل موافقتها على مشروع روجرز فى ٣١ يوليو ١٩٧٠ ، غير انها أبدت تحفظات بشـأن الرقابة على تجميـد الأوضاع العسكرية غرب قناة السويس الى مسافة خمسين كيلومترا .

ولم تأت موافقة اسرائيل الا بعد ان كتب الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون الى جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ مـا نصه « ان الولايات المتحدة ان تجبر اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ طبقا للتفسير العربى ، او على اى حل شامل لمشكلة اللاجئين او الانسحاب من أراض محتلة قبل تحقيق السلام » .

نفذت مصر واسرائيل وقف اطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، وقد حوى شرطا تعارف عليه الجانبان المصرى والاسرائيلى دون اعلان وهـو

تجمد الأوضاع العسكرية على مسافة خمسين كيلومترا من ضفتى القناة . وقد قبلت مصر الرقابة الأمريكية ، فقامت طائرات الاستطلاع الامريكية باستطلاع تلك المنطقة بصفة مستمرة ، وهو ما يعنى تأكيد السيطرة الأمريكية وتوافر امكانية ابلاغ اسرائيل بالأوضاع العسكرية المصرية .

تطور السياسة الخارجية المصرية من بداية عهد السادات الى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

بدأت علاقات مصر بالولايات المتحدة تتحسن فى نهاية حكم جمال عبد الناصر . وعندما تولى السادات السلطة كان بوسعه أن يقوى هذا الاتجاه ، أو أن يصفى الخلاف بين مصر والاتحاد السوفييتى استعدادا لمواجهة اسرائيل ، أو ان يتبع سياسة متوازنة مع الدولتين العظميين .

وبرغم ميل السادات الى الغرب ، فانه لم يكن بمقدوره الافصاح عن حقيقة ميوله بينما احتمالات مواجهة العدو فى منطقة القناة مازالت قائمة .

لذلك دأب السادات على مهاجمة الولايات المتحدة فى خطبه العامة ، وظل على هذا النحو حتى خطاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٢ . على حين تكررت زيارات السادات للاتحاد السوفييتى فيما بين عامى ١٩٧٠ ، و ١٩٧٢ كما أخذ يشيد فى خطبه واحاديثه بالمساعدات السوفييتية . ولكى يقف السادات على نيات القادة السوفييت فيما يختص بالموقف فى جبهة القناة لاسيما احتمالات استئناف اطلاق النيران ، فقد أرسل وفدا الى الاتحاد السوفييتى فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٠ يضم على صبرى ومحمود رياض والفريق أول محمد فوزى .

وقد اتضح من خلال المباحثات أن موسكو لا تحبذ استئناف الاشتباكات فى منطقة القناة ، بل قدم الزعيم السوفييتى بريجنيف المبررات أمام حكومة مصر لمد وقف اطلاق النار ، كما وعد القادة السوفييت بتلبية احتياجات مصر من الأسلحة فيما عدا قاذفات القنابل بعيدة المدى ، والتحدث مع الرئيس الأمريكى عن حل سلمى .

لم يشأ أنور السادات أن يجدد فترة وقف اطلاق النار تلقائيا ، فأعلن فى الرابع من فبراير سنة ١٩٧١ عن مبادرة للسلام مع مد فترة وقف اطلاق النار لمدة شهر . وقد حدد السادات معالم هذه المبادرة بالتفصيل فى خطاب القناه فى أول مايو سنة ١٩٧١ . كما ابلغت مصر مبادرتها الى وزير الخارجية الأمريكية ومفهومها للجدول الزمنى وترتيبات الأمن . وقد سلم هذا الجدول الى وزارة الخارجية الأمريكية فى ٥ مايو ١٩٧١ .

وحدد الجدول انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المصرية وقطاع غزة فى مرحلتين : —

١ — المرحلة الأولى :

— تنسحب القوات الاسرائيلية الى خط يمتد من العريش الى راس محمد .

— يبدأ فى تطهير قناة السويس .

— تعبر القوات المصرية قناة السويس .

— يتم تحديد موعد للانتهاء من المرحلة الأولى .

٢ — المرحلة الثانية :

— تنسحب القوات الاسرائيلية انسحابا كاملا الى الحدود الدولية المصرية ومن قطاع غزة .

— تعود الأوضاع الادارية بقطاع غزة الى ما كانت عليه قبل يونية ١٩٦٧ .

— يتم تحديد موعد للانتهاء من المرحلة الثانية .

وقد حدد السادات مدة ستة أشهر بعد استئناف الملاحة فى القناة للانسحاب الكامل من سيناء .

٣ — الأمم المتحدة :

— تضمن الأمم المتحدة وتشرف على انسحاب القوات الاسرائيلية خلال المرحلتين .

— ترابط قوات الأمم المتحدة فى قطاع غزة وشرم الشيخ .

٤ — المنـاطق منزوعـة السـلاح :

توافق الجمهورية العربية المتحدة على اقامة مناطق منزوعة السلاح شريطة أن تكون على جانبى الحدود ولمسافات متساوية .

٥ — وقف اطـلاق النـــار :

يصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول عند البدء فى اتخاذ الخـطوات العملية لتنفيذ المرحـلة الأولى .

٦ — اذا اخلت اسرائيل بالتزاماتها يكون للقوات المسلحة المصرية حق العمل وفقا لالتزام — من وجهة نظر القانون والمبدأ — بالتحرير الشامل لكافة الأراضى العربية المحتلة .

ولم توافق اسرائيل على المبادرة المصرية كخطوه على طريق تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

كما أعلنت رفضـها للشرط الخاص بانسـحاب قواتها من الضفة الشرقية للقنـاة ، ثم أكـد وزير دفاعها أنه ليس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من أفضل خط اسـتولت عليه . ثم عادت جولدا مائير لتعلن « أنها ترى أن يكون الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس منفصلا لا صلة له على الاطلاق بمهمة السفير جونار يارنج ولا بمباحثات الدول الكبرى » .

وعلى الرغم من عدم اهتمام الأمريكيين بعرض السلام ، فقد ألقى وزير الخارجية الأمريكية خطابا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٤ أكتوبر سنة ١٩٧١ يحث فيه الأطراف المعنية على المضى قدما فى سبيل تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ .

ويبدو أن السادات كان يقصد بهذه المبادرة احراج اسرائيل واقناع الولايات المتحدة بعدم جدية اسرائيل فى الانسحاب . وقد استغلت مصر هذا الموقف وكثفت اتصالاتها السياسية وجهودها الدبلوماسية للتركيز على تعنت اسرائيل وعدم رغبتها فى السلام .

ولما كانت المبادرة تتضمن تأكيدا باستئناف القتال اذا لم تقبل فى خلال تمبزر ، فقد خشى السادات من تحرج موقفه فى الداخل اذا انتهت المهلة دون تنفيذ . لذلك فقد قام بأول زيارة للاتحاد السوفييتى بعد توليه السلطة فور انتهاء شهر المهلة . وقد كشفت مباحثات السادات فى موسكو عن نعذر الحل العسكرى فى ذلك الوقت ، فقد كان الاتحاد السوفييتى يعارض فكرة الحرب تماما ويحبذ البحث عن الحلول الدبلوماسية ، ومن ثم لم يكن هناك أمام السادات سوى الحل السياسى .

ولما كان السادات يدرك تماما أن مفتاح حل القضية فى يد الولايات المتحدة ، فقد رحب بزيارة وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكية للقاهرة فى مايو ١٩٧١ ، وأحاطه بكل مظاهر الود والتكريم ، ولكن خاب ظن أنور السادات فى الولايات المتحدة بعد أن تبين له من محادثاته مع روجرز أن التفكير الأمريكى ينصب على تثبيت وقف اطلاق النار فقط .

خشى الاتحاد السوفييتى أن يحدث تحول فى سياسة مصر الخارجية فى اعقاب زيارة روجرز لمصر ، لذلك فقد سارع وفد سوفييتى برياسة بودجورنى رئيس الدولة فى الاتحاد السوفييتى الى الحضور الى مصر . وقد عرض عقد معاهدة صداقة فاستجابت الحكومة المصرية ووقعت معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتى فى ٢٧ مايو سنة ١٩٧١ .

وكانت هذه المعاهدة مفيدة لمصر ، اذ نصت على تزويدها بالأسلحة اللازمة للدفاع عن نفسها . وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن تلك المعاهدة لم تشكل قيدا على حرية مصر فى ادارة شئونها الخارجية أو الداخلية ، اذ لم تمنع مصر من سحب الخبراء السوفييت فى العام التالى .

سعى السادات بدأب خلال عام ١٩٧١ للحصول على أسلحة هجومية من الاتحاد السوفييتى دون جدوى حتى انتهى عام ١٩٧١ دون حسم .

وقد شكا أنور السادات فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، الذى انعقد برياسته فى ٢ يناير ١٩٧٢ من أن « الاتحاد السوفييتى لم يمدنا

بما وعـــدنى به فى أكتوبر الماضى . ان الاتفاقيـــة التى وقع عليها اللواء عبد القادر حسن مؤخرا فى موسكو لم تشمل الأصناف كلها التى وعدنى بها القادة السوفييت » .

وكانت الحجة التى ساقها بريجينيف السكرتير الأول للحزب الشيوعى السوفييتى لتفسير حجب الأسلحة الهجومية عن مصر — كما عبر عنهـــا للفريق محمد أحمد صادق أثناء زيارته لموسكو فى الفترة من ٨ — ١٣ يونية ١٩٧٢ — هى « أن تحرير الأرض يتطلب أولا بناء الجيش الدفاعى لمنـــع العدو من توسيع رقعة الأرض التى يحتلها ، وبعد ذلك يجرى بناء الجيش الهجومى الذى يقوم بتحـــرير الأرض التى يحتلها . لكن قبل بناء الجيش الهجومى يجب التـــأكد ممـــا اذا كان الجيش سيحارب أم لا ؟ اذ قـــد لا يحارب الجيش بعد كل هذا » .

لقـــد اجتمعت عـــدة عوامل أدت الى اهتزاز العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى أهمها اقصاء مجموعة على صبرى فى حركة الصراع على السلطة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، تلك المجموعة التى كانت تميـــل الى التعاون مع الاتحاد السوفييتى . كذلك كان جمال عبد الناصر قد فتح باب الحوار مع الأمريكيين بندائه الى الرئيس الأمريكى نيكسون فى أول مـــايو سنة ١٩٧٠ وقبوله مبادرة روجرز ، وكان يتعين على أنور السادات المضى فى هذا الحوار .

فضلا عن أن السوفييت كانوا يتشككون فى ارادة القتال لدى رئيس مصر وجيش مصر . ففى زيارة السادات للاتحاد السوفييتى فى أبريل سنة ١٩٧٢ صـــارحه وزير الدفاع السوفييتى المارشال جريتشكو قائلا « ان المتطلبات الثلاثة الرئيسية لحرب ناجحة هى : الســـلاح ، والتدريب ، وارادة القتال » ، ثم أردف قائلا « ان المطلبين الأولين متوافران لديكم ، أما المطلب الثالث فلكم أن تستشيروا ضميركم بشأنه » !

وبعد أن فقد أنور السادات الأمل فى الولايات المتحدة ، وفى امكانية الحصول على أسلحة هجومية من الاتحاد السوفييتى ، فانه لم يجـــد من

خيار أمامه سوى الحل السياسى . لذلك فقــد رأى أن ينقل أفكاره الى قادة الاتحاد السوفييتى ، فكتب رسالة الى بريجينيف فى ٧ مايو ســنة ١٩٧٢ يقول فيها انه « لا يمكن الوصول الى حل سياسى الا اذا اســتمر الضغط على الولايات المتحدة واسرائيل ، والا اذا أجبرت اسرائيل على أن تفهم أن ميزان القوى العسكرية ليس فى صالحها » .

ولكن جــاءت مشــكلة الشرق الأوسط فى ذيل اهتمامات الدولتين العظميين اثناء محادثات مؤتمر القمة الأمريكى السوفييتى ، الذى انعقد فى موسكو فى المدة من ٢٢ — ٣٠ مايو سنة ١٩٧٢ . وعلى هامش المؤتمــر تم الاتفاق بين هنرى كيسنجر وأندريه جروميكو على ورقة عمل تجريبية تضمنت المبادىء الآتيــة :

ان الهدف النهائى الذى يبقى هو الحل الشامل بالانسحاب الاسرائيلى من اراضى عربية محتلة ، ويجوز تنفيذ ذلك على مراحل . كما يمكن الاتفاق على وجود مناطق منزوعة السلاح ووضــع قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ بصورة دائمة ، وانهاء حالة الحرب ، وحرية الملاحة فى الممرات المــائية ، وحل مشــكلة اللاجئين الفلسطينيين حســب قرارات الأمم المتحدة وضمان الدولتين لهذه المبادىء .

وقد رأى السادات فى هــذا الاتفاق تراجعا من الاتحاد السوفييتى سيما فيما يختص بموافقته على التفسير الأمريكى للقرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . كما عاد الفريق محمد أحمد صادق من موسكو فى يونية سنة ١٩٧٢ مؤكدا ان السوفييت يرون تهدئة الموقف . وهنا فقد الوجود السوفييتى فى مصر مبرر بقائه ، ومن ثم كان قرار أنور السادات فى ٦ يوليو سنة ١٩٧٢ انهاء خدمة الخبراء السوفييت فى مصر . وقد فسر أسباب هذا القرار — فيما بعد — فى مذكراته حين قال « من بين هذه الأسباب طبعا موقف الاتحــاد السوفييتى منا ، ولكن كان هنــاك ســبب آخر مهم هو أننى قــد بنيت اســتراتيجيتى على اســاس ألا أبدأ المعــركة وعلى أرض مصر خبراء ســـوفييت » .

وعلى أية حال ، فقد كان التخلص من الوجود العسكرى السوفييتى على الأراضى المصرية خطوة فى الاتجاه الصحيح ، لأن هذا الوجود كان يتعارض مع المبادىء الأساسية للسياسة الخارجية المصرية . كما ان هذا الوجود لو كان قائما ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ لنسب اليه فضل الانجاز العسكرى الكبير الذى حققته القوات لمسلحة لمصرية .

استاء الاتحاد السوفييتى من أسلوب السادات فى الاستغناء عن الخبراء السوفييت ، على أساس أنه لا يليق اتباع هذا الأسلوب مع دولة عظمى .

ويبدو أن السادات راجع نفسه فيما بعد بشأن أسلوب الاستغناء عن الخبراء فعبر عن أسفه فى الخطاب الذى القاه فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٢ ، اذ قال : ان الولايات المتحدة لم تقدر قراره حق قدره ثم أخذ يسترضى السوفييت .

وفى أكتوبر من نفس العام قام الدكتور عزيز صدقى بزيارة للاتحاد السوفييتى أسفرت عن استئناف شحنات السلاح السوفييتى بمعدلات أفضل مما كانت ابان وجود الخبراء . وقد شهد شهر أكتوبر أيضا اقالة الفريق محمد أحمد صادق المعروف بعدائه للسوفييت وتعيين اللواء أحمد اسماعيل على وزيرا للحربية .

وعلى الرغم من التحسن النسبى فى العلاقات المصرية السوفييتية ، فقد تحول السادات الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق اجراء الاتصالات السرية معها ، فأوفد حافظ اسماعيل ، مستشاره للأمن القومى ، فى مارس سنة ١٩٧٣ الى الولايات المتحدة حيث قابله الرئيس نيكسون — على الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة — وعرض عليه مشروعا يقوم على أساس الحل المنفرد والجزئى مع احتفاظ اسرائيل ببعض المواقع اللازمة لأمنها دون تحديد مدة زمنية . وقد أقنع هذا المشروع أنور السادات باغلاق الباب الأمريكى والاتجاه نحو الحل العسكرى . لذلك فقد أعيد تشكيل الوزارة المصرية ورأسها أنور السادات

لتتحول الى وزارة حرب فى الوقت المناسب ، واتسمت تصريحات السادات بعد ذلك بالروح العدائية تجـاه الولايات المتحدة حتى بلغت الذروة فى خطاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٣ .

تطور الأوضاع العسكرية :

كانت المهمة العاجلة للقوات المسلحة المصرية اثر هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ انشـاء خط دفاعى غرب القناة بهدف صد وتدمير العدو الذى يحاول اقتحام قناة السويس ومنعه من الاستيلاء على مدن القناة .

وفى نفس الوقت بدأ التخطيط الاستراتيجى العسكرى لاعادة بنـاء القوات المسلحة المصرية ووضع خطة عسكرية للدفاع عن منطقة القناة .

وبعد جهود مضنية ، تم اعداد « الخطة الدفاعية ٢٠٠ » وصـدق عليها رئيس الجمهورية قبل نهاية عام ١٩٦٧ .

ويمكننا من واقع السجل التاريخى والأحداث التى وقعت فى السنوات الست السابقة على حرب أكتوبر تقسيم تلك الفترة الى ثلاث مراحل هى : مرحلة الصمود ، ومرحلة حرب الاستنزاف ومرحلة ايقاف النيران .

مرحـــلة الصمود :

بدأت مرحلة الصمود فى أعقـاب حرب يونيو ١٩٦٧ واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ . وقد التزمت فيها القيادة المصرية بتهدئة الموقف لاتاحة الفرصة المواتية لاعادة البناء وتجهيز الدفاع عن جبهة القناة . كما تميزت هذه المرحلة بكثرة الضغوط السياسية لاجبار مصر على قبول حل منفـرد عن طريق المفاوضات المباشرة مع اسرائيل .

وعلى الرغم من ضبط النفس والتقيد الصارم بايقاف النيران ، فقـد شهدت تلك المرحلة بعض الملاحم الفذة التى أعادت الى المقاتل المصرى الثقة بنفسه وبسلاحه وأكدت ارادته الصلبة .

وكانت اولى المـلاحم معركة راس العش ... حيث تقـدمت سرية

دبابات اسرائيلية (١١ دبابة) تدعمها فصيلة مشاة ميكانيكية وفصيلة مهندسين صباح أول يوليو ١٩٦٧ للاستيلاء على بورفؤاد ، فتصدت لها قوة مصرية صغيرة مكونة من فصيلة مشاة وفصيلة صاعقة وعنصر محدود مضاد للدبابات ، كانت تحتل موقعا شرقى وجنوبى مدينة بورفؤاد ، نجحت فى صد هجمات العدو الثلاث وكبدته خسائر فادحة مرغت كبرياءه وأجبرته على الانسحاب .

وفى نفس الأسبوع نجحت مجموعة من قوات الصاعقة فى تدمير مخزن كبير للذخيرة على الضفة الشرقية للقناة فى مواجهة الشط ، كانت قواتنا قد تركته فى سيناء أثناء انسحابها .

وبعد اخفاق العدو فى معركة رأس العش ، نشطت طائراته الاستطلاعية فوق منطقة قناة السويس وأخذ ينظم دفاعاته ضد قواتنا ، فقامت فى الرابع عشر من يوليو عشر طائرات مصرية مقاتلة قاذفة بقذف مدفعية العدو وقواته المدرعة والميكانيكية . وما لبثت أن اشتركت معها بعض الطائرات الاسرائيلية المقاتلة التى منيت باصابتين فانسحبت بقية الطائرات من المعركة .

وفى اليوم التالى عاودت طائراته المقاتلة الظهور مرة أخرى فى سماء منطقة القناة فاشتبكت معها طائراتنا المقاتلة القاذفة من طراز ميج ١٧ فى معركتين جويتين انتهتا بانسحاب طائرات العدو . وقد أعادت تلك المعارك الجوية ثقة الطيارين بأنفسهم وبكفاءة طائراتهم .

وفى الواحد والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٦٧ اقتربت المدمرة « ايلات » أكبر قطعة بحرية للعدو من المياه الاقليمية المصرية فى منطقة بورسعيد البحرية ، ثم تجاسرت واخترقت المياه الاقليمية فخرج لتدميرها لنشان من صواريخ « كومر » السوفيتية من قاعدة بورسعيد البحرية . وقد أطلق عليها اللنش الأول ، قيادة النقيب أحمد شاكر عبد الواحد الفارح ، صاروخين فى نحو الساعة الخامسة والنصف مساء افقداها الحركة والاتصال ، فقد أصاب الصاروخ الأول أجهزة الاتصال بها واستقر

الصاروخ الثانى فى غرفة الالات . ثم بعد ساعتين أطلق عليها اللنش الثانى بقيادة النقيب لطفى جاد الله ، صاروخين أغرق أحدهما المدمرة وانفجر الآخر فى الماء . لقد أصابها اللنش الأول بالشلل التام وأفلت من النيران التى أطلقتها عليه ثم استطاع اللنش الثانى أن يهوى بها الى القاع على مسافة اثنى عشر ميلا بحريا شمال شرقى بورسعيد . وقد غرق معظم بحارة المدمرة ايلات البالغ عددهم ٢٥٠ فردا . وكانت هذه المعركة أولى معارك الصواريخ البحرية فى التاريخ ، واعتبرت دليلا على مقدرة وكفاءة القوات البحرية المصرية .

ثم بدأ رد فعل العدو اعتبارا من ٢٤ اكتوبر ١٩٦٧ بضرب مستودعات الوقود ومعامل تكرير البترول فى السويس بنيران المدفعية ، فاشتعلت فيها النيران لبضعة أيام ، وبلغت الخسائر نحو ٦٠ بالمائة من الوقود . وقد تم نقل المستودعات التى لم تصب بأضرار كذلك الأجزاء الهامة من معامل التكرير الى مناطق متفرقة فى عمق مصر . ثم انتقل العدو الى قصف المناطق المأهولة بالسكان غرب القناة ، فسارعت الحكومة المصرية الى اخلاء المواطنين المدنيين من منطقة غرب القناة الى مناطق ايواء واعاشة داخل الجمهورية . وبذلك فوتت على اسرائيل استخدام وسيلة قوية من وسائل الضغط على مصر لاجبارها سياسيا على قبول شروطها .

وفى نفس الوقت كان تجميع وتنظيم الوحدات يجرى بسرعة فائقة حتى تم انشاء أول خط دفاعى غرب القناة فى أواخر نوفمبر ١٩٦٧ ، بلغ حجم قواته خمسة ألوية مشاة مدعمة ، ولواءين مدرعين ... كنواة للجبهة التى كان قد عين لقيادتها اللواء احمد اسماعيل على فى أول يوليو ١٩٦٧ .

حرب الاستنزاف :

بدأت فى سبتمبر ١٩٦٨ واستمرت حتى ٧ اغسطس ١٩٧٠ .

ويمكن تقسيم فترة حرب الاستنزاف الى خمس مراحل :

المرحلة الأولى (٨ سبتمبر ١٩٦٨ — ١٨ ابريل ١٩٦٩) :

وقد بدأت بما عرف باسم « معركة المدافع » التى استمرت فى خمس ساعات ونصف الساعة . فقد فاجأت المدفعية المصرية بنيرانها مواقع العدو ومناطق تمركز احتياطياته ومرابض نيران مدفعيته وصواريخ ارض — ارض مما أدى الى زيادة خسائره ، فاسرع يقيم التحصينات وينشىء الملاجىء ، ثم استمر التراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثافة عاليــــة .

وفى الساعة ١٧٤٠ يوم ٢٨ سبتمبر ، بدأت المدفعية المصرية قصفا مركزا لمواقع العدو واستمر القصف لمدة يومين متتاليين . وقد دفع العدو بقواته الجوية فى محاولة لتدمير مدفعيتنا ، غير أنه اخفق تماما فبدأ يخطط لاقامة خط من التحصينات القوية على طول مواجهة القناة . وكان ذلك ايذانا بمولد خط بارليف الاول . وقد تمكن العدو من اقامة ذلك الخط برغم خسائره الكبيرة مستفيدا من سيطرته الجوية ، وبدأ تأثير نيران المدفعية يقل تدريجيا مع زيادة قوة تحصينات خط بارليف .

وتم فى هذه المرحلة استكمال بناء التشكيلات الجديدة المقاتلة ودفعها للاشتراك فى خطة الدفاع غرب القناة ، كما تم انشاء قيادتى الجيش الثانى والثالث الميـــدانيين .

وكان على العدو الاسرائيلى مواجهة تلك الأعمال بطريقته الخاصة فقامت قوات الاقتحـــام الجوى الاسرائيلية (التى تســـتخدم طـــائرات الهليكوبتر) بمهاجمة الأهـــداف المدنية فى عمق مصر مثل قناطر وكوبرى نجع حمادى وقناطر اسنا ومعسكرات أسيوط وقيادة المنطقة العسكرية بها ، كما دمرت محطة محولات الضغط العالى بنجع حمادى . وقد تمت جميع هذه الاغارات فى الليالى المقمرة مع الاقتراب المنخفض من اتجـــاه ساحل البحر الأحمر حيث لا توجد دفاعات ارضية او أجهزة انذار رادار او وسائل دفاع جوى سواء فى منطقة البحر الاحمر أو فى الصعيد .

وقد اتت المرحلة الأولى من مراحل حرب الاستنزاف بنتائج مغايرة تماما لمـــا كان يرجى منها ، وأصبح من الضرورى تأمين الأهداف الحيوية من الاغارات الاسرائيلية فانشئت قوات الدفاع الشعبى وكتائب الدفـــاع الاقليمى لتنفيذ هذه المهمة .

وقد ترتب على ذلك تأجيل حرب الاستنزاف أربعة اشهر كاملة .

وبعد أن استكملت القيادة المصرية خطة تأمين الأهداف الحيوية ، قررت استئناف حرب الاستنزاف ، فبدأ قصف المدفعية من جديد منـــذ يوم ٨ مارس ١٩٦٩ ، وكان له وقع المفاجأة الكاملة على العدو الذى لم يكن قد انتهى بعد من بناء خط بارليف .

المرحلة الثانية (من ١٩ ابريل ١٩٦٩ الى ١٩ يولية ١٩٦٩) :

بدات هذه المرحلة باول عملية عبور مصرية الى الضـــفة الشرقية للقناة ، واحتلال موقع اسرائيلى لـضع ساعات ورفع العلم المصرى عليه .

ثم ازدادت حدة الأعمال القتالية التى اتخذت شكل الاغارات البرية القـــوية بمجموعات قتال كبيرة حتى وصلت الى مستوى الكتيبة المشـــاة المدعمة ولفترات تراوحت بين يوم كامل وعدة أيام . وكانت أبرزها معركة لسان بور توفيق فى ١٠ يوليو ١٩٦٩ ، حيث تمكنت الكتيبة ٤٣ صـــاعقة ليلة ٩/١٠ يوليو من الاحتلال موقع العدو لمدة ٢٤ ساعة .

وقد كانت ابرز اعمال العدو فى تلك المرحلة هى الاغارة على موقعى رادار مصريين فى الأردن فى ٢٢ أبريل ١٩٦٩ . ثم قيام كتيبة مشاة اسرائيلية مدعمة بالهجوم الليلى فى ١٩ يوليو على سرية مشاة مصرية كانت تحتـــل الجزيرة الخضراء . وقـــد نجحت القوة المصرية بمعاونة مدفعية الجيش الثالث الميدانى من صد وتدمير العدو فانسحبت فلوله تاركة خلفها معداتها وانشاءاتها المدمرة .

المرحلة الثالثة (من ٢٠ يوليو الى ٦ يناير ١٩٧٠) :

فى الثالث عشر من يوليو ١٩٦٩ ، حصـل موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى على موافقة اللجنة االوزارية الاسرائيلية للدفاع على قرار دفع القوات الجوية الاسرائيلية الى المعركة . وقد اضطرت القيادة لسياسية العسكرية الاسرائيلية الى اشراك قواتها الجوية فى القتال حين تزايدت القدرات العسكرية المصرية مما أدى االى اطراد الخسـائر الاسرائيلية لاسيما البشرية . ويوضح زئيف شيف سبب قرار دفع الطيران الاسرائيلى الى المعركة بقوله « كان السبب المباشر هو عملية العبور التى قامت بها وحدة مصرية يوم ١٠ يوليو ١٩٦٩ فى منطقة بور توفيق واحتلت الموقع لمدة ٢٤ ساعة . وكان هذا ابرز نجاح حققه المصريون ، وبات من الواضـح أنه سوف يحفزهم على بذل نشاط آخر . وكان لابد من ايقافهم بسرعة . واستمرت خسائرنا تتزايد الى أن اتخذ القرار الحاسم بدفع سلاح الطيران الى المعـركة » .

وفى ٧ سبتمبر ١٩٦٩ اعلن رئيس الأركان العامة الاسرائيلية « لقد قامت طائراتنا بنحو ١٠٠٠ غارة فوق الجبهة المصرية منذ ٢٠ يوليو الماضى ، وهدف هذه الاغارات هو تخفيف حدة العمليات البرية على طول قنـاة السويس . ولكن يجب أن يكون مفهوما لنا أن اسرائيل لا تستطيع اجبار مصر على الالتزام الكامل بوقف اطلاق النار » .

وقد ركزت اسرائيل فى هذه المرحلة فى المقام الأول ، على توسيع ميدان القتال مع مصر لتجبرها على نشر قواتها فى اتجاهات ثانوية وفرعية ، ليقل الحشد المصرى على الجبهة الرئيسية . ثم أخـذت القيادة الاسرائيلية تخطط لفتح ممر جوى على الجبهة تتسـلل منه الطائرات الاسرائيلية الى عمق الأراضى المصرية — بعد تدمير عناصر الدفاع الجـوى — لتستدرج القوات الجوية المصرية الى معارك غير متكافئة بهدف اضعافها والحد من نشـاطها .

وتنفيذا لهذه الخطة دابت الطائرات الاسرائيلية من اواخر اغسطس

الى أوائل نوفمبر ١٩٦٩ على قذف مواقع الرادار ومواقـــع الصـــواريخ المضادة للطائرات على طول جبهة القتال وعلى امتداد خليج السويس .

وفى فجر يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ ، انزل العدو مجموعة سرية دبابات برمائية (٩ دبابات) على شاطىء الزعفرانة ، التى تبعد نحو مائة كيلومتر عن جنوب السويس ، قضت على نقطة الحدود المكونة من خمسة أفراد ثم قطعت طريق السويس — الغردقة الساحلى وخط التليفون الهوائى . وقام العدو بتصوير فيلم عن عملية الانزال البحرى ، واستمرت قواته فى منطقة الزعفرانة لمدة ست ساعات مستغلة خلوها من القوات المصرية ، ثم أبحرت عائدة الى الشاطىء الشرقى لخليج السويس .

وقد استهدفت هذه العملية تقويض الاتفاق الذى تم بين دول المواجهة العربية فى المؤتمر الرباعى للجبهة الشرقية والكشف عن نقاط الضعف فى خطة الدفاع المصرية . وقد اثرت عملية الزعفرانة تأثيرا سيئا على موقف اللواء احمد اسماعيل رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة المصرية انذاك ، فأعفى من منصبه واصيب عبد الناصر بنوبة قلبية الزمته الفراش لمـــدة ثلاثة اســـابيع .

واذا كان الابرار الجوى فى الزعفرانة يمثل ذروة العمليات الاسرائيلية، فقد سبقته ليلة ٢٨/٢٧ اغسطس اغارة كوماندوز على مركز تدريب ضباط الصف ومنطقة تجنيد منقباد . كما وجه العدو ليلة ٨/٧ سبتمبر اغـــارة اخرى على قاعدة الادبية البحرية . وفى ديسمبر ١٩٦٩ ، أغار على القاعدة البحرية المصرية فى ميناء سفاجة على البحر الأحمر .

وفى ليلة ٢٤/٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، اغـــار العدو بطائرتى هليكوبتر تقلان جماعتى كوماندوز على رادار انذار ب ١٢ فى منطقة رأس غـــارب لم يكن مدافعا عنه . وقد تمكن العـــدو من فك الجهاز ونقله فى طـــائرتى الهليكوبتر الى اسرائيل . وقد كان لهذه الاغارة تأثير نفسى شـــديد على القوات المصرية المتمركزة فى منطقة البحر الأحمر العسكرية ، كما أثبتت

القصور الشـــديد فى تنظيم التعاون بين القوات البرية وقوات الدفـــاع الجـــوى .

وعلى الرغم من عنف الاستنزاف الاسرائيلى المضاد ، فقد استمرت القوت المصرية فى اعمالها الهجومية ، فشنت القوات الخاصة هجمـــات ناجحة على القوات الاسرائيلية فى عمق سيناء . كما استأنفت القـــوات الجوية المصرية هجماتها المركزة على الأهداف الإسرائيلية ، كانت أهمها تلك الغارات التى شنتها ستون طائرة مصرية على القوات الاسرائيلية فى سيناء يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩ .

كما قامت وحدة مصرية خاصة محمولة جـــوا فى ٢٨ سبتمبر بهجوم على مركز للعدو فى مصفق . وفى ٢ اكتوبر ١٩٦٩ ، أعلنت مصر عن قيامها بهجوم مماثل على القوات الاسرائيلية فى خليج السويس ، ثم أعقبه بأسبوع واحد قيام وحدة مصرية خاصة تتكون من ٢٥٠ جنديا بعبور القناة وتدمير أحد المواقع المعـــادية ، كما اسرت فى نفس الشـــهر ضـــابطا اسرائيليا دوية من اللـــواء ١١٧ المشـــاة . وفى ٢٦ اكتوبر دمر سربان من المقاتلات القاذفة المصرية من طراز ميج ١٧ كتيبتى صواريخ هوك مضادة للطائرات على المحورين الشمالى والأوسط فى سيناء .

كما قامت القوات البحرية بأعمال ناجحة ضد العدو ، ففى ٩ سبتمبر ١٩٦٩ اقتربت مدمرتان مصريتان تعاونهما بعض اللنشـــات البحرية من بحيرة الردويل وقصفتا معسكرات رمانة الاسرائيلية قصفا مركزا لمـــدة ثلاثين دقيقة . وقد نجم عن القصـــف خسائر كبيرة فى الأفراد والمعـــدات والمنشآت . وقد عادت جميع القطع البحرية المصرية سالمة الى قاعدتها البحرية . كذلك فقد قامت لنشات البحرية بابرار فصيلة صاعقة مصرية فى منطقة المساعيد على شاطىء سيناء الشمالى ، ونجحت الفصيلة فى قطع الطريق الرئيسى الى العريش ، وهاجمت وحـــدة اسرائيلية ثم عادت الى قاعدة بورسعيد البحرية . أما اللنشات البحرية فى البحر الاحمر فقـــد قصفت ميناء رأس نصرانى وأبورديس وسدر ، كما شنت الضفادع البشرية

هجوما على ميناء ايلات الاسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٩ فأغرقت ثلاث قطع بحرية داخل الميناء .

وقبل أن ينتهى عام ١٩٦٩ ، قامت سرية مشاة مصرية بالاستيلاء على موقع العدو جنوب جزيرة البلاح فى هجوم ليلى صامت ورفعت القوة علم مصر على أعلى نقطة فى الموقع . وقد حاول العدو استرداد الموقع فى أول ضوء ولكنه أخفق ، ثم صدرت الأوامر الى القوة المصرية بالانسحاب بعد أن حققت مهمتها بنجاح تام .

المرحلة الرابعة (من يناير ١٩٧٠ الى ١٣ أبريل ١٩٧٠) :

اتسمت هذه المرحلة بقصف أهـــداف عسكرية ومدنية فى العمق مع استمرار الغارات الاسرائيلية على القوات المصرية فى جبهة القناة .

وكانت القوات الجوية الاسرائيلية قد نجحت فى فتح ممر جوى على الجبهة ، بعد تدمير عدد كبير من عناصر الدفاع الجوى المصرى . وبنهاية عام ١٩٦٩ كان الدفاع الجوى المصرى قد انهار تماما وأصبحت ســـماء مصر مفتوحة امام الطائرات الاسرائيلية . وقد شجع هذا الموقف القيـــادة الاسرائيلية على ضرب الأهداف المصرية فى العمق ، فقامت الطـــائرات الاسرائيلية بقذف معسكرات دهشور وهاكستب وأنشاص والتل الكبير ، ومصنع أبى زعبل ، ومدرسة أطفال بحر البقر .

وقـــد دفع هـــذا التصـــعيد الاسرائيلى الموقف الى الذروة ، فقام عبد الناصر بزيارة سرية للاتحـــاد السوفييتى فى الفترة من ١٩٧٠/١/٢٢ الى ١٩٧٠/١/٢٥ وطلب من الزعماء السوفييت وحدات صواريخ سوفييتية طراز سام ٣ ، واسرابا من طائرات الميج ٢١ المعدل بطيارين سوفييت ، واجهزة رادار متطورة للانذار بأفرادها ، كما كرر عبد الناصر طلب طائرة قاذفة بعيدة المدى لردع اسرائيل . وقد وافق السوفييت على امداد مصر بفرقة كاملة من صواريخ سام ٣ بأفرادها ومعداتها ، وثلاثة ألوية جوية من طراز ميج ٢١ المعدل بكامل افرادها ومعداتها واجهزتها للدفاع الجوى عن العمق المصرى ، بالاضافة الى ٥٠ طائرة سوخوى ٩ ، وعشر طائرات

ميج ٢١ تدريب ، وأربعة أجهزة رادار ب ١٥ . على أن يكون وجود القوات السوفييتية فى مصر مؤقتا لحين استكمال تدريب نظائرها من قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية . وقد وصلت الأسلحة والمعدات والجنود السوفييت الى ميناء الاسكندرية يوم ١٩٧٠/٢/٢٥ ، وبذا أصبح الوجود السوفييتى فى مصر حقيقة واقعة ، وأصبح أيضا رادعا سياسيا وعسكريا لكل من اسرائيل والولايات المتحدة . كما أنه بوصول الدعم الجوى من الطائرات ، استكمل حجم القوات الجوية المقرر طبقا للخطة .

واستمر العدو فى تصعيد أعماله الهجومية ، فقام ليلة ٢٣/٢٢ يناير ١٩٧٠ بمهاجمة الجزء الجنوبى من جزيرة شدوان ، التى تقع فى مدخل خليج السويس الجنوبى أمام ميناء الغردقة ، بقوة تقدر بكتيبة ابرارجوى منقولة فى طائرات هليكوبتر تعاونها مجموعة لنشات بحرية وسرب طائرات مقاتلة قاذفة . وكانت تدافع عن جنوب الجزيرة سرية مشاه مدعمة برشاشات متوسطة وهاونات بالاضافة الى سرية مدفعية خفيفة مضادة للطائرات ولنشين بحريين .

وقد قام سرب المقاتلات القاذفة الاسرائيلى بالقذف العنيف لمواقع السرية ، ولكنه لم يتمكن الا من تدمير اللنشين ، وقد تشبثت السرية بدفاعاتها واشتبكت مع العدو المهاجم بمعاونة نيران مدفعية منطقة البحر الأحمر التى دفعتها قيادة المنطقة الى الشاطىء الغربى للخليج .

وقد اضطر العدو الى الانسحاب بعد ٨ ساعات من بدء الهجوم ، وبذا أخفق العدو فى الاستيلاء على جزيرة شدوان .

وخلال هذه الفترة من الاستنزاف المضاد ، استطاعت القوات المصرية أن تستمر فى عملياتها الهجومية النشطة ، وكانت أبرزها غارات الطائرات المصرية على المواقع الاسرائيلية شرقى بحيرة لتمساح وفى منطقة العريش يوم ٢٤ يناير ١٩٧٠ . ثم كانت العملية « شمير » فى ١٥ فبراير ١٩٧٠ ، وهى اغارة ليلية بقوة سرية مشاة مدعمة على موقع العدو الحصين شمال جزيرة البلاح .

كما هاجمت الضفادع البشرية المصرية ميناء ايلات يوم ٦ فبراير واغرقت سفينتين محملتين بالمعدات والذخيرة . وقد اعترف رئيس الأركان الاسرائيلى بدقة وبراعة تنفيذ هذه العملية التى تماثل الهجوم الذى شنته الضفادع البشرية فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٩ .

المرحلة الخامسة (من ١٣ أبريل ١٩٧٠ الى ٧ أغسطس ١٩٧٠) :

تميزت هذه الفترة بايقاف اسرائيل غارات العمق وهى مجبرة اعتبارا من ١٩٧٠/٤/١٨ ، وقد جاء قرار اسرائيل وقف غارات العمق تحت ضغط المفاجأة الاستراتيجية التى حققتها مصر بادخال صواريخ الدفاع الجوى سام ٣ الى العمق لمصرى . وبايقاف غارات العمق انقلب الوضع الاستراتيجى وتمكنت مصر من الانتقال الى المرحلة الهجومية ، اذ ركزت كل قواها فى منطقة الصدام المباشر على امتداد قناة السويس فى شكل هجمات جوية وبرية تميزت بالعنف والكثافة . وقد كانت الملامح الأساسية للخطة المصرية كما يلى :

١ ـ حشد جميع الطاقات العسكرية وتركيزها فى جبهة القتال الرئيسية لمواصلة الضغط على الخطوط الأمامية الاسرائيلية .

٢ ـ تحريك أنظمة صواريخ الدفاع الجوى المصرية الى جبهة القناة لتخفيف حدة التفوق الجوى الاسرائيلى ، وتهيئة الحماية المناسبة لأية أعمال هجومية تتم مستقبلا .

٣ ـ القيام بالغارات الجوية والاغارات البرية الخطوط الاسرائيلية الأمامية والخلفية لاستكمال سلسلة الحلقات فى الحرب النفسية .

وقد كانت مصر تدرك أن نجاحها فى دفع كتائب الصواريخ الى الخطوط الأمامية سيؤدى الى تحقيق هدف مزدوج هو فقدان اسرائيل السيطرة الجوية فوق المواقع المصرية ، وأيضا فوق المواقع الاسرائيلية الأمامية . لذلك جرت على أرض مصر معركة كبرى عرفت باسم « معركة بناء حائط الصواريخ » . وقد نجح العدو فى رصد عملية بناء قواعد الصواريخ ،

وبدأ منذ أول مارس ١٩٧٠ فى القذف العنيف لشبكة الدفاع الجوى المصرى فى الجبهة لمنع توسيعها واقترابها من القناة .

وعلى الرغم من الغارات الجوية الاسرائيلية المكثفة ، فقد شـــهد مطلع مايو ١٩٧٠ أكبر تجمع للصواريخ غرب القناة . ولم تبق سوى مرحلة نقل حائط الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة .

وفى ١٠ مايو ١٩٧٠ ، صرح موشى ديان « بأن اسرائيل لن تسمح باقامة أنظمة صواريخ سام ٣ على قناة السويس ، واكد انها لن تقوم بأية عمليات عسكرية خارج نطاق الدفاع عن مواقعها الأمامية » ، الا ان قوات الدفاع الجوى المصرية تمكنت فى ٣٠ مايو من اسقاط طائرة استطلاع الكترونى للعــــــدو .

وقد ركزت اسرائيل غاراتها الجوية على المواقع الأمامية الجبهـــة المصرية على طول القناة ، كما تعقب ســـلاحها الجوى المحاولات المصرية المستمرة لبناء قواعد الصواريخ على الجبهة . وقد بلغت جملة خسائر مصر خلال شهر يونيو ٦٧٨ شــــهيدا وجريحا ، وتحملت قوات الدفـــاع الجوى أعلى نسبة خسائر بين سائر التخصصات الأخرى (٤٧ر٤٣٪) ، ممـــا أكد تركيز اسرائيل فى المقام الأول على تدمير وسائل الدفاع الجـــوى ومنع اقترابها من ضفة القناة . وعلى الرغم من أصعب الظروف واقساها ، فقد شـــهدت ليلة ٢٩/٣٠ يونية ١٩٧٠ دخول أولى وحـــدات الصواريخ وتمركزها فى الخطوط الأمامية — اذ كان الدفاع الجوى فى الجبهة يعتمد على المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ سام ٧ التى تطلق من الكتف — . وقد لعبت القوات الجوية المصرية دورا أساسيا فى المساعد المباشرة لرجال الدفاع الجوى والعاملين فى انشاء قواعد الصواريخ بقيامها بغارات مركزة ضـــد مواقع العدو حتى وســـط ســيناء فى الفترة من ١٩٧٠/٤/١٨ الى ١٩٧٠/٤/٢٤ . وبدخول صواريخ سام ٣ الى الجبهة ، بدأ أسبوع تساقط الطائرات الاسرائيلية . وعلى الرغم من عنف غارات العدو الجوية فقـــد استمرت أعمال انشاء مواقع الصـــواريخ التبادلية ، وبلغ الصراع بين الطائرة والصاروخ الذروة فى أواخر شهر يونية وطول شهر يوليو ١٩٧٠ .

وقد نجحت وحدات الصواريخ المصرية فى ٣٠ يونية ١٩٧٠ فى تدمير ٨ طائرات فانتوم وسكاى هوك واسر خمسة طيارين أحياء ، كما تم تدمير طائرتين فى ٧/٢ ، وثلاث طائرات فى ٧/٣ ، وطائرتين فى ١٩٧٠/٧/٦ وجميعها من نوع الفانتوم .

وقد تمكن جمال عبد الناصر اثناء زيارته لموسكو فى الفترة من ٦/٢٩ الى ١٩٧٠/٧/١٧ من الحصول على موافقة الاتحاد السوفييتى على امداد مصر بشبكة أجهزة الكترونية متطورة لرفع كفاءة نظام الدفاع الجوى المصرى . وقد وصلت شبكة الأجهزة الالكترونية وبأطقمها السوفييتية وتمركزت فى المواقع المحددة لها .

كما تم توريد لواء صواريخ سام ٦ بكامل معداته وأجهزته وبأطقمه السوفييتية للدفاع عن السد العالى وخزان اسوان . ولم يدخل هذا اللواء ولا طائرات الميج ٢٥ الأربع ، التى أرسلت لدعم الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى ، أو طائرات الاستطلاع الاستراتيجية والفرقاطات الثلاث المزودة بصواريخ سام ٦ والتى تمركزت فى مدخل ميناء بورسعيد فى صفقة الأسلحة التى عقدت مع الاتحاد السوفييتى نتيجة لقاء القمة الخامس ، انما احتسبها الاتحاد السوفييتى معارة للقوات المسلحة المصرية .

وقد نجحت قيادة قوات الدفاع الجوى فى تحريك ١٤ كتيبة صواريخ الى الشاطىء الغربى لقناة السويس مباشرة قبيل منتصف ليلة ٨/٧ اغسطس ١٩٧٠ ، حيث كان وقف اطلاق النيران المؤقت يبدأ الساعة الواحدة من صباح يوم ٨ اغسطس ١٩٧٠ .

أما فيما يختص بالعمليات البرية ، فقد هاجمت كتيبة صاعقة فى أول مايو سنة ١٩٧٠ نقطة حصينة للعدو على الشاطىء الشرقى للقناة شمال القنطرة وقضت على جميع أفراد الموقع واستولت على الأسلحة والمعدات والوثائق الموجودة به ، واحتلت الموقع لمدة يوم كامل ، ونصبت ثلاثة كمائن علا طريق امداد العدو .

وهكذا ظلت القوات المسلحة المصرية تبذل المزيد من الجهد للاحتفاظ بالطابع الهجومى لعملياتهـا بعـد مرحلة الانتشار التى انجزتها بسرعة ونجاح كاملين فى المرحلة السابقة . ومن الأمثلة الجريئة لهـذه العمليات اغـارة الطائرات المصرية يوم ٢٣ أبريل على مستعمرة « ناحال يام » فى شمال سيناء على بعد ١٠٠ كيلومتر شرقى القناة . وفى ٢٥ أبريل هاجمت قاذفات القنابل الخفيفة « الاليوشن ٢٨ » المواقع الاسرائيلية قرب العريش. وقد احتلت قوة مصرية مكونة من ٢٠٠ جندى ، موقعا اسرائيليا فى القطاع الجنوبى من القناة وقضت على أفراده ودمرت أسلحته ومعـداته وذلك فى السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٧٠ .

وفى ٣٠ مايو ، قصفت وحدة مصرية بحرية خاصة مركز قيادة اسرائيلى فى خليج السـويس .

وقد شهدت هذه المرحلة فى الأشهر الأخيرة حربا اليكترونية محمومة ، واستخدام الأسـلحة المتطورة من الجانبين خلال المعارك المحتدمة بين الطيران الاسرائيلى وقوات الدفاع الجوى المصرية .

وقد اتسمت هذه المرحلة ايضا بارتفاع معدل القتلى الاسرائيليين . فطبقا لما سمحت اسرائيل باعلانه فقد بلغ عدد القتلى ٩ فى مارس ، ثم ٣٧ فى أبريل ، ثم ٣١ فى مايو .

وفى ٢٤ يونيو ١٩٧٠ تقدم وليام روجرز بمبادرة أمريكية استجاب لها الجانبان المصرى والاسرائيلى وتوقف القتال فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

آثار حـرب الاسـتنزاف :

اولا ـ على مصر :

(أ) عسـكريا :

امتلكت مصر زمـام المبادأة العسكرية من بدء حرب الاستنزاف الى ما قبل دخول الطيران الاسرائيلى المعركة فى ١٩٦٩/٧/٢٠ .

وقد أفادت حرب الاستنزاف بفضل معاركها المتعددة القوات المصرية

وهيأت لها أفضـــل فرص التدريب العملى واكتساب خبرة القتال الفعلى والوقوف على نقاط القوة والضعف فى العدو ، كما أتاحت الفرصة المواتية لاختيار القادة العسكريين الأكفاء وتمكينهم من التعرف على الفكر العسكرى الاسرائيلى فى التطبيق الميدانى . وبفضل حرب الاستنزاف تطور السلاح المصرى ليـــوائم الواقــع .

الا ان المخطط العسكرى المصرى لم يحكم الضـــوابط الحقيقية التى يتحكم بها معدل التصعيد فى سلم الاستنزاف قبل أن يمارسه عمليا فى الميدان فما حدا بالقيادة الاسرائيلية ان تدفع قواتها الجوية الى المعركة خـــلال المرحلة الثالثة من حرب الاستنزاف بهدف نزع الغطاء الجوى المصرى وفق خطة مدروسة . وقد استطاعت القوات الجوية الاسرائيلية أن تمرح فى سماء مصر المفتوحة بعد انهيار الدفاع الجوى المصرى .

وقد دى ذلك الموقف الى زيادة الخسائر المصرية فى الأفراد والأسلحة والمعدات فضلا عن الخسائر التى لحقت بالأهداف العسكرية والمدنيـــة نتيجة الغارات الجوية الاسرائيلية فى العمق المصرى ، وهو ما عرف باسم المرحلة الثانية من الاستنزاف المضاد .

كما خسرت مصر فى معركة بناء حائط الصواريخ نحو أربعة آلاف من ابنائها الذين أسهموا فى عملية البناء . واذا كانت خسائر مصر العسكرية فى الأفراد والأسلحة والمعدات خلال حرب الاستنزاف لم تعلن بعد ، فلاشك انها كانت كبيرة باعتراف عبد الناصر نفسه . وقد أورد الفريق أول محمد فوزى فى مذكراته احصائية عن خســـائر قواتنا عن عام ١٩٦٩ تتضـــمن استشهاد ١٦ ضابطا ، ١٥٠ من الدرجات الأخرى ، واصابة ١٩ ضابطا ، ٢٩٩ من الدرجت الأخرى بجراح ، وتدمير سريتى مدافع ٣٧ مم مضـــادة للطائرات (١٢ مدفعا) ، ١٠ مدافع ميدان ، و ١٩ مدفعا مضادا للدبابات .

(ب) اقتصـــــاديا :

كانت خسائر مصر الاقتصادية جسيمة ، وكانت أهمها تدمير معـــظم مدن القناة ومنشآتها الاقتصادية . كما ترتب على تهجير سكانها توقف دور

الحياة الاقتصادية فيها ، فانخفضت معدلات النمو وازداد العجز القومى ، كذلك ازداد حجم الديـــون المصرية زيادة كبيرة نتيجـــة العجز المتوالى فى المعاملات الجارية مع العـــالم الخارجى .

اما اعباء ومتطلبات الدفاع والأمن القومى والمجهود الحربى وما ارتبط بها من خسارة فى الفترة من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٣ فقد بلغت نحو ثمانية آلاف مليون جنيه مصرى .

وقد اثر ذلك على الهياكل الاساسية والقدرات الانتاجية ومســـتوى الخدمات العامة ومرافق الدولة وغيرها ، بالاضافة الى ظهور مشـــاكل التضـــــخم .

ثانيـــا — على اسرائيـــل :

(ا) عســــكريا :

لقد كبد العرب اسرائيل خلال حرب الاستنزاف ثلاثة امثال ما لحقها من خسائر بشرية خلال حرب يونيو ١٩٦٧ .

وكان المعدل الشهرى للخسائر يتزايد باستمرار طوال مراحل حرب الاستنزاف ، فخلال الفترة من ٨ ســبتمبر ١٩٦٨ الى ٤ يونيو ١٩٦٩ ، ارتفع المعدل ليصبح ما بين ٤٠ — ٥٠ جنديا شهريا ، وخلال الفترة من ٥ يونيو ١٩٦٩ الى ٧ اغسطس ١٩٧٠ وصل المعدل الى ٧٢٢ اصـــابة شــــــهريا .

وقد نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الاسرائيلى ان القـــوات الاسرائيلية فقدت خلال حـــرب الاستنزاف اربعين طيارا ، ٨٢٧ قتيلا ، ٣١٤١ جريحا واسيرا من القوات البرية . كما خسرت ٢٧ طائرة قتـــال ، ومدمرة وسبعة زوارق وسفن انزال ونقل ، و ١١٩ مجنزرة ، و ٧٢ دبابة ، و ٨١ مدفع ميدان وهاون .

وتعتبر الخسائر البشرية اشد نتائج حرب الاستنزاف خطورة على اسرائيل ، غير انها تدخل ضمن طاقة اسرائيل على التحمل .

ويرجع سبب قلة خسائر اسرائيل البشرية والمادية الى اقتصار حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية بصورة أساسية ، أما بقية الجبهات العربية فكانت خامدة ، اذ لم تمارس اى من الجيوش النظامية سواء في سوريا أو الأردن أو لبنان اية عمليات استنزاف ضد اسرائيل . ولم يشارك جيش مصر سوى منظمات المقاومة الفلسطينية في الأردن والجولان وقطاع غزة وفى فلسطين المحتلة .

ولكن اضطرت اسرائيل الى تعبئة ما يزيد على ٢٠ لواء من جيشها وهو ما يزيد على ٥٠٪ من اجمالى وعاء التعبئة البرية الاسرائيلية ، كما اضطرت الى تعبئة كل سلاحها الجوي اي بنسبة ١٠٠٪ من وعاء التعبئة فيه .

كما اجبرت حرب الاستنزاف اسرائيل على زيادة حجم القوات الاسرائيلية العاملة الى نحو ١٥٠ الف جندى اى بزيادة نحو ١٠٠ الف جندى عن الأحوال العادية . وقد لجأت اسرائيل فى تدبير هذه الزيادة الى رفع الحد الاقصى لسن الاستدعاء للاحتياط والخدمة في الجيش العامل من ٤٩ سنة الى ٥٥ سنة وذلك فى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٩ ، وسحب جزء من قوة العمل المدنية بما خفض قوة العمل من الذكور من ٧٠ الف الى ٢٢ الف فقط ، طبقا للاحصاءات الاسرائيلية عن منتصف ١٩٧٠ .

غير أن اسرائيل استطاعت التغلب على نقص الأيدى العاملة الاسرائيلية باستخدام العمالة العربية الرخيصة فى الأراضى المحتلة .

(ب) اقتصاديا :

لم تستطع حرب الاستنزاف أن تمس المنشآت الانتاجية والاقتصادية في اسرائيل لعدم توافر القوة الجوية المصرية اللازمة لتنفيذ مهام القذف الاستراتيجي .

اما عن الاستنزاف الاقتصادى ، فقد بلغ متوسط ما تحمله كل فرد فى اسرائيل من الانفاق العسكرى نحو ٤١٧ دولارا خلال عام ١٩٧٠ بينما كان ١٣٨ دولارا في عام ١٩٦٦ .

وقد اشار موشى ديان يوم ١٧ اغسطس ١٩٧٢ الى احد جوانب التكلفة الاقتصادية المباشرة لحرب الاستنزاف فقال : ان تكاليف الانفاق العسكرى فى الاراضى العربية المحتلة من نهاية حرب يونيو ١٩٦٧ الى ٧ اغسطس ١٩٧٠ بلغت ١٣٦٤ مليون ليرة اسرائيلية (حوالى ٣٢٠ مليون دولار) ، انفق منها اكثر من ٦٠٪ لمواجهة اثار حرب الاستنزاف ، واعادة انشاء خط بارليف . ومن البدهى ان ذلك لا يمثل اجمالى التكلفة الاقتصادية لحرب الاستنزاف . وقد تزايد الانفاق الحربى الاسرائيلى من ٣٤٪ عام ١٩٦٩ الى ٨١٪ عام ١٩٧٠ ، وبهذا وصل عام ١٩٧٠ الى نحو ٢٦٫٥٪ من الناتج القومى الاجمالى . وقد ادى ذلك الى هبوط معدل النمو من ١١٪ الى ٨٫٥٪ فى سنتى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ على التوالى .

وقد شهدت سنوات ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ اضطرار اسرائيل الى الاقتراض لتغطية احتياجاتها مما يعنى ان المصادر التقليدية المعونات والهبات لم تستطع فى فترة حرب الاستنزاف ان تلبى كل احتياجات اسرائيل من راس المال .

كما أجبرت اسرائيل فى سنة ١٩٧٠ على طرح سندات الدفاع للبيع فى الخارج ، وقيمتها نحو ٦٠٠ مليون دولار . وقد ادى ذلك الى زيادة اعباء الديون الخارجية فى ميزانية ١٩٧٠/١٩٧١ بمقدار ٥٨٪ عما كانت عليه فى السنة السابقة .

وقد وصلت أعباء الديون الخارجية فى سنة ١٩٧٠ الى ٢٢٥ مليون دولار . وقد افضى هذا كله الى تضخم الاسعار فى اسرائيل ، مما حتم تخفيض الليرة الاسرائيلية فى نوفمبر ١٩٧١ ، وتجميد الأجور .

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : هل كانت حرب الاستنزاف اكثر استنزافا لمصر ام لاسرائيل ؟ .

لقد اعترف جمال عبد الناصر لياسر عرفات بعد قبوله مبادرة روجرز بأن « المضى فى حرب الاستنزاف بينما اسرائيل تتمتع بتفوق جوى كامل ، معناه ببساطة اننا نستنزف انفسنا » .

ومن ثم فقد كانت حرب الاستنزاف اكثر استنزافا لمصر بسبب التفوق الجوى الاسرائيلى .

الفصل الثالث

حرب أكتوبر عام ١٩٧٣

قرار الحرب :

استند قرار السادس من اكتوبر ١٩٧٣ الى أساس من الفهم الكامل للظروف السياسية السائدة محليا وعربيا وعالميا ، ومراعاة للاعتبارات العسكرية دون التأثر بالضغوط السياسية في تحديد زمان المعركة . ومن هنا جاء القرار متسقا مع الهدف الاستراتيجى الذى حدده صانع القرار للقائد العام للقوات المسلحة وهو « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى عن طريق عمل عسكرى حسب امكانات القوات المسلحة يكون هدفه الحاق اكبر قدر من الخسائر بالعدو لاقناعه بأن مواصلة احتلاله لأراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه » .

ومن ثم لم يكن الهدف من حرب أكتوبر تحرير جميع الأراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، انما خلق وضع جديد يسمح بتحقيق هذا الهدف بالوسائل الدبلوماسية ، حيث يمكن لقرار الحرب أن ينقل عوامل القوة العربية والدولية من وضع السكون الى وضع الحركة .

الظروف السياسية الدولية السائدة واتخاذ قرار الحرب :

يعتبر النزاع العربى الاسرائيلى من النزاعات المعقدة المزمنة ، حيث تتطلب ادارته نظرة فاحصة شاملة لعلاقات وتفاعلات هذا النزاع مع الظروف الدولية السائدة ، نظرا لظروف نشأة اسرائيل وتطورها التى حتمت عليها الارتباط بقوة دولية كبرى تستمد منها القدرة على استمرار الحياة . ومن هنا ارتبط النزاع العربى الاسرائيلى بالنزاعات الدولية الاكبر كجزء مضاف اليها ، ومن ثم فقد أصبح محكوما بقيود وحدود تمنع تشجيع تصعيده .

وقد كان تغير موقع نزاع الشرق الاوسط من الظل الى دائرة الضوء ،

العامل الرئيسى فى تحديد موعد تنفيذ القرار . ومع استقرار سياسة الوفاق فى مؤتمر قمة موسكو المنعقد فى مايو ١٩٧٢ ، فقد اخذ يبتعد شبح التوتر الدولى ، وبدأ شعور بالسلام والتفاؤل يسود ارجاء العالم . فقد شهد العالم بدء تسوية نزاعات اصيلة فى النزاع الدولى الآخر مثل نزاعات فيتنام والمانيا ، وبدات تزول بتسويتها وباقتراب تسويتها المقومات الاساسية لنظام الحرب الباردة .

وفى مثل هذه الحالة ، تبدو مشكلات التوتر الاقليمية فى صورة اوضح واكبر واشد خطرا ، بينما كانت تبدو فى ظل الحرب الباردة اقل اهمية وخطرا . وحين اصبحت مشكلة الشرق الاوسط هى الوحيدة التى تعكر صفو السلام العالمى ، فقد بدت فى صورة مفزعة ، خاصة وانها تهدد بمشكلات جديدة مثل مشكلة النفط .

وفى ظل هذه الظروف ، كان يمكن للولايات المتحدة ان تعمل على تحريك الجمود فى الشرق الاوسط ولكنها لم تشأ . وفى نفس الوقت كان صانع القرار المصرى يدرك انه اذا تم التحريك بارادة امريكية منفردة فانما هو يتم اساسا لصالح اسرائيل . وفى ابريل سنة ١٩٧٣ ، اتخذ الرئيسان انور السادات وحافظ الأسد قرار الحرب .

خـــطط الحـــرب :

اولا ـــ خطط القوات المسلحة المصرية ،

وضعت فى اعقاب حرب يونيو عام ١٩٦٧ خطة دفاعية سمية اطلق عليها « الخطة ٢٠٠ » . ومع نمو قدرات القوات المسلحة ، اخذت القيادة العامة تخطط لأعمال تعرضية محدودة على مواقع العدو فى سيناء ، انضوت تحت اسم « الخطة جرانيت » . ويؤكد السادات فى صفحة ٢٤٨ من كتابه « البحث عن الذات » ان الوضع الذى تسلمه من عبد الناصر هو الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكن لا وجود لخطة هجومية . وقد جاء فى مذكرات الشاذلى قوله « عندما عينت رئيسا للأركان فى ١٦ مايو سنة ١٩٧١ لم تكن هناك خطة هجومية ، لقد كانت لدينا خطة دفاعية تسمى « الخطة ٢٠٠ » .

وكانت هناك ايضا خطة تعرضية أخرى تشمل القيام ببعض الغارات على مواقع العدو فى سيناء ، ولكن لم تكن فى المستوى الذى يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية وكانت تسمى « جرانيت » » .

ولكن بعد تعيين الفريق محمد أحمد صادق وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة وتعيين اللواء سعد الدين الشاذلى رئيسا للأركان ، دار الصراع داخل المجلس الاعلى للقوات المسلحة بين ثلاث نظريات للتحرير : النظرية الأولى ويعتنقها الفريق محمد صادق وتقضى بتدمير العدو فى سيناء وقطاع غزة فى عملية واحدة شريطة أن يزود الاتحاد السوفييتى مصر بالأسلحة التى تطلبها .

أما النظرية الثانية فكان ينادى بها اللواء سعد الشاذلى ، وهى تتلخص فى القيام بعملية هجومية محدودة تتضمن اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف واتخاذ أوضاع دفاعية شرق القناة على مسافة تتراوح بين ١٠ — ١٢ كيلومترا ، وبعد اتمام هذه المرحلة يمكن التحضير للمرحلة التالية التى تهدف الى الاستيلاء على المضايق . فى حين كانت النظرية الثالثة للواء أحمد اسماعيل ، مدير المخابرات العامة آنذاك ، وهى تطرح فكرة الهجوم جانبا فى ذلك الوقت على أساس أن القوات المصرية ليست فى وضع يسمح لها بذلك بسبب تفوق القوات الجوية الاسرائيلية ، وتربط توقيت العملية الهجومية باغلاق الفجوة بين القوات الجوية المصرية والقوات الجوية الاسرائيلية .

غير انه قبل اجتماع المجلس الأعلى للوات المسلحة فى ٦ يونيو سنة ١٩٧٢ ، الذى حضره السادات ، عدل الفريق محمد صادق عن نظريته الأولى وأصر على تكوين « قوة ردع » ، أى يكون لدينا طائرات قادرة على ضرب عمق العدو قبل بدء العملية الهجومية . وقد تأثر السادات برأى كل من الفريق محمد صادق واللواء أحمد اسماعيل تأثرا شديدا وأعلن أنه « يجب الا نعمل الا بعد تكوين قوة ردع » .

الا ان اللواء سعد الدين الشاذلى عارض هذا الرأى على أساس

انه لا أمل فى اغلاق أو تضييق الفجوة بين القوات الجوية المصرية والقوات الجوية الاسرائيلية فى المستقبل القريب ، وتبنى فكرة التخطيط لعملية هجومية محدودة فى ظل تفوق جوى معاد مع الاعتماد على مظلة صواريخ الدفاع الجوى فى تحدى التفوق الجوى الاسرائيلى .

وقد صادف رأى الشاذلى هوى فى نفس السادات ، بيد أنه لم يعلن قراره بالموافقة على فكرة الحرب الهجومية المحدودة الا بعد شهر من هذا الاجتماع ، حيث اتضح له أن الاتحاد السوفييتى يريد تهدئة الموقف فى منطقة الشرق الأوسط . ويقول الفريق محمد أحمد صادق « كانت فكرة السادات أن تعبر القوات المصرية القناة وأن تستولى ولو على متر واحد من الضفة الشرقية وبعد ذلك نسعى الى الوصول الى حل سياسى ، ثم تطورت فكرته الى ضرورة التوقف بعد اقامة رءوس الكبارى شرق القناة وتحريك القضية سياسيا » .

وباقالة الفريق صادق وتعيين اللواء احمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٢ اندثرت فكرة عدم العمل الا بعد تكوين قوة ردع وفرضت نظرية الحرب المحدودة نفسها بقوة .

وقد عرض اللواء سعد الشاذلى على اللواء أحمد اسماعيل خطتين : الأولى وهى خطة « المآذن العالية » وتستهدف اقتحام قناة السويس والاستيلاء على خط بارليف وانشاء رءوس كبارى على عمق من ١٠ — ١٢ كيلومترا شرق القناة . والثانية وهى « الخطة جرانيت ٢ » وتستهدف الوصول الى المضايق .

وقد اقتنع القائد العام بعدم قدرة القوات المسلحة على تنفيذ « الخطة جرانيت ٢ » واستقر رأيه على تنفيذ خطة « المآذن العالية » وحدد ربيع سنة ١٩٧٣ كتوقيت محتمل للهجوم . بيد أنه مع اقتراب ميعاد المعركة فقد تبنى الفريق أحمد اسماعيل نظرية الوصول الى المضايق بعملية هجومية واحدة مستمرة ، وطلب الفريق سعد الشاذلى تطوير الهجوم فى الخطة بهدف الاستيلاء على المضايق .

وبناء على ذلك عدلت الخـــطة « جرانيت ٢ » واصبح يطلق عليها « الخطة جرانيت ٢ المعدلة » واصبحت خطة العبور وانشاء رءوس الكبارى تعرف باسم « المرحلة الأولى » وخطة تطوير الهجوم تعرف باسم « المرحلة الثانية » ، على أن تفصـــل بين المرحلتين ما اصطلح على تسـميته بـــ « وقفة تعبوية » .

ويقول الشاذلى ان العادة جرت على مناقشة خطة العبور بالتفصيل الدقيق « ثم نمر مرورا سريعا على المرحلة الثانية » . ولم أتوقع قط أن يطلب الينا تنفيذ هذه المرحلة وكان يشاركنى هذا الشعور قادة الجيوش » .

يتضح مما سبق أن خطة حرب أكتوبر استهدفت فقط اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف والاستيلاء عليـــه والتمسك برءوس كبـــارى بعمق ١٠ — ١٢ كيلومترا بهدف تهيئة الظروف السياسية لاستكمال تحرير الأراضى المحتلة .

وقـــد بدأت القيادة المصرية فى نهاية عام ١٩٧٢ التخطيط لعمليـــة تعرضية بالتنسيق الكامل مع القيادة العسكرية السورية فى سرية تامة ، وتم تعيين الفريق أحمد اسماعيل على قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية فى ١٠ يناير عام ١٩٧٣ . وقد أطلق فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ الاسم الرمزى « بـــدر » على العملية الهجوميـــة الاستراتيجية على الجبهتين المصرية والســـورية .

وطبقا لمـــا اعلنته المصـــادر العسكرية المصرية ، فقد كان هـــدف العملية الهجوميـــة للقوات المسلحة المصرية هو « هزيمة وتدمير تجميع العدو الرئيسى على مرحلتين والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تعبوية بهدف تهيئة الظروف العسكرية والسياسية لاستكمال هزيمة العدو وتحرير الأراضى المحتلة » .

وكان تشكيل العملية الهجومية للقوات المسلحة المصرية فى نســـق واحد واحتياطى . وقد شكل النسق الأول من منطقة البحر الأحمر العسكرية

والجيش الثانى والثالث الميدانيين ، فى حين كان احتياطى القيادة العامة مكونا من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية عدا لواء مشاة ميكانيكى ، ولواءين مدرعين ، ولواء مظلى ، ولواءى اقتحام جوى عدا كتيبة ومجموعة صاعقة .

تحليل الخطط الهجومية المصرية :

هدفت خطة « المآذن العالية » الى اجبار اسرائيل على القتال فى ظروف لا تلائمها وخوض معارك ثابتة لا تناسب قواتها المتميزة فى المعارك خفيفة الحركة مما يكبدها خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات لا تستطيع تحملها ، مع الاستمرار فى تعبئة قواتها الاحتياطية لأطول فترة ممكنة بغرض اضعاف قدرتها على مواصلة القتال .

ولكن كانت هذه الخطة دون مستوى القوات المسلحة المصرية وقاصرة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها ، بينما كان الاستيلاء على خط المضايق بعملية هجومية مستمرة يحقق تلك الأهداف للأسباب :

١ — خطط العملية الهجومية « بدر » وكان من بين أهدافها اجبار القوات الاسرائيلية على القتال على جبهتين فى وقت واحد مما يشتت جهودها ويربك أعمال قتالها ، بينما توقف القوات المصرية شرق القناة على عمق ١٠ — ١٢ كم يوفر القيادة الاسرائيلية امكانية تثبيت الجبهة المصرية بقوات محدودة وتركيز معظم قواتها على الجبهة السورية لتصفيتها، ثم التحول الى الجبهة المصرية فى مرحلة تالية ، وفى هذه الحالة لا يكون التنفيذ قد واكب التخطيط للعملية الهجومية .

٢ — ضعف تأثير نتائج خطة « المآذن العالية » لا يفضى الى تغيير كبير فى الموقف الاستراتيجى فضلا عن استمرار اغلاق القناة وعدم استرداد حقول بترول سيناء ، بينما الاستيلاء على خط المضايق الاستراتيجية يحدث دويا كبيرا فى العالم وتأثيرا حادا فى الموقف الاستراتيجى لصالح العرب ، ويجبر اسرائيل على الارتداد الى الخط : العريش — جبل لبنى — الثمد على بعد حوالى ٤٥ — ٥٠ كم من حدود مصر الشرقية مما يعد هزيمة

قاسية لاسرائيل ، كما يوفر تأمين قناة السويس من مدفعية العدو واسترداد حقول بترول سيناء .

٣ — تسليم المبادأة طواعية العدو بالتوقف فى رءوس كبارى شرق القناة وبذلك تفقد المفاجأة حدتها .. ثم قيمتها مع التخلى عن استثمار نتائجها ، مما يتيح للعدو فرصة استعادة توازنه ومواجهة القوات المهاجمة برد فعل مناسب ومقتدر .

٤ — تعريض الجبهة السورية لضربات العدو المضادة المتفوقة مما يجهض أى نجاح تحرزه القوات السورية ، فعمق هضبة الجولان نحو عشرين كيلومترا وكان من المنتظر أن تستولى عليها القوات المهاجمة فى يومى قتال ، ولكن كان من المشكوك فيه تماما أن تتمكن القوات السورية من الاحتفاظ بالأراضى المستولى عليها تحت ضغوط العدو الهائلة . وقد كان استمرار القوات المسلحة المصرية فى الهجوم للاستيلاء على المضايق وتعزيزها من شأنه أن يخفف الضغوط عن الجبهة السورية مما يساعدها على انجاز مهام القتال . كما ان نجاح العدو فى تصفية الجبهة السورية يؤدى الى اخراج سوريا من الحرب ، أو على الأقل تقليل فاعليتها الى الحد الأدنى مما يتيح للعدو تركيز كل جهوده تقريبا على الجبهة المصرية وبخاصة قواته الجوية .

٥ — كان من المتوقع أن يركز العدو ٧٥ — ٨٠٪ من مجهوده الجوى عند بدء القتال على الجبهة السورية مما يوفر للقوات المصرية فرصة الوصول الى المضايق تحت ستر وسائل الدفاع الجوى للجيش الثانى والثالث الميدانيين بما فيها صواريخ سام ٦ (كان بكل جيش ميدانى لواء صواريخ سام ٦ وهى صواريخ متحركة تطلق من العربات) بالاضافة الى امكانية الاستفادة من كتائب صاريخ سام ٣ بانتقال بعضها الى شرق القناة بطريقة الزحف ، فضلا عن توفير الحماية بواسطة المقاتلات المصرية ، كما كان يمكن دفع مفارز متقدمة ليلا ، بعد سقوط معظم النقط القوية للعدو للاستيلاء على المضايق ثم تعزيز هذه المفارز ايلا فى الأيام التالية مع دعمها

بأكبر عـــدد ممكن من الأســـلحة الخفيفة المضـــادة للطائرات وخصوصا الصواريخ الفردية سام ٧ .

٧ — طبيعة الأرض الرملية المفتوحة شرق القناة لا توفر انشاء خط دفاعى قوى لاتساع المواجهة ممـــا يحتم وجود فواصل وثغرات كبيرة ، فضلا عن تعرض الأجناب المفتوحة لأعمال الالتفاف والتطويق المعادية . مما يستلزم تخصيص قوات مدرعة وميكانيكية لتأمين الأجناب ونقط الاتصال مع وجود قوات مدرعة مناسبة فى الضفة الغربية لاحباط أية محاولة لعبور القناة أو الابرار البحرى من شمال خليج السويس . كما أن الأرض الرملية تحتاج الى مواد ومهمات هندسية كثيرة ليس من السهل تدبيرها فى وقت محدود ، بالاضافة الى عـــدم توافر الوقت لتجهيز خط دفاعى قوى تحت ضغط العدو (تحتاج الفرقة المشاة الى ثلاثين يوما لتجهيز نطاق دفاعى كامل فى ظروف عادية وتصل المدة الى الضعف فى حالة تدخل العدو) . بينما توفر منطقة المضايق الجبلية خطا دفاعيا مثاليا يتعذر تطويقه ويحد من عمل المدرعات بدرجة كبيرة ويوفر وقاية مناسبة من غارات العدو الجوية كما يحقق وفرا فى القوات المدافعة (الاقتصاد فى القوى) .

٧ — ان التمسك برءوس كبارى شرق القناه وانتظار ضربات العدو المضادة هو فى حقيقة أمره دفاع سلبى ، وأن اى دفاع مهما كان محصنا لا يستطيع الصمود الى ما لا نهاية ، ولابد من اختراقـــه فى النهاية كما حدث لخط بارليف ومن قبله خط ماجينو الفرنسى وخط سيجفريد الألمانى .

٨ — تشـــتيت الاحتياطيات الاستراتيجية الاسرائيلية بين الجبهتين المصرية والسورية ، كذلك مجهود القوات الجوية التى لا تستطيع أن تلبى مطالب المعاونة الجوية للقوات الاسرائيلية العاملة على جبهتين فى وقت واحـــد .

وقد اغفل التخطيط المصرى السورى المنظمات الفلسطينية وكان من الواجب تخصيص مهام لها للعمل ضد مؤخرة العدو .

كما تم اغفا لالتنسيق مع القيادة العراقية بشأن دفع جزء من قواتها

الى الجبهة السورية بمجرد بدء القتال على الرغم من التأكد من أن الجبهة السـورية لا يمكنها الصمود أمام ضربات العـدو المضـادة المتفوقة . ولو تم ذلك التنسيق لكان بالامكان اشراك القوات العراقية فى القتـال اعتبارا من يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

وعلى حين راعت القيادة المصرية نظرية الفعل ، فانها أهملت نظرية رد الفعل اذ لم تضع فى حسبانها امكان العدو تدمير رؤوس الكبارى بالهجمات القوية ، وحصول اسرائيل على أسـلحة الكترونية متطورة من الولايات المتحدة للحد من فاعلية حائط الصواريخ المصرى .

ثانيا — خطط القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية :

كانت استراتيجية اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ملتزمة بالعمل التعرضى الذى يعتمد على المفاجأة والمبادأة بهدف نقل المعركة الى أراضى الخصوم . غير انها بعد استيلائها على مساحات شاسعة من الأراضى العربية فى تلك الحرب ، فقـد اعتنقت نظرية الدفـاع المتحرك التى تهىء لها الاحتفاظ بالأراضى المحتلة والدفاع عنها بأقل القوات والجهد والتكاليف .

وقد وضعت اسرائيل عدة خطط دفاعية وتعرضية لمواجهة الاحتمالات المختلفة ، وكان الهدف الاستراتيجى من تلك الخطط هو منع القوات المصرية من اقتحام قناة السويس وتدمير تلك القوات فى المناطق الابتدائية وأثنـاء العبور ، لاتاحة الفرصة للتعبئة العامة وحشـد ودفع الاحتياطيات من العمـق .

وكان اسلوب الدفاع الاسرائيلى فى سيناء يتلخص فى تركيز المجهود الرئيسى للدفاع فى اتجاه القناة ، مع تكثيف نشاط الاستطلاع لمتابعة حجم ونيات القوات المسلحة المصرية . وللاقتصاد فى القوات والنفقات ، قامت اسرائيل بتأمين قناة السويس بأقل قدر من القوات التى تحتل نقطا حصينة على الضفة الشرقية للقناة مع تمركز الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية فى العمق . وكان على الاحتياطيات المحلية والتكتيكية تدعيم المواقع الحصينة والقيام بالهجمات المضادة لتدمير القوات التى تنجح فى العبور مع تأمين

الفواصل بالدوريات والكمائن . وكانت مهمة المواقع الحصينة منع القوات المهاجمة من العبور والتقدم فى سيناء ، أما فى حالة نجاح القوات المصرية فى اقتحام قناة السويس ، فتعمل تلك المواقع ضد اجناب ومؤخرة قــوات الاقتحام بهدف ارباكها وتعطيلها وقطع خطوط مواصلاتها واحداث أكــبر خسـائر ممكنة بهــا .

وفى حالة اكتشاف اسرائيل نية القوات المصرية للهجوم فانها تقوم بتوجيه ضربات جوية مركزة على وسـائل دفاع جوى الجبهــة والقــوات الجوية والمطارات للحصول على السيطرة الجوية . كما تحتل قواتها فى سيناء النقط القوية والخطوط الدفاعية ، وفى نفس الوقت تعلن التعبئــة وتجرى الفتح التعبوى لقواتها مع القيام بأعمال تعرضية ســيما ضــد الأهداف العسكرية والمدنية فى العمق . وفى حالة نجاح الضربات الجوية الاسرائيلية ، تقوم بعض القوات الاسرائيلية بشن أعمال تعرضية محدودة غرب القناة لاحباط تحضيرات القوات المصرية للهجوم .

اما فى حالة عدم اكتشاف اسرائيل نية القوات المصرية للهجوم ، فيقع على عاتق القوات الاسرائيلية المدافعة والقوات الجوية ، مهمة صد وتعطيل القوات المهاجمة حتى تتاح الفرصة للتعبئة واجراء الفتح التعبوى . ثم تقوم ثلاث مجموعات عمليات كل من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكى بالضربات المضــادة واحباط الهجوم ، وطبقا للموقف تســتغل مجموعات العمليات نجاحها وتعبر قناة الســويس وتؤمن خط بعمق ٣٠ كيلومترا غربهـــا .

الاعــداد السياسى للحــرب :

فى أعقــاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، تحركت الدول العــربية فى اطار المساعى السياسية والدبلوماسية لشرح القضية العربية وكشف العدوان الاسرائيلى وأهدافه التوسعية بغية تهيئة الظروف المواتية لاقامة ســلام عادل ودائم فى منطقــة الشرق الأوســـط . وقـــد تشــعبت الجهــود السياســية والدبلوماســـية فى منظمــة الأمم المتحـــدة حيث

صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وعلى مستوى الدول الكبرى ممثلة فى المحادثات الرباعية ثم المحادثات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ثم مبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية .

كذلك على المستوى العربى ، وكانت أبرزها مبادرة السادات فى الخامس من فبراير ١٩٧١ ، بالاضافة الى مجال دول عدم الانحياز والمجال الأفريقى والمجال الأوروبى .

وخلصت مصر من المباحثات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التى عقدت العزم على مواصلة العدوان وفرض الأمر الواقع بالقوة .

وباتخاذ قرار الحرب فى أبريل ١٩٧٣ تم التركيز على الدائرة العربية وبخاصة دول المواجهة ودول النفط . وقد سار الاعداد السياسى للحرب فى مستويين ، المستوى العالمى والمستوى العربى .

١ — على المستوى العالمى :

استمرت مصر فى بذل الجهود الدبلوماسية وهى على طريق الاستعداد للحرب ، فدعت الى عقد دورة طارئة لمجلس الأمن فى يونية ١٩٧٣ للنظر فى تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة عن مهمة ممثله الخاص السفير جونار يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

وفى ٢٦يوليو ١٩٧٣ ، تم التصويت على مشروع قرار تقدمت به دول عدم الانحياز يعرب عن اسف المجلس العميق على استمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية بما يتعارض مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة واستمرار اسرائيل فى عرقلة مهمة السفير يارنج . وقد حصل مشروع القرار على موافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، غير أن الولايات المتحدة استخدمت الفيتو لاحباط المشروع .

وقد جددت دول عدم الانحياز تأييدها التام للقضية العربية فى مؤتمر قمة عدم الانحياز الذى انعقد فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ ، بل أن المؤتمر تعهد فى بيانه الختامى بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير أراضيها بكافة الوسائل ، واعتبر استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية شرطا أساسيا لاعادة السلام .

كما أحرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة فى المجال الأوروبى حيث لم تخف الدول الأوروبية محاولاتها تحريك الموقف المتجمد فى الشرق الأوسط . وامام الصلف والعناد الاسرائيلى لم تجد هذه الدول بديلا عن الاعتراف للدول العربية وفى مقدمتها مصر بأن التحريك لن يأتى الا بعمل عسكرى يفرض تحريك الأزمة وينقل بقية المسئولية الى المجتمع الدولى .

وقد دعم هذا الموقف اقتناع صانع القرار بأن تسوية المشكلة لن تتحقق الا بتحريك الأزمة عسكريا ، واتضح له أن المبادأة العسكرية لن تقابل بالادانة من المجتمع الدولى فى ظل هذا الموقف .

٢ — على المستوى العربى :

قامت استراتيجية السادات فى العمل العربى المشترك على تصور أنه لا يمكن لمصر أن تخوض حربا شاملة ضد اسرائيل ، ما لم تكن وراءها جبهة عربية متماسكة قادرة على ممارسة ضغوط قوية بكل ما هو متاح لديها من أسباب القوة ضد أية محاولة متهورة قد تقوم بها القوى المعادية للعرب والمماثلة لاسرائيل .

وطبقا لهذا التصور فقد شملت استراتيجية السادات العربية ثلاثة محاور : أولها ، التركيز على نقاط الالتقاء والتقارب فى الجبهة العربية وتدعيمها الى أقصى ما تسمح به الامكانات . ولتحقيق ذلك ، قامت مصر بجهد كبير فى رأب التصدعات العربية ، والانطلاق الى أفق رحب من العلاقات العربية الجديدة تتوسطه مصر .

ولم يقتصر التنسيق المصرى على سوريا وحدها ، انما تجاوزها الى التنسيق مع بعض الدول العربية التى يمكنها التأثير على المعركة ، كما

سعى الى اجتذاب الأرن الى نوع من التعاون مع مصر وسوريا . وقد مهدت الحكومة المصرية لذلك التعاون باعادة العلاقات الدبلوماسية مع الأردن فى صيف عام ١٩٧٣ ، الا أن انجاز السادات الأكبر كان التوفيق بين نظامى الحكم فى سوريا والأردن . فرتب لقاء قمة ثلاثى فى القاهرة حضره الملك حسين والرئيس السورى حافظ الأسد فى ١٢ سبتمبر ١٩٧٣ . وفى هذا اللقاء تم تصفية الخلاف ، كما علم ملك الأردن بقرب موعد نشوب الحرب دون تحديد لتوقيت الهجوم . وقد طلبا الى الملك حسين — عند بدء الحرب — ارسال قوة مدرعة الى شمال الأردن لتأمين الجنب الأيسر للقوات السورية . وقد رحب الملك بهذا الطلب وأبدى استعداده التام للتعاون مع سوريا ، وقال اذا كان الأمر يتطلب الاشتراك الفعلى فى القتال فلابد من تقديم مساعدات فى صورة قيادة مشتركة ، وارسال فنيين وطائرات مقاتلة ووحدات صواريخ مضادة للطائرات الى الأردن .

كذلك كانت جولة السادات خلال شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ بين سوريا والسعودية وقطر من أهم اللقاءات العربية التى تمت قبل الحرب . وقد أسفرت لقاءات السادات بالقادة العرب عن توطيد علاقات مصر بالمملكة العربية السعودية وباقى الدول والامارات العربية المنتجة للبترول . وقد كان للملك فيصل النصيب الأوفى فى تحقيق تضامن العرب وحشد طاقاتهم وتسخيرها لخدمة القضية العربية بفضل حنكته السياسية وغيرته على العروبة والاسلام .

وثانى هذه المحاور هو العمل على الا تعطل مشاريع الوحدة والاتحاد بين مصر وغيرها من الدول العربية ، محاولات التقارب والالتقاء مع مختلف الأنظمة والحكومات العربية الأخرى . فلم يعرقل قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية واعلان مشروع الوحدة بين مصر وليبيا جهود مصر الدائبة الى خلق مزيد من التقارب والتلاحم والالتقاء بين الدول العربية حول أهداف قومية مشتركة .

وثالثها هو استخدام الوسائل الممكنة لاشعار العالم العربى بمدى الجدية والصدق فى الاستعداد للحرب ، فى حين كانت تثار فكرة الحل

السلمى طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كاحتمال قابل للتحقيق . كما كان صانع القرار يعى تماما أن استمرار التضامن العربى ودعم العرب لمصر مرهون بالقدرة المصرية على التحرك الايجابى نحو ايجاد مخرج للأزمة .

قد أصبح مفهوما لدى جميع الأطراف العربية أن قرار الحرب لابد أن تدعمه باقى عناصر القوة العربية المتاحة . فالوسائل الاقتصادية تصبح أكثر نفعا وتأثيرا بنفاذ القرار ، والعمل العسكرى سيكون تأكيدا لضرورة تكثيف الوسائل السياسية من أجل تسوية لصالح العرب .

وكانت كل من مصر وسوريا على يقين من أن المجهود العربى لن يحدث أثره العالمى الا حين يتحرك النزاع بتحرك القوات المصرية والسورية . وما ان تحركت هذه القوات حتى تجلى التضامن العربى فى أروع صوره .

الاعداد العسكرى للحرب :

تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى والتغلب على مشاكل العبور :

تقوم نظرية الأمن الاسرائيلى على فكرة الحدود الآمنة ، والاحتفاظ بالمبادأة ، والقدرة على الردع ، وتجنب القتال على أكثر من جبهة ، والحرب الخاطفة ، وضمان مؤازرة قوة عظمى فى كل وقت .

ولتحقيق هذه الغاية ، فقد بنت القيادة المصرية خطتها على عدة مبادىء رئيسية أهمها : حرمان العدو من ميزة التفوق الجوى باقامة نظام دفاع جوى حديث وقوى وسبقه الى توجيه الضربة الأولى . كذلك حرمانه من القدرة على توجيه ضربات مضادة مؤثرة بقواته المدرعة فى مراحل الهجوم الأولى ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته ، ثم اقناعه بعدم جدوى وجوده العسكرى فى شرم الشيخ ، وذلك بفرض الحصار البحرى على باب المندب والبحر الأحمر . وأخيرا حرمان اسرائيل من الاستفادة بميزة الاستناد الى قناة السويس كمانع مائى ، والنقط القوية فى خط بارليف عن طريق التخطيط العلمى الدقيق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف .

وقد وضعت القيادة المصرية يدها على مجموعة من المشـــاكل التى تعترض هجوم القوات المصرية ، مـــا استوجب معالجتها والعمل على تذليلها حتى يتحقق المقاتل المصرى افضل فرص النجاح .

فالتغلب على مشكلة اشتعال اللهب فوق سطح الماء ، فقد تقـــرر اغلاق مواسير النابالم بالأســـمنت واستيلاء مجموعات من الصاعقة على مستودعات النابالم ، كذا انتخاب قطاعات العبور بحيث تعبر القـــوات القناة فوق التيار .

وللتغلب على مشكلة فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضـــفة الشرقية للقناة ، فقد استقر الرأى على استخدام طريقة التجريف بالميـــاه تحت ضغط كبير ، بالاعتماد على مضخات المياه التى اطلق عليها اســـم « مدافع المياه » ، حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكبارى .

وكانت المشكلة الثالثة تنحصر فى تأمين اقتحام الموجـــات الأولى من نيران العدو المنشأة ونيران المدفعية . ولتحقيق هذا الهـــدف ، خططت القيادة المصرية اتنفيذ تمهيد نيرانى بالغ القوة .

أما المشكلة الرابعة المتمثلة فى صعوبة تسلق الجنود الساتر الترابى وهم يحملون أســـلحتهم وذخائرهم ، فقـــد تم مواجهتها بابتكار الكثير من الأدوات والأجهزة التى تسهل صعود الساتر ذى الميل الحاد . ولتوفـــير القدرة للقوات المترجلة على قتال مدرعات العـــدو قبل عبور الدبابات المصرية للقناة ، فقد اتخذت مجموعة من الاجراءات فى هذا الصدد كانت أهمهـــا :

١ ـــ زيادة نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة منها .

٢ ـــ تصنيع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنود حمله .

٣ ـــ ان تحمل الموجات الأولى الهجوم اكبر قدر من الأسلحة والذخيرة واقل قدر من التعيينات والمياه .

٤ — تجهيز سواتر عالية على الضفة الغربية للقناة لتحتلها الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات لتدمير دبابات العدو التى كان من المنتظر أن تهاجم قواتنا فى الضفة الشرقية للقناة .

٥ — تشكيل مجموعات اقتناص دبابات ، تدفع قبل هجوم القوات الرئيسية لنصب الكمائن على طرق تقدم دبابات العدو بهدف منعها من الاقتراب فى اتجاه القناة .

التجهيز الهندسى لمسرح العمليات :

شملت أعمال التأمين الهندسى أراضى جمهورية مصر كلها ، وكانت أهم تلك الأعمال هى اجراءات التجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة وفى بقية المناطق العسكرية . وكانت ابرز الأعمال فى الجبهة هى : انشاء ساتر ترابى على الضفة الغربية لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء هيئات حاكمة « مصاطب » تسيطر على الضفة الشرقية للقناة ، وتجهيز شبكة من الطرق والمدقات أثناء العبور ، وتجهيز ساحات الاسقاط لمعدات الكبارى على الضفة الغربية القناة . كما تم تجهيز المنازل اللازمة لاستخدام المعدات وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال القنطرة على مسافات متساوية لعدم تمكين العدو من تحديد قطاعات العبور ، فضلا عن انشاء مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى ودشم الطائرات ومراكز لقيادة والسيطرة .

اعـــداد القـــوات :

فرضت الظروف أن تقضى القوات المسلحة المصرية ما يزيد على ست سنوات وهى تمارس أعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود . لذلك كان يتحتم اعداد القوات المسلحة للعمليات الهجومية وتخليصها من حالة الركـــود .

وقد وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المسلحة تم التركيز فيها على الجانب المعنوى والتدريب على مهام العمليات المنتظرة مع الاحتفاظ بمستوى عال من الاستعداد القتالى . ولتحقيق ذلك فقد تم اقناع القوات

بحتمية القتال . كما بذات الجهود ادعم ثقة الرجال بأنفسهم وبأسلحتهم ،
وروعى تدريب القوات على أرض مشابهة لأرض العمليات ومانع يماثل
قناة السويس ، مع اعداد الأدوات والأجهزة اللازمة لتسلق السواتر
الترابية وحمل الذخيرة . كما تضمن التدريب اقامة الكبارى على مسطحات
مائية مشابهة والعبور باستخدام قوارب المطاط ، كذلك التدريب على خطة
استعداد قتالى متكاملة كان يجرى اختبارها دوريا بواسطة لجان ذات
مستوى عال . كما تم اختبار خطط العمليات لاستكمال أوجه النقص قبل
بدء العملية الهجومية ، واعداد ضباط مراكز القيادة على كافة المستويات .
وقد انقلب آخر مشروع استراتيجى تعبوى الى حقيقى يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .
وقد وضع المنشور رقم « ٤١ » لتنظيم عملية عبور قناة السويس ودربت
القوات على تنفيذه حتى وصلت الى درجة الاحتراف الكامل ، وكان هذا
المنشور احد العوامل الرئيسية فى نجاح العبور .

التخطيط لتحقيق المفاجـــأة :

كان اسلوب تحقيق المفاجأة شغل القيادة الشاغل لفترة طويلة .

وقد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب المختلفة التى تحقق المفاجأة على المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية . وقد نفذت اجراءات ضخمة خلال التحضير للعملية الاستراتيجية كانت أهمها ما يلى : —

١ — سرية التخـــطيط :

روعى ان يكون التخطيط سريا لا يعلم به الا فئة محدودة . ولتحقيق هذا الهدف حددت أسماء القائمين بالتخطيط على مستوى القيادة العـــامة والجيوش الميدانية والمناطق العسكرية ، وخصصت غرف خاصة للتخطيط لا يدخلها سوى القائمين به ، مع حظر تداول الوثائق خارج الغرف . كما لم تخصص المهـــام لمستوى الفرق الا قبل العملية الهجومية بأربعة أيام ولمستوى القادة فقط .

٢ ـ اخفاء التجهيز الهندسى للعملية الهجومية :

نفذت اعمال التجهيز الهندسى تحت ستار تحسين المواقع الدفاعية واستمرت لفترة طويلة وعلى طول مواجهة القناة ، بالاضافة الى زيادة كثافة الالغام لايهام العدو بزيادة فاعلية الدفاع .

٣ ـ الخداع الاستراتيجى التعبوى :

وضعت خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا على مستوى الدولة تتمشى مع خطة الخداع العسكرى لتحقيق خداع العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى عمليات هجومية قريبة ، واخفاء فكرة العمليات الهجومية ، واخفاء توقيت الهجوم .

وقد اعتمدت فكرة الخداع الاستراتيجى على تنسيق جهود وزارات الاعلام والخارجية والدفاع قبل بدء العمليات بحوالى ٥ ـ ٦ اشهر لتنفيذ مجموعة من الاعمال والقاء بعض التصريحات التى من شأنها ان تخفى الاستعدادات العسكرية للقوات المسلحة مع خداع العدو عن التوقيت الحقيقى لبدء الحرب ، وذلك بالتنسيق الكامل مع سوريا .

وقد كان الهدف من الخداع الاستراتيجى من وجهة النظر العسكرية هو خداع العدو عن نية شن عملية هجومية وشيكة واخفاء توقيتاتها واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها . وقد وضعت خطة الخداع لتنفذ فى مرحلتين : المرحلة الأولى من أول مايو ١٩٧٣ قبل بدء العملية الهجومية بخمسة عشر يوما ، أما المرحلة الثانية فتتم خلال خمسة عشر يوما وتشكل المرحلة الرئيسية .

ولتحقيق هدف الخداع الاستراتيجى تم ايهام العدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعداداتها الدفاعية ورفع كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية .

وقد اتخذت بعض الترتيبات لابعاد تفكير العدو عن نوايانا الحقيقية وصرفه الى شيء آخر منها :

اذاعة نبأ زيارة يقوم بها وزير دفاع رومانيا لمصر يوم ٨ اكتوبر بناء على دعوة وزير الدفاع المصرى ، والاعلان عن سفر وفد عسكرى برياسة وزير الدفاع المصرى الى الدول العربية فى تاريخ يتفق مع توقيت الهجوم . كما نشرت الصحف المصرية خبرا يشير الى ان القوات المسلحة صدقت على قيام من يرغب من الضباط والجنود فى أداء العمرة فى الأراضى المقدسة، وحددت مواعيد تلقى طلبات الراغبين تمهيدا لاجراء القرعة بينهم ، وعمدت القيادة الى تسريب معلومات مزيفة تشوه سمعة الجيش المصري وتشكك فى قدرته على القتال .

وفى نفس الوقت اصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليمات بتسريح دفعة من الجنود الذين اتموا الخدمة العسكرية فى اليوم الأخير من شهر سبتمبر على أن يعودوا الى حياتهم المدنية فى اليوم الأول من أكتوبر ، كما سمحت باستمرار زيارة المدنيين للجبهة . وتعاقدت مصر مع الاتحاد السوفييتى على توريد اسلحة جديدة واعلن انها ستصل فى ميعاد لاحق للسادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، بالاضافة الى الاعلان عن اجراء عمرة للقطع البحرية المصرية فى موانىء باكستان ، ونشر خبر افتتاح الجامعات فى ٢٩ سبتمبر والسكوت على تأجيل هذا الموعد .

كما تمت مجموعة اجراءات الخداع العسكرى لاخفاء الاستعدادات كان اهمها :

(أ) متابعة استكمال مطالب العمليه الدفاعية وتجهيز الخطوط الدفاعية فى العمق .

(ب) امرت القيادة العامة باجراء مناورة كبرى لجميع القوات المسلحة كنهاية لموسم التدريب السنوى اقتضت تحرك القوات من جميع المناطق . وقد تم تفسير تحرك القوات من القاهرة والاسكندرية الى جبهة القناة على اساس الاشتراك فى المناورة ، وقد اتسع الغرض من المناورة ليشمل القيام بتعبئة عامة للدولة . وتحت ستار المناورة امكننا اتخاذ اجراءات اخرى مثل الغاء اجازات الضباط والجنود ابتداء من أواخر سبتمبر ١٩٧٣ .

(جـ) تحريك قوات فى اتجاهات مختلفة وثانوية واجـــراء تحرك عرضـــية داخـــل الجبهة ومن والى الجبهة تحت ستار التدريب . كما استغرق تجميع القوات للهجوم فترة تتراوح بين ثلاثة واربعة أشهر وذا بدفع الوحدات فى مجموعات صغيرة وتكديس الاحتياطيات تباعا فى الجبهة

ثم دفعت القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة قبل ثلاثة اســـابي من بدء الهجوم .

(د) وضعت خطة خاصـــة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهة مع عدم نقل هـــذه المعدات على مقربة من القناة الا فى آخر وقت ممكن . وفى نفس الوقت وضعت هذه المعدات داخل صناديق ضـــخمة لتخفى محتوياتها . واختيرت نقط عبور كثيرة على طول مواجهة القناة دون التقيد بالنقط القديمة الأكثر صلاحية من الناحية الفنية لاقامة الكبارى .

(هـ) أجريت تجارب اســـتدعاء أفراد الاحتياط على فترات منتظمة بحيث تقع أكبرها فى الفترة المحددة لتنفيذ الهجوم .

(و) وصول الألوية المقاتلة نهارا الى مناطق معينة واجراء تدريبات فيها ثم عودة كتيبة من كل لواء ليلا الى منطقة فى الخلف مما يفسر على انه نوع من التدريب وليس استعدادا للهجوم .

(ز) تصرفت القوات فى الجبهة كما فى الحالة العادية كاســـتحمام الجنود فى القناة قبل الهجوم بساعات .

أما بالنسبة للقوات الجوية فقد نفذت بعض اساليب الخداع وفقـــا لخطة محكمة ، كان أهمها رفع درجة الاستعداد الكامل فى القواعد الجوية والمطارات المصرية فى الفترة من ٢٢ — ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ . وقد نفـــذت القوات الجوية المصرية طلعات متتالية من القواعد والمطارات على امتداد الجمهورية مما أدى الى ارباك الاسرائيليين . فقد دأبوا على اخراج الطلعات الجوية تحسبا لمواجهة طلعات الطيران المصرى عند رصدها بواســطة مراكز الانذار والرادار الاسرائيلية فى سيناء . ولكن لم تحدث اية هجمات جوية مصرية فى تلك الفترة ، فاعتاد الاسرائيليون هذه الاعمال وركنوا الى

الاطمئنان وأيقنوا ان طلعات الطيران المصرى انما هى لمجرد التدريب. وقد ظل الاسرائيليون على هذا الظن السائد بينهم عندما رصدوا خروج الطائرات المصرية من قواعدها ومطاراتها لتنفيذ الضربة الجوية المركزة بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر .

فى حين ارسلت قيادة القوات البحرية بعض القطع البحرية المصرية فى زيارات مختلفة لعدد من الموانىء العربية والأجنبية لكى تعتاد اسرائيل تحرك هذه القطع فى اتجــاه الجنوب . اما القوة البحرية المصرية المكلفة بفرض الحصار البحرى على باب المندب ، فقد ابحرت فى أول أكتوبر الى عرض البحر الاحمر واعلن ان وجهتها باكستان لاجراء عمرة .

اختيار انسب توقيتات الهجوم :

اجريت دراسات مستفيضة لاختيار انسب شهور السنة ، وانســب ايام الشهر ، وانسب وقت لبدء الهجوم التى تناسب كلا الجبهتين المصرية والسورية ، كأحد العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية .

وقد وقع الاختيار على شهر أكتوبر حيث تستعد اسرائيل لاجــراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين منه ، وحيث تقع فيه أعياد الغفران ، والمظال ، والتوراة . ويأتى فيه شهر رمضان ، شهر الجهاد المسلمين ، وشهر لا يتوقع فيه الصهيونيون القتال من المسلمين . وحيث يطول الليــل وتمتد فترة الاظلام الى نحو اثنتى عشرة ساعة ، وحيث يواتى الطقس على القيام بعمليات حربية كبيرة ، كما انه يفضــــل كل شهور السنة بالنسبة للأحوال الجومائية المناسبة للعمليات البحرية .

وقد كان السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، أنسب أيام الشهر حيث تتوقف الحياة فى اسرائيل فى هذا اليوم بمناسبة عيد الغفران ، بالاضافة الى كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع . وحيث يضىء فيه القمر من غروب الشمس حتى منتصف الليل، فيساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا . فضلا عن مناسبة فرق منسوب مياه قناة السويس فى هذا اليوم .

واختير وقت بدء الهجوم (سعت س) ليكون الساعة الثانية بعــد

الظهر ، لكى تتمكن القوات السورية من اجتياز خندق مضاد الدبابات حفره العـدو على امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات فى ضوء النهار ، كما أن هذا الوقت يتيح للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافى لتوجيه ضربة جوية مركزة فى ضوء النهار مع وافر امكانية تكرارها ، ويحرم العدو من تركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الأول للعمليات . كذلك يمكن تنفيذ التمهيد النيرانى بالمدفعية خلال أربع قصفات مركزة لمدة ساعة ، وتحريك الكبارى الى الضفة الغربية للقناة وبدء اسقاطها فى المياه ، وفتح الممرات فى الساتر الترابى ، وابرار قوات الصاعقة فى عمق دفاعات العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

وقد نجحت خطة الخداع نجاحا مذهلا فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية الكاملة للعدو . وقـد ظهر ذلك جليا فى تصريح موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى بعـد الحرب حيث قال « وحتى صباح يوم الغفران لم افكر انا شخصيا فى ان الحرب ستقع ! ، ولم أسمع من أى شخص أن الحرب ستنشب فعلا ! ، ولم اكن انا الوحيد الذى أعتقد ذلك » .

لقد فاجأت الحرب الاسرائيليين حكومة وجيشا وشـعبا مفاجأة تامة على الرغم من أن المخابرات الاسرائيلية ابلغت المسـئولين الاسرائيليين فى وقت مبكر من عام ١٩٧٣ أن المصريين والسوريين يستعدون للحرب ، ونتيجة لذلك أجرى جيش الدفاع الاسرائيلى مناورات على نطاق واسع ، استدعى خلالها آلاف الرجال من أعمالهم والتحقوا بوحداتهم وكاد يتوقف النشـاط الزراعى والصناعى الاسرائيلى ، غير أن الحرب لم تنشب كما كان متوقعا . وكلفت هـذه التعبئة اسرائيل أكثر من عشرة ملايين دولار بالاضـافة الى الخسائر فى الانتاج ، ولهذا السبب وجهت الى أجهزة المخابرات الاسرائيلية موجات عارمة من النقد اللاذع بشأن المعلومات المضللة التى قدمتها . كمـا كانت هناك فكرة راسـخة فى المفهوم العسـكرى الاسرائيلى مؤداها أن احتمالات الحرب ضعيفة وأن العرب غير مستعدين لها على الرغم من فيض التقارير والمعلومات التى تؤكد العكس تماما .

لقد تلقت المخابرات الاسرائيلية ما يربى على اربعمائة رسالة تحوى

معلومات تفصح عن نية مصر وســوريا على شن الهجوم على اسرائيل ، والأهداف المحتمل أن تهاجمها القوات المصرية ، وسلمتها كاملة الى القيادة العسكرية الاسرائيلية التي تجاهلتها تماما لأنها تعارض المفهوم الســائد لدى المؤسسة العسكرية .

وهكذا ركن المسئولون الاسرائيليون الى القول السائد أن العرب غير قادرين على القتال .

ولم يعلم قادة اسرائيل بنية العرب على شن الحرب الا قبل نشوبها بعشر ساعات . ففى الرابعة من صباح السبت الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، انتهى الى المسئولين الاسرائيليين نبأ يتضمن بضع كلمات فى غاية الأهميــة والخطورة ، أيقظتهم من سباتهم العميق « تنوى مصر وسوريا الهجوم على اسرائيل اليوم الساعة السادسة مساء » .

وفى أعقاب وصول هذا الخبر ، سارع قادة اسرائيل العسكريون الى الاجتماع فى الخامسة صباحا فى مكتب رئيس الأركان العامة بوزارة الدفــاع لتدبر هذا الأمر الخطير .

وعلى الرغم من خطورة هذا النبأ ، فقد كان موشى ديان متأثرا بمفعول خــطة الخداع المصرية ، ولم يكن يدور فى خــلده حتى ذلك الوقت مدى قوة وكثافة الضربة العربية المتوقعة . لذلك عارض بشدة اقتراحى الجنرال دافيد اليعازر رئيس الأركان بشأن قيام القوات الجوية الاسرائيلية بتوجيه ضربة وقائية لاجهاض التحضيرات الهجومية لكل من مصر وسوريا واجبارهما على ايقاف الهجوم المنتظر ، واعلان التعبئة العامة لجميع القوات الاحتياطية . فقد كان الموقف من وجهة نظر وزير الدفاع لا يستدعى غير الجراء تعبئة محدودة للواءين مدرعين يخصص أحدهما لكل جبهة .

وعموما ، فقد حققت خطة الخداع مفاجأة العدو ، كما حققت المفاجأة بدورها شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية ، وحرمان العــدو من تعبئة قواته المسلحة وموارده وحشدها فى الوقت والمكان المناسبين قبــل بدء الهجوم ، واتاحة الفرصة أمام القوات المسلحة لاقتحام قناة الســويس

بسهولة وبأقل قدر من الخسائر مع تكبيد العدو أفدح الخسائر فى الأفـراد والمعـدات .

التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية :

بعد أن تم تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل فى العاشر من يناير ١٩٧٣ قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية ، طلب الى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكرى على الجبهتين المصرية والسورية ووضع اسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهتين .

وقد أتم الفريق أول أحمـد اسماعيل فى العاشر من مارس ١٩٧٣ ، دراسة التخطيط للضربة الجوية السورية المصرية المشتركة لاضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشل شـبكة السيطرة المعادية والحرب الالكترونية المضادة عند بدء العملية الهجومية الاستراتيجية .

وفى الواحد والعشرين من مارس ، استعرض القائد العام القـوات المسلحة الاتحادية الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجى بين الجبهتين وأساليب الخداع السـياسى والاستراتيجى لمفاجأة العدو . كما تم فى أول أبريل تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقـوات المسلحة الاتحادية اسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما .

وفى خلال شهرى مايو ويونية سنة ١٩٧٣ ، كانت عمليات التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية تمضى على قدم وساق ، ففى الثانى من مايو اجتمعت القيادتان المصرية والسورية للاتفاق بصفة مبدئية على توقيتات يوم ى وسعت س ، كما جرى التخطيط العام للضربة الجوية المصرية السورية المركزة ضد اسرائيل . وفى لثانى والعشرين من مايو اصـدر الفريق أول أحمـد اسماعيل توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين المصرية والسورية . كما حدد فى السابع من يونية الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية للقيادتين المصرية والسورية،

وشرح فكرة العملية الهجومية للقوات المسلحة المصرية والقوات المسلحة السورية على كلتا الجبهتين .

وفى نفس اليوم قام اللواء بهى الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية . وكانت أهداف الخطة الهجومية تتمثل فى وصول القوات السورية الى خط نهر الأردن — الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية ووصول القوات المصرية الى خط المضايق الاستراتيجية شرق القناة .

وعندما انتصف شهر غسطس سنة ١٩٧٣ ، كان قد تم الاتفاق بين القيادتين المصرية والسورية على معظم الأمور الحيوية ولم يبق سوى القليل منها وأهمها تحديد توقيتات الهجوم . . ولهذا الغرض وصل الى القاهرة يوم ٢١ أغسطس ستة من كبار القادة السوريين ، فى مقدمتهم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور رئيس الأركان ، واجتمع بهم القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية فى الاسكندرية ومعه رئيس الأركان المصرى وقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المصرية ورئيس هيئة العمليات ومدير المخابرات الحربية . وقد ناقشوا مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية وتوقيتات الهجوم والكفاءة القتالية للقوات ، والأوضاع الداخلية فى اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، والظروف السياسية الدوليه المؤثرة على خطة الهجوم .

وقد تم الاتفاق على أن أنسب توقيت للعملية الهجومية هو الفترة من ٧ — ١١ سبتمبر أو الفترة من ٥ — ١١ أكتوبر ١٩٧٣ مع أفضلية التوقيت الثانى . وترك البت فى الاختيار للقيادة السياسية فى كل من مصر وسوريا .

وقد استقر رأى السادات على أن أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر . وفى السادس من سبتمبر أصدر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة المصرية والسورية لشن العملية الهجومية « بدر » فى غضون خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء الأول من أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد سافر الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق فى الثالث من أكتوبر

وبصحبته اللواء بها الدين نوفل لابلاغ السوريين توقيتات الهجوم (يوم ى ، ساعت س) . وقد حدث خلاف بشأنهما ، حسمه الرئيس حافظ الأسد بموافقته على وجهة النظر المصرية ، وتم الاتفاق على اللمسات النهائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية . وفى نفس اليوم اعتمد الرئيس حافظ الأسد العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١٤٠٥ يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

القوات العربية والقوات الاسرائيلية :

أولا — القوات العربية :

١ — القوات المصرية :

كانت القوات البرية المصرية تتكون من : ٥ فرق مشاة ، ٣ فرق مشاة ميكانيكية وفرقتين مدرعتين ، ٤ الوية مشاة مستقلة ، ولواء مظلى ، ولواءى اقتحام جوى ، ١٠٣ كتيبة مدفعية ميدان ، ٥ كتائب صواريخ تكتيكية أرض/أرض ، ١٥ كتيبة مقذوفات موجهة مضادة للدبابات ، ٥ كتائب مدفعية مضادة للدبابات .

فى حين كانت القوات البحرية تتألف من ٥ مدمرات ، ١٢ غواصة ، ١٩ زورق صواريخ ، ٦ زوارق طوربيد .

أما القوات الجوية فقد بلغت ٤٠٠ طائرة قتال ، ٦٠ طائرة هليكوبتر ، و٣٥ طائرة نقل .

٢ — القوات السورية :

كانت القوات المسلحة السورية تتألف من : ٣ فرق مشاة ميكانيكية ، وفرقتين مدرعتين ، ٨ زوارق صواريخ ، ٨ زوارق طوربيد ، ٣٠٠ طائرة قتال ، ٤٨ طائرة هليكوبتر ، ٣٠ طائرة نقل .

ثانيا — القوات الاسرائيلية :

كانت القوات المسلحة الاسرائيلية فى أكتوبر ١٩٧٣ تتكون من : ١٤ لواء مدرعا ، ٧ الوية مشاة ميكانيكية ، ٦ الوية مشاة ، ٤ الوية مظلية ، ١١.

كتيبة نحال ، ٤٥ كتيبة مدفعية ميدان ، ١٢ كتيبة مدفعية مضادة الدبابات ، ٣ كتائب مقذوفات موجهة مضادة للدبابات .

أما القوات البحرية ، فكانت تتألف من مدمرة ، وثلاث غواصات ، ١٣ زورق صواريخ ، ٩ زورق طوربيد . في حين كانت القوات الجوية تتكون من ٤٢٨ طائرة قتال ، ١٠٥ طائرة هليكوبتر ، ٦٠ طائرة نقـل ، ٦ طائرات استطلاع الكترونى .

حجم القوات المصرية فى جبهة القناة / سيناء :

كانت القوات المصرية فى جبهة القناة / سيناء تتكون من الجيشـين الثالث والثانى الميدانيين .

وكان الجيش الثالث الميدانى يتألف من الفرقتين ١٩ ، ٧ المشاة ، والفرقة السادسة المشاة الميكانيكية والفرقة الرابعة المدرعة ، اللـواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى المستقل (برمائى) ، واللواء ٢٥ المدرع المستقل ، ولواء مشاة فلسطينى ، والمجموعة ١٢٧ صاعقة ، على أن يدخل اللواء الأول المشاة الميكانيكى من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية تحت قيادة منطقة البحر الأحمر العسكرية بعد دفعـه من منطقة رأس مسلة اثناء العمليات للاستيلاء على رأس سدر والطور ، ثم التقـدم فى اتجاه شرم الشـيخ .

أما الجيش الثانى الميدانى فكان يتكون من الفـرق ١٦ ، ٢ ، ١٨ المشاة ، والفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية والفرقة ٢١ المدرعة ، واللواءين ٣٠ ، ١٣٥ المشاة المستقلين ، واللواء ١٥ المدرع المستقل ، واللواء ١٠ المشاة الميكانيكى من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية ، والمجموعة ١٢٩ صاعقة وكتيبة مشاة كويتية .

حجم وأوضاع القوات الاسرائيلية فى جبهة القناة / سيناء :

فى بداية عام ١٩٧٢ وبناء على اقتراح الجنرال شارون ، تم تخفيض عدد المواقع الحصينة فى خط بارليف من ثلاثين موقعا الى ستة عشر موقعا .

وقد امتد على الشاطىء الشرقى للقناة من بورفؤاد شمالا الى بورتوفيق جنوبا على مواجهة ١٧٠ كيلومترا تقريبا .

وكانت القوات الاسرائيلية فى جبهة القناة تتكون من مجموعة عمليات قوامها لواء مشاة احتياط ، وثلاثة ألوية مدرعة ، تدافع فى نسقين واحتياطى . وكان النسق الأول يتكون من لواء مشاة احتياط ضعيف الكفاءة القتالية ، يحتل خط بارليف : بكتيبة فى مواجهة الجيش الثالث تعاونها أربع كتائب مدفعية ميدان ، وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات . وبكتيبتين فى مواجهة الجيش الثانى تعاونهما ست كتائب مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات .

فى حين كان النسق الثانى يتكون من ثلاث كتائب دبابات مدفوعة من الألوية المدرعة الثلاثة التى فى الاحتياط ، وتتمركز على مسافة ٣ — ٥ كيلومتر من النسق الأول ، ومجهز لها مواقع نيران على مسافة ٣٠٠ — ٥٠٠ متر من النقط الحصينة . وكان فى مواجهة الجيش الثانى كتيبتان متمركزتان فى القطاعين الشمالى والأوسط فى حين تتمركز الكتيبة الثالثة فى القطاع الجنوبى فى مواجهة الجيش الثالث . أما الاحتياط فكان مكونا من ثلاثة ألوية مدرعة عدا ثلاث كتائب ، تتمركز على مسافة من ٣٥ — ٤٥ كيلومترا من القناة وقد كان الاحتياطى العام لجبهة سيناء مكونا من لواءى مشاة ميكانيكيين متمركزان فى منطقة الكيلومتر ١٦١ ورفح ، ولواء مدرع فى منطقة نخل .

الاستعداد النهائى للهجوم :

رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من الساعة الثامنة من صباح يوم أول أكتوبر . وقد أعلن انذاك ان تلك الاجراءات فرضت لأغراض التدريب وتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى ، فى حين استمرت القوات المسلحة فى استكمال اجراءات التحضير للعملية الهجومية .

وقد تم تحديد الساعة السادسة من صباح يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد القوات المسلحة المصرية للهجوم ، كما حددت القيادة العامة التوقيتات الرئيسية للعملية الهجومية .

وفى أول ضوء يوم ٦ أكتوبر فتحت عناصر المهندسين العسكريين الثغرات فى مواقعنا على الضفة الغربية ، واتمت جميع القوات تحركاتها واتخذت أوضاعها القتالية . كذلك فقد عادت الجماعات الخاصة التى دفعت لاحباط تحضيرات العدو لاشعال سطح القناة بالوقود الملتهب بعد أن قصت الخراطيم وسدت المواسير بالأسمنت وأغلقت المحابس والصنابير .

وعلى مستوى الدولة ، فقد رفعت درجة استعداد الدفاع المدنى الى « الحالة ج » فى الساعة الواحدة واربعين دقيقة يوم ٦ أكتوبر ، ثم صدرت الأوامر بايقاف حركة الطيران المدنى والمساعدات الملاحية .

وفى مركز قيادة القوات المسلحة ، رفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبى الاستراتيجى التعبوى وفتحت الخزائن المغلقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، ووصل رئيس الجمهورية الى المركز فى الساعة الواحدة وخمس واربعين دقيقة .

وقد تمت جميع الاجراءات فى سرية تامة ، ولكن وقع حدثان كانا كافيين لكشف نية الهجوم العربى لو وجدا ما يستحقانه من دراسة فاحصة من أجهزة المخابرات الاسرائيلية .

أما الحدث الأول فهو عملية اجلاء الأسر السوفيتية من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، أما الحدث الثانى فكان أمر وزارة الطيران المدنى بايقاف حركة الطيران المدنى فى سماء مصر وايقاف المساعدات الملاحية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وان تداركت القيادة العامة الموقف وأصدرت الأمر باستئناف حركة الطيران المدنى بشكلها المعتاد .

الا أن الحدث الأول قوى اعتقاد القيادة الاسرائيلية بحتمية نشوب الحرب عندما وصلها تقرير بذلك من المخابرات الاسرائيلية فى الرابعة من صباح السادس من أكتوبر . وبعد جدال صدر قرار بتعبئة ما بين ١٠٠ — ١٢٠ الف جندى اسرائيلى واعلان حالة الطوارىء . وفى نفس الوقت رفضت القيادة السياسية الاسرائيلية ممثلة فى جولدا مائير رئيسة

الوزراء وايجـــال آلون نائبها وموشى ديان وزير الدفـــاع فكرة الضربة الوقائية الجوية بهدف احباط التحضيرات الهجومية العربية واجبار مصر وسوريا على ابقاف الهجوم المنتظر لعاملين هامين من أحـــدهما سياسى والآخر استراتيجى .

وبالنسبة للعامل الأول ، فقـــد كانت الأحوال السياسية الدوليـــة تسير فى غير صالح اسرائيل نتيجة تحديها المستمر لقرارات الأمم المتحدة وللمجتمع الدولى ، لذلك خشيت اسرائيل أن تكون البادئة بالعدوان حتى لا تثير الرأى العام ضدها .

أما بالنســـبة للعامل الثانى قـــد تمثل فى توافر العمق الاستراتيجى لاسرائيل نتيجة انتصاراتها فى حرب عام١٩٦٧ ، مما يتيح لقواتها الفرصة لامتصاص أية ضربة عربية ضدها دون الاضرار بالكيان الأساسى للدولة، ويهيىء للأركان العامة الظروف المناسبة لتعبئة الاحتياطى والقيام بالضربات المضادة خلال ٤٨ ساعة لسحق الهجوم المعادى ودحره . وقد ولد هذا الموقف احساسا بالأمان لدى القيادة السياسية الاسرائيلية . كما لم يكن فى مقـــدرة القوات الجوية الاسرائيلية تكرار الضربة الجوية المركزة التى وجهتها الى المطارات والقواعد الجوية المصرية صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، بالاضافة الى أن امكاناتها لم تكن تمكنها من توجيه ضربة جوية الى مصر وسوريا فى وقت واحد أو حتى فى توقيتين متتابعين .

الاقتحـــــــام : —

اقتحام قناة السويس والاستيلاء على رؤوس الكبارى :

بدأ القتال فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم ٦من أكتوبر ١٩٧٣ باختراق طائراتنا خط الجبهة والبدء فى تنفيذ الضربة الجوية المركزة المفاجئة بقوة ٢٢٠ طائرة ضد أهداف العدو فى سيناء ، التى اشتملت على ثلاثة مطارات ، وعشرة مواقع صواريخ هوك المضادة للطائرات ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وموقع العدو الحصين شرق بورفؤاد .

وقد حققت الضربة الجوية التى استمرت خمس عشرة دقيقة نجاحا مذهلا ، وكانت خسائرنا فيهـا محدودة اذ بلغت ثلاث طائرات مقـاتلة واحدى عشرة طائرة مقاتلة قاذفة .

وفى نفس الوقت بدأ التمهيد النيرانى لمدة ٥٣ دقيقـة من أكثر من الفى مدفع وهاون بالاضـافة الى لواء صـواريخ تكتيكية أرض/أرض ، ومع بدء التمهيد النيرانى عبرت المفرزتان البرمائيتان للواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى المستقل البحيرات المرة الصـغرى ، ووصلت المفرزة الأولى الى الشاطىء الشرقى للقناة فى الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة ، فى حين وصلت المفرزة الثانية فى الساعة الرابعة وخمس وعشرين دقيقة وذلك بهدف تعطيل احتياطات العدو من اتجاهى الجـدى ومتلا ومنعها من التقدم غربا والتدخل فى عملية العبور . وقد تمكنت المفرزة الأولى من الاندفاع على طريق الجـدى ووصلت الى عمق ٢١ كيلومترا شرقا ، ثم قاتلت كتيبـة دبابات من الاحتياطى التكتيكى للعدو فى معركة تصادميـة استمرت أربع ساعات ليلا ومنعتها من التقدم فى اتجاه القناة طول هـذه ولكن بعد أن تكبدت خسائر جسيمة .

ونتيجة لتطور الموقف فقد كلفت المفـرزة الثانية بالاستيلاء على النقطة القوية للعدو شرق كبريت ، وقد نجحت فى تحقيق مهمتها بخسائر طفيفة.

كما عبرت مجموعات اقتناص الدبابات ومجموعات الصاعقة ووصلت الى الضفة الشرقية للقناة فى الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة لمنع دبابات العـدو من احتلال المصاطب فى الضفة الشرقيـة وضرب قوات العبور ، وكانت قد دفعت يوم ٥ أكتوبر جماعات من الصاعقة والمهندسين لقص خراطيم النابالم ، ونجحت فى مهمتهـا مما لم يمكن الاسرائيليين من اشتعال اللهب فوق سطح مياه القناة .

وفى الساعة الثانيـة وعشرين دقيقة بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد ومعها عناصر من المهندسين العسكريين فى اقتحام قناة السويس مستخدمة نحو الف قارب اقتحام مطاط . وقـد

ارتفع أول أعلام مصر فوق رمال سيناء فى الساعة الثانية وثلاثين دقيقة بسواعد رجال اللواء السابع المشاة من الجيش الثالث الميدانى ، فى حين ارتفعت بنود مصر فى نطاق الجيش الثانى الميدانى فى الساعة الثانية وسبع وثلاثين دقيقة اثر عبور الموجة الأولى . وقد كانت النقطة القوية عند الكيلومتر ١٩ فى قطاع بورسعيد أولى النقط القوية التى سقطت فى أيدى القوات المصرية وذلك فى الساعة الثالثة والنصف .

وقد اندفعت الموجات الأولى من الفواصل بين المواقع الحصينة الى العمق لاقامة رؤوس الكبارى . وفى الفترة ما بين الساعة الثانية واربعين دقيقة والساعة الثالثة يوم ٦ اكتوبر ، تم عبور الموجتين الثانية والثالثة ، اللتين قامتا بالالتفاف حول النقط الحصينة وحصارها ثم مهاجمتها وتدمير تحصيناتها .

وتحت ستر عناصر المشاة ونيران المدفعية ، عبرت مع الموجة الثانية الى الضفة الشرقية ، مجموعات فتح الممرات من المهندسين وشرعت فى فتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى على طول المواجهة مستخدمة مدافع المياه ، وقد نجحت فى فتح أول ممر فى نحو ساعة . وفى تلك الأثناء كانت وحدات أخرى من المهندسين تقوم باسقاط معدات المعديات والكبارى وتقيمها فوق مياه القناة ، أمام الممرات ، بينما اشتعلت معركة حامية بين الدبابات المصرية والأسلحة المضادة للدبابات فى غرب القناة واطقم اقتناص الدبابات شرقى القناة من جهة ، والدبابات الاسرائيلية التى كانت فى النسق الثانى وأخذت تندفع الى القناة من جهة اخرى .

وقد تم اقامة المعديات والكبارى فى الجيش الثانى فى فترة من ست الى تسع ساعات ، وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيلة الى سيناء . بينما اصطدمت عملية فتح الممرات فى الساتر الترابى واقامة الكبارى فى قطاع الجيش الثالث بصلابة تربة الساتر الترابى ، التى جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، وبتغييرات مناسيب مياه القناة بفعل المد والجزر ، وبسرعة التيار العالية بالاضافة الى القصف المركز من مدفعية وطائرات العدو . وقد ادت هذه العوامل مجتمعة الى اقامة الكبارى فى نطاق الجيش الثالث

فى نحو ست عشرة ساعة . وأخيرا نجح المهندسون فى اقامة عشر كبارى ثقيلة وعشرة كبارى مشاة بالاضافة الى ٣١ معدية ، وقبل آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر تم ابرار مجموعات من وحدات الصاعقة جوا فى عمق سيناء وعلى الساحل الشرقى لخليج السويس بمهمة عرقلة تقدم احتياطيات العدو من العمق ومنع قواته من الارتداد شرقا واربال قيادات العدو .

وفى الساعة الخامسة والنصف من مساء ٦ كتوبر أتمت الفرق المشاة الخمس وقوات قطاع بورسعيد اقتحام قناة السويس على مواجهة ١٧٠ كيلومترا ، وتمكنت من انشاء رءوس كبارى بعمق من ٣ — ٤ كيلومترات .

وفى الساعة التاسعة والنصف مساء كانت وحدات الدفاع الجوى المصرى قد اسقطت ٢٤ طائرة للعدو ، كما قامت القاذفات بقذف منطقة شرم الشيخ بالصواريخ فى الساعة العاشرة وعشر دقائق مساء فأحدثت بها خسائر كبيرة .

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، حولت قوات الصاعقة المصرية آبار ومنشآت البترول فى أبى ذنيمة وسدر وأبى رديس الى شعلة من النيران ، كما هاجمت مواقع العدو على طول الساحل الشرقى لخليج السويس ونصبت الكمائن على الطرق وأنزلت بالعدو خسائر كبيرة .

وقامت القوات البحرية بفرض الحصار البحرى على باب المندب وشاركت فى فرض الحصار غواصتان ومدمرتان من البحرية المصرية ، بالاضافة الى زوارق طوربيد وزوارق مساحة تابعة لبحرية اليمن الشمالية والجنوبية .

وقد بلغ من كفاءة التخطيط أنه لم تدخل أو تخرج سفينة واحدة من ميناء ايلات حتى توقيع اتفاقية فصل القوات(١) .

---

(١) الفريق فؤاد ذكرى : البحرية المصرية وحرب الغفران ، الأهرام ، ٨ أكتوبر ١٩٧٦ .

كما قامت القوات البحرية بمعاونة أعمال قتال القوات المصرية سواء المعاونة بالنيران او حماية الجانب الأيسر للقوات البرية المتقدمة بحذاء الساحل .

بالاضافة الى اغارتها بالنيران على الموانىء والمراسى والأهداف الساحلية الحيوية لاسرائيل بتسديد الضربات اليها بالصواريخ والمدفعية ، وذلك فى مناطق شرم الشيخ ورأس محمد ورأس سدر ورأس برون وشرق بورفؤاد ورمانة مما اربك قيادات اسرائيل العسكرية وكبدها خسائر فى الأفراد والمعدات .

وخلال ليلة ٧/٦ اكتوبر قامت القوات المصرية بتعزيز مواقعها شرق القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ، كما صدت هجمات مضادة للعدو خلال نفس الليلة .

وفى الساعة السادسة وخمس واربعين دقيقة صباح يوم ٧ من اكتوبر قام العدو بضربة جوية على المطارات المصرية مركزا على مطار بنى سويف فأسقطت له ثلاث طائرات بواسطة الصواريخ المضادة للطائرات ، وقد اسفرت الضربة الجوية عن تدمير ٤ طائرات مقاتلة مصرية .

عاود العدو هجومه الجوى على مطاراتنا فى نحو التاسعة صباحا فتصدت له قواتنا الجوية واسقطت له طائرتين .

وحتى الساعة الحادية عشرة صباحا ، كان قد تم تدمير ٣٣ طائرة اسرائيلية ، ٢٠٠ دبابة وسقوط نحو ٦٠٠ قتيل وجريح ، على حين نجحت تشكيلات المشاة المصرية فى انشاء رءوس كبارى شرق القناة بعمق ٤ — ٥ كيلومترات ومعها حوالى ١٠٠٠ دبابة ، واستولت على معظم نقط العدو القوية وحاصرت النقط الباقية بخسائر لا تتجاوز ثلاثمائة شهيد وعشرين دبابة .

وفى خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى التى أعقبت نشوب الحرب ، اسندت قيادة القطاعات الثلاثة الاسرائيلية على جبهة القناة الى قادة الألوية المدرعة الثلاثة التى كانت فى الاحتياط وتتبع الجنرال البرت

مندلر قائد جبهة سـيناء . وطـوال لية ٦/٧ اكتوبر انهمكت الدبابات الاسرائيلية فى القيام بالهجمات المضادة ضد رءوس الكبارى المصرية لمنع القوات المصرية من توسيعها وتعميقها ، ودعم المواقع الاسرائيلية ، واخلاء الجرحى والقتلى . وعندما تحركت فى اتجاه الضفة الشرقية واجهت نيرانا قـــاتلة .

وقد منيت القوات الاسرائيلية « بخسائر هائلة فى الرجال والمدرعات وخرجت من المعركة التى لم تتوقف ولم يبق لديها سوى قلة من الدبابات القادرة على القتال »(١) .

وبنهاية يوم ٧ اكتوبر تمكنت الفرق المشاة من مد رءوس الكبارى الى عمق ٦ — ٨ كيلومترات ، كما نجحت الفرقة ١٨ المشاة فى تحرير القنطرة شرق خلال لياة ٧/٨ اكتوبر .

وفى نفس الوقت كانت قوات الاحتياطى الاسرائيلى تتدفق على جبهة القتال فى سيناء . وقد تولى الجنرال ابراهام آدان قيادة القطاع الشمالى والجنرال شارون قيادة القطاع الأوسط ، فى حين تولى الجنرال البرت مندلر قيادة القطاع الجنوبى .

وكانت خطة الهجوم المضـــاد التى وضعها الجنرال اليعازر رئيس الأركان الاسرائيلى مســاء يوم ٧ اكتوبر لتنفـــذ فى صباح ٨ أكتوبر تقضى بقيـــام مجموعة عمليـــات الجنـــرال ابراهام آدان المكونة من ثلاثة الوية مدرعة بالهجوم على نطاق الجيش الثانى ، على ان تتمركز مجموعة عمليات الجنرال شارون المؤلفة من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكى فى القطاع الأوسط بمهمة ايقاف تقدم القوات المصرية شرقا والعمل كاحتياط لمجموعة الجنرال آدان . وفى حالة نجـــاح آدان فى مهمته ، تقوم مجموعة عمليات شـــارون بالهجوم على الجيش الثالث ، اما فى حالة فشـــله فيتعين على مجموعة شـــارون تعزيز قوات الجنرال ابراهام آدان . فى حين تقـــوم

---

(١) موشى ديان ، قصـــة حياتى ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، القسم الثانى ، ص ٥٢٣ .

مجموعة الجنرال مندلر — لواءان مدرعان ولواء مشاة ميكانيكي — بايقاف التقدم المصرى شرقا والعمل كاحتياط لمجموعة عمليات شارون فى حـالة الهجوم على الجيش الثالث .

أما الخطة التفصيلية للهجوم المضاد فكانت تنص على قيام مجموعة عمليات آدان بالهجوم على الجيش الثانى من الشمال الى الجنوب بالقرب من الشاطىء الشرقى للقناة فيما بين القنطرة والدفرسوار على ان توجـه الضربة الرئيسية للهجوم المضاد الى نطاق الفرقة الثانية المشاة بالفردان بقوة لواء مدرع مع قيام اللواءين الآخرين بهجمات ثانوية خـداعية على الفرقتين ١٨ ، ١٦ المشاة . وفى حالة نجاح الهجوم المضاد ، يتم عبـور مجموعتى آدان وشارون قناة السويس وانشــاء راس كوبرى بعمق ٢٠ كيلومترا والاستيلاء على مدينة السويس .

الهجوم المضاد الاسرائيلى يوم ٨ أكتوبر وفشله :

فى نحو التاسعة من صباح يوم ٨ من اكتوبر شـن لواء مدرع من مجموعة عمليات آدان هجوما على اللواء الايسر للفرقة الثانية المشاة ، الذى نجح فى صد الهجوم بمعاونة وحدات فرعية من اللواء ٢٤ المدرع . غير ان كتيبة دبابات من اللواء الاسرائيلى قامت بهجمة مضادة على الجنب الأيمن للفرقة الثانية ، التى تمكنت من تدمير معظم دبابات الكتيبة . وقبيل منتصف نهار ٨ من أكتوبر كان اللواء المدرع الاسرائيلى قد تكبد خسـائر فادحـة .

اعتقد الجنرال جونين قائد المنطقة الجنوبية ان خطة الهجوم على الجيش الثانى تنفذ بنجاح ، فأمر الجنرال شارون بالتحرك جنوبا للقيـام بالهجوم المضاد على الجيش الثالث .

وفى نفس الوقت امر الجنرال آدان قائد اللواء المدرع الذى يعمـل فى مواجهة الفرقة ١٨ المشاة بتحريك كتيبتى دبابات لتدعيم اللواء المدرع الذى يهاجم الفرقة الثانية المشاة فى الفردان . ولكن قائد الفرقة الثانيـة المشاة اعد ارض قتل للمدرعات الاسرائيلية بداخل راس كوبري الفرقـة بهدف جصار العدو فيها وتدميره .

وبعد منتصف نهار ٨ اكتوبر بقليل ، قامت كتيبتا الدبابات بالهجوم فى نقطة الاتصال بين اللواءين الرابع ، ١٢٠ المشـــاة نسق أول الفرقة الثانيـــة — كما توقع قائد الفرقة — وبمجرد دخول الدبابات الى أرض القتل انهالت عليها النيران من كل صوب فتم تدمير معظمها ، وأسر المقدم عساف ياجورى قائد احدى الكتيبتين . وفى نفس الوقت نجحت الفرقتان ١٨ ، ١٦ المشاة فى صد هجمات العدو المضادة وتكبيده خسائر جسيمة .

ونتيجة لذلك ، صدرت أوامر الجنرال آدان لقادة الألوية بالانسحاب شرقا فى اتجاه الطريق العرضى رقم ٣ الممتــد من بالوظة الى الطاســة واحتلال مواقع مجهزة فى العمق . ونتيجة لهذا الفشـــل الذريع ، فقد تم تعيين الجنرال بارليف ممثلا شخصيا لرئيس الأركان فى القيادة الجنوبية مع منحه الصلاحيات الكاملة للقيادة .

وبعد صد الهجوم المضاد الاسرائيلى طورت الفرق المشاة هجومها ووصلت رؤوس الكبارى الى عمق من ٨ — ١٠ كيلومترات .

الموقف الاسرائيلى بعد فشل الهجوم المضاد :

بعد فشل الهجوم المضاد الاسرائيلى يوم ٨ اكتوبر ، اتضح لرئيس الأركان الاسرائيلى انه لا يمكن القيام بالهجـــوم على الجبهتـــين المصرية والسورية فى وقت واحد . لذلك قرر تحول القوات الاسرائيلية فى جبهـــة سيناء الى الدفاع والقيام بعملية اعادة التجميع استعدادا لشـــن الهجوم بعد تصفية الموقف على الجبهة السورية واخراج سوريا من الحرب . وحتى تتاح فرصة الهجوم تعمل القوات الاسرائيلية فى سيناء على ايقاف تطوير الهجوم المصرى ومنع القوات المصرية من الوصول الى الطريق العـــرضى رقم ٣ على مسافة حوالى ٣٠ كيلومترا من القناة(١) . ويتم ذلك باستخدام الطيران والمدفعية بعيدة المدى وستائر المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات والهجمات المضادة المحلية بهدف تثبيت القوات المصرية . بيد انه فى الساعة

(١) جمال حماد ، للمرة الثانية سحقنا الهجوم الاسرائيلى ، مجلة أكتوبر ، العدد ٤٩١ ، ٢٣ مارس ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

الثالثة من مساء التاسع من اكتوبر ، قامت طائرات ومدفعية العدو بقصف مركز على اللواء الثالث المشاة الميكانيكى من الفرقة ١٦ المشاة ، واللـــواء الأيمن من الفرقة الثانية المشاة . ثم بدأ الهجوم الرئيسى على الكتيبة اليمين من اللواء الثالث المشاة الميكانيكى بقوة اللواء ٦٠٠ المدرع الاحتياط عدا كتيبة ، والهجوم الثانوى التثبيتى على الجنب الأيمن للفرقة الثانية المشاة ونقطة الاتصال بين الفرقتين بقوة كتيبة دبابات مدعمة بمشاة ميكانيكية . وقد تمكنت قوة الهجوم الرئيسى من اختراق المنطقة الدفاعية للكتيبة والاستيلاء على النقطة ٥٧ ذات الأهميـــة التكتيكية على حين نجحت كتيبة النســـق الثانى فى الطالية فى صد اختراق العدو بالتعاون مع الاحتياطيات المضادة للدبابات ومدفعية الميدان ، الا أن العدو ظل محتفظا بالنقطة ٥٧ .

وفى الساعة السادسة والربع مساء شنت نحو خمسين دبابة للعدو هجوما على نقطة الاتصال بين اللواء ١٦ المشاة (فى اليمين) واللواء الثالث المشاة الميكانيكى (فى المنتصف) ، وتمكنت من احداث اختراق بعمق ٣ كيلومترات . ولكن تم صد الاختراق وقفل الثغرة بامكانات اللواءين والفرقة والجيش الثانى ، بعد أن تكبد كل من العدو واللواء الثالث خسائر فادحة . ثم تمكن اللواء الميكانيكى بمعاونة الفرقة — التى دعمتـــه بأطقم اقتناص دبابات — من اســـترداد النقطة ٥٧ اثر هجوم ليلى صامت ليلة ٩/١٠ أكتوبر ، وعادت الأوضاع فى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة الى ما كانت عليـــــه .

وعندما انتصف نهار ٩ من أكتوبر شنت الطائرات الاسرائيلية غارات مكثفة على رادارات رأس رحمى والسخنة وبلطيم وبورسعيد وعلى كتائب صواريخ الدفاع الجوى فى قطاع بورسعيد .

كما نجح الجيش الثالث فى صد هجمات العدو المضادة المحدودة ، ثم دفع اللواء الأول المشاة الميكانيكى مفرزة قوية فى اتجاه الجنوب استولت على نقطة العدو القوية فى عيون موسى وعلى ستة مدافع ١٥٥ مم سليمة ومثبتة فى قواعد خرسانية داخل دشم قوية التحصين ،

غير أن اللواء الأول المشاة الميكانيكى لم يتمكن من تحقيق مهمته ألا من الاستيلاء على رأس مسلة بقوة سرية مشاة ميكانيكى يوم ١١ اكتوبر ، وذلك بسبب القذف الجوى المعادى وعدم استغلال ساعات الظلام ، حتى ألغت القيادة العامة مهمته فى الاستيلاء على رأس سدر فى نفس اليوم .

وبغروب شمس التاسع من أكتوبر ، كانت الفرقتان ١٩ ، ٧ المشاة قد شكلتا رأس كوبرى الجيش الثالث بعمق ١٠ — ١٢ كيلومترا ، فى حين شكلت الفرقتان ١٦ ، ٢ المشاة رأس كوبرى الجيش الثانى . أما الفرقة ١٨ المشاة فقد عززت الخط المحدد لها على الاتجاه الشمالى أمام القنطرة شرق . وكانت تفصل بين الجيش الثالث والثانى ثغرة باتساع ٢٥ كيلومترا تشمل معظم المسطح المائى للبحيرات المرة ، التى أعتقد خطأ أنها مانع طبيعى ، لذلك لم تحدد القيادة العامة للقوات المسلحة مسئولية تأمينها تحديدا واضحا دقيقا .

كما أخطأت قيادة الفرقة ١٦ المشاة خطأ فاحشا حين لم تهتم بتأمين الجنب الأيمن للفرقة ، وقد تمثل ذلك فى ترك حصن الدفرسوار وحصن تل سلام بدون قوات ، مما هيأ الفرصة للعدو للاستيلاء عليهما ليلة ١٦/١٥ اكتوبر دون أن تراق له قطرة دماء واحدة ، ثم استخدامها فى عملية العبور الى الغرب .

أما على الجانب الاسرائيلى ، فقد انتهى مجلس الحرب فى الساعات الأولى من صباح العاشر من أكتوبر الى قرار بتركيز المجهود الرئيسى للقوات الاسرائيلية على الجبهة السورية . وقد استتبع ذلك قيام القوات الجوية الاسرائيلية بقذف أهداف استراتيجية فى عمق سوريا وبخاصة الأهداف الاقتصادية لاجبار سوريا على الاستسلام ، فى حين اقتصر الهدف الاسرائيلى فى الجبهة الجنوبية على تثبيت القوات المصرية ومنعها من تطوير هجومها شرقا .

الوقفـة التعبـوية :

توقفت القوات المصرية شرق القناة لمدة أربعة ايام فيما بين ١٠ ، ١٣ اكتوبر حيث تحولت الى تعزيز الخـط المستولى عليه وتأمين رءوس الكبارى وصد الهجمات المضادة المحلية التى كانت تشنها وحدات فرعية من لواء مدرع احتيـاط .

وعندما انبلج صباح الحادى عشر من اكتوبر تأكدت القيـادة العامة الاتحادية من أن العدو مازال يقاتل قتالا تعطيليا على الجبهة المصرية بينما يركز مجهوده الرئيسى على الجبهة السورية .

وفى مساء نفس اليوم توصلت القيادة الجنوبية الاسرائيلية برياسة حاييم بارليف الى انه لاسبيل الى ترجيح كفتها وتجاوز مساوىء الحـرب الثابتة التى فرضتها عليها القوات المصرية الا بعبور قناة السـويس الى الغرب ، وانتهت الى أن منطقة الدفرسوار هى أصلح مناطق العبـور ، الا أن العقبة التى كانت تواجهها هى وجود قوات مدرعة مصرية بحجـم كبير على الضفة الغربية للقناة .

وقد كان توقيت العبور الاسرائيلى مرهونا بتحرك معظم القـوات المدرعة المصرية من غرب القناة الى شرقها . لذلك لم يتوصل مجلس الحرب الاسرائيلى الى قرار بشأن العبور التى عرضـها الجنرال حاييم بارليف يوم ١٢ اكتوبر مع وجود القوات المدرعة المصرية فى الغرب . ولم يعـلن موافقته الا بعد تحرك وحدات من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين الى الشرق وفشل الهجوم المصرى يوم ١٤ اكتوبر . وقـد ظل موقف العدو يوم ١٢ اكتوبر على ما هو عليه ومازالت مهمته تثبيت قواتنا لحين حشد التجميع الرئيسى والقيام بضربة مضادة قوية لانتزاع المبادأة بصفة نهائية .

وفى هذا اليوم ركز العدو مجهوده الجوى على وحدات صـواريخ الدفاع الجوى وزاد عـدد طلعاته الجوية لتصبح ٩٥ طلعة بقوة ٢٤٠ طائرة ، كما قام ليلا بنقل حوالى عشرين عربة نصف مجنزرة محملا عليها

صواريخ س س ١١ المضادة للدبابات فى طائرة هليكوبتر الى منطقة تقع خلف قواته المواجهة للفرقة الثانية المشاة مباشرة .

وقد صدر فى هذا اليوم أمر القائد العـــام للقوات المسلحة بتطوير الهجوم شرقا اعتبارا من يوم ١٣ من أكتوبر ، ثم اجل الهجوم الى صـــباح ١٤ من أكتوبر .

وقد ابدى كل من الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان ، واللواءين ســـعد الدين مأمون ، عبد المنعم واصل قائدى الجيشين الثانى والثالث معارضته الشديدة لقرار تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق وبينوا ما ينجم عنه من عواقب وخيمة ، غير أنهم اذعنوا بعد أن صرح اهم القائد العــام بأنه قرار الرئيس السادات لتخفيف الضغط عن سوريا . وفى ليلة ١٣/١٢ من اكتوبر ، بدأ عبور وحدات الفرقة ٢١ المدرعة ، واللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعـــة المدرعة قناة السويس ، وأخذت القوات تســـتعد لتطوير الهجوم .

وقد حدث أمر خطير فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٣ من اكتوبر اذ قامت طائرة اســـتطلاع أمريكية من طـــراز لوكهيـــــد SR - 71 - A برحلة استطلاع فوق الجبهة المصرية وشوهدت حركتها على شاشة الدفاع الجـــوى فى غرفة العمليات بالمركز الرئيسى ... دون أن تنتبه القيادة العامة الى هدفها الحقيقى .

الوقفة التعبوية فى الميزان :

كانت الخطة الأصلية تقضى بعدم تطوير الهجوم الى المضايق الا بعد انهـــاء التفـــوق الجوى الاسرائيلى ، اما باستنزاف الطيران الاسرائيلى بواسطة عناصر الدفاع الجوى المصرى واما بتوفير غطاء صاروخى متحرك لحماية القوات اثناء الهجوم .

وقد دافعت القيـــــادة المصرية من الوقفة التعبوية ، وكان حديث الفريق أول احمد اسماعيل المنشور فى أهرام ١١ نوفمبر سنة ١٩٧٣ انما يستهدف ذلك . وقد كان ممـــا ذكر أن الوقفة التعبوية لها أهداف تخدم

الخطة الهجومية المصرية لتحرير سيناء ومن اهمها : ضمان ثبات وتعزيز رؤوس الكبارى واتخاذها قاعدة قوية تستند اليها القوات عند تطوير هجومها ، وتحقيق الدفاع الجوى عن رءوس الكبارى واستنزاف طائرات العدو . بالاضافة الى ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح بفضل وجود الأنساق الثانية للجيشين الميدانيين واحتياطيات القيادة العامة غرب قناة السويس ، واعادة تنظيم وتجميع القوات فى مناطق رءوس الكبارى ، واستكمال الامداد الادارى والفنى استعدادا لتطوير الهجوم شرقا .

بينما أثارت الوقفة التعبوية عاصفة من الانتقادات ووصفت بأنها نكوص عن استغلال النجاح وتسليم للمبادأة الى العدو . وقد اعترضت القيادة السورية عليها فى ذلك الوقت قائلة انها تخالف ما اتفق عليه فى مؤتمر تنظيم التعاون الذى تم يوم ٧ يونية سنة ١٩٧٣ ، حيث كان الاتفاق يقضى أولا بوصول القوات المصرية الى شرق المضايق ، والقوات السورية الى نهر الأردن وبحيرة طبرية ثم اجراء الوقفة التعبوية .

كما استولت الدهشة على القادة السوفييت لعدم استغلال المصريين النجاح الذى أحرزوه للاستيلاء على مضايق سيناء الجبلية بوصفها خط الدفاع الاستراتيجى عن مصر ، ولتخفيف الضغط عن الجبهة السورية .

لقد أوردت مجلة « تايم » أن المصريين فشلوا فى اقتناص الفرصة المتاحة لهم بعد العبور للتقدم الى ممر متلا . وطرح حاييم هيرتزوج ، المعلق الاسرائيلى ، بعد الحرب هذا التساؤل « لماذا لم يتقدم المصريون فى الأيام الأولى للقتال ؟ » .

وفعلا لو تقدمت الفرق المشاة ليلا ابتداء من مساء ٩ اكتوبر لأمكنها الاستيلاء على الممرات الجبلية فى يومى قتال بالتعاون مع قوات الابرار الجوى ، حيث كانت تبعد عن رءوس الكبارى بمسافة من ٢٠ — ٣٥ كيلومترا . وبعد الاستيلاء على المضايق كان يمكن تنظيم الدفاع شرق القناة بالأنساق الأولى والثانية للجيشين الميدانيين مع تمركز احتياطيات الجيشين غرب القناة . وبذلك يمكن تحقيق الاتزان والعمق فى الدفاع والوقاية

للقوات لاسيما بعد انتقال بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوى الى شرق القنـــــاة .

علمـــا بأن الخبـــراء العســـكريين العالميين اجمعـــوا على أن الطيران الاسرائيلى لا يمكنه تقـــديم الدعم المطلوب لقواته العاملة على جبهتين فى وقت واحد حتى ولو كان قد استعوض جميع خسائره .

ولمـــا كان من المتوقع تركيز الطـــيران الاسرائيلى على الجبهـــة السورية ، فقد بات من المنتظر الا يعمل على الجبهة المصرية أكثر من ٢٥٪ من قوة الطيران السرائيلى ، أى حوالى ١١٠ طائرة قتال فى مواجهة نحو ٤٠٠ طائرة قتال مصرية . وعلى الرغم من تفوق الطائرات الاسرائيلية فى مدى العمل وقوة التسليح ، فان قرب منطقة المضايق من القناة يجعلنـــا نسقط عامل التفوق فى المدى ، أما التفوق فى التسليح فكان يمكن مجابهته بالتفوق العددى فى الطائرات ووفرة وسائل الدفاع الجوى من المدفعيـــة والصواريخ الفردية سام ٧ ، بالاضافة الى وجود لواءى صواريخ سام ٦ المتحركة . ولا ريب أن الحذر الزائد للقيادة المصرية هو الذى أدى الى ذلك الموقف . وليس أدل على صدق قولنا من الشكاوى الملحة للجنرال جونين قائد القيادة الجنوبية بسبب الغياب الملحوظ للطيران الاسرائيلى عن الجبهة أيام ٧ ، ٨ ، ٩ اكتوبر ممـــا أدى الى اخفاق الهجمات المضادة الاسرائيليـــة .

لقد أضاعت القيادة المصرية فرصة مواتية ثمينة ، فلو كان قد تم فعلا الاستيلاء على المضايق لأجبر العدو على الانسحاب والدفاع على الخط : العريش ـــ جبل لبنى ـــ متمتنى ـــ جبل خرم ـــ جبل المطلة ـــ التمـــد ، على مسافة من ٤٥ ـــ ٥٠ كيلومترا من حدود مصر الشرقية ، فضلا عن تشـــتيت مجهود العـــدو الجوى واحتياطيـــه الاستراتيجى بين الجبهتين المصرية والسورية .

وقد قيل انه كان يمكن على أقل تقدير الاستيلاء على ممر متلا ومضيق الجدى ، وعلى الطريق العرضى رقم ٣ من الطاســـة الى بالوظة لحرمان

العدو من المناورة العرضية فضلا عن ارغام العدو على القتال على جبهتين .

ولكى يتضح الموقف ونصل الى الحكم السليم ، فلابد لنا من ان نستعرض الأعمال القتالية على الجبهة السورية .

الموقف على الجبهة السورية :

بدأ الهجوم السورى فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم ٦ من اكتوبر سنة ١٩٧٣ بضربة جوية مركزة وتمهيد نيرانى قوى من المدفعية والصواريخ . وفى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الفرق المشاة الميكانيكية السابعة والتاسعة والخامسة تخترق المواقع الاسرائيلية فى قطاعين رئيسيين : أحدهما شمال القنيطرة فى مواجهة اللواء السابع المدرع ، والآخر جنوبها فى مواجهة اللواء المدرع باراك ، اللذين كانا يضمان ١٧٧ دبابة وتعاونها اربع كتائب مدفعية . وبحلول اول ضوء يوم ٧ اكتوبر ، كان السوريون قد نجحوا فى اختراق الجبهة على مواجهة ٣٠ كيلومترا وبعمق ما بين ١٢ — ٢٠ كيلومترا ، ووصلت الفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية فى القطاع الجنوبى الى منتصف الطريق الى نهر الأردن .

وابتداء من الساعة السادسة من صباح ٧ من اكتوبر ، ركزت القوات الجوية الاسرائيلية هجماتها على الجبهة السورية بهدف ايقاف تقدم القوات السورية . ومنذ منتصف نهار ٨ من اكتوبر تحول ميزان القوى الى جانب اسرائيل ، بعد أن بدأت ضربتها المضادة بثلاث مجموعات عمليات تضم ستة الوية مدرعة وثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، ضد القوات السورية التى خسرت نصف دباباتها وابتعدت عن حماية مظلة صواريخ الدفاع الجوى .

وقد تمكنت القوات الاسرائيلية خلال يومى ٩ ، ١٠ اكتوبر من استرداد الأراضى التى فقدتها فى يومى ٦ ، ٧ اكتوبر ووصلت الى خط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

وفى صباح ١١ من اكتوبر ، أمرت القيادة الاسرائيلية قواتها باستئناف

الهجوم والتقدم نحو دمشق وتهديدها بشكل يجبر السوريين على طلب ايقاف القتال .

ولذلك انتقل المجهود الرئيسى للقوات الاسرائيلية من القطاع الجنوبى الى القطاع الشمالى الذى هو اقصر الطرق الى دمشق . وقد تراجعت القوات السورية فى القطاع الشمالى خلال يوم ١١ من اكتوبر الى الخط الدفاعى الثانى ، وتراجعت الفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية نحو الجنوب الشرقى عدة كيلومترات ، فى حين كانت الفرقة التاسعة الميكانيكية تتمركز حول سعسع ، وهى مدينة تقع على مسافة ٤٠ كيلومترا من دمشق ، ونتيجة لأوضاع القوات السورية ، فقد اصبحت هناك ثغرة بعرض ٢٠ كيلومترا بين الجانب الأيسر للفرقة التاسعة المشاة الميكانيكية ، والجانب الأيمن للفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية ، نفذت منها ثلاثة الوية مدرعة اسرائيلية متجهة الى الكسوة فدمشق ، باذلة اقصى جهودها لتوسيع الثغرة فى اتجاه الشرق . الا أن عمق المواقع السورية وعنف مقاومتها واشتراك الفرقة الثالثة المدرعة — الاحتياطى الاستراتيجى العام للقيادة السورية — فى القتال ووصول اللواءين المدرعين ١٢ العراقى ، ٤٠ الأردنى يوم ١١ من اكتوبر واشتباكهما مع القوات الاسرائيلية ، ادت الى اخفاق الهجوم الاسرائيلى . وفى يوم ١٣ اكتوبر ، كانت القوات الاسرائيلية قد استنفدت كل طاقتها ولم تعد قادرة على الاستمرار فى الهجوم بعد أن تكبدت خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات ، لذلك فقد تحولت الى أوضاع الدفاع واخذت فى تحسين مواقعها .

يتضح من سير القتال ان العدو ثبت الجبهة المصرية بقوات قليلة وحشد معظم قواته البرية والجوية على الجبهة السورية ، كما ركزت جهود سلاحه البحرى امام السواحل السورية تعاونه طائرات الهليكوبتر المجهزة بصواريخ جو بحر خلال يومى ١١ ، ١٢ اكتوبر بهدف احداث اكبر خسائر ممكنة بالقوات البحرية السورية مع القيام بعمليات خاصة على أهداف بترولية على الساحل .

وقد كان هذا الموقف يحتم استمرار هجوم القوات المصرية اعتبارا من مساء ٩ أكتوبر للاستيلاء على خط المضايق لتخفيف الضغط على الجبهة السورية واجبار العدو على القتال على جبهتين .

الهجوم المصرى يوم ١٤ من اكتوبر سنة ١٩٧٣ :

اخذت سوريا تضغط بشدة على مصر اعتبارا من ٩ اكتوبر لتطوير الهجوم شرقا ، وتوالت اشارات القيادة السورية على القيادة الاتحادية متضمنة كلمة واحدة هى متى .. ؟ وقد أفضى الحاح سوريا المستمر الى اضطرار السادات الى تلبية طلبها ، فاتخذ قرارا على مسئوليته مساء يوم ١٢ أكتوبر بتطوير الهجوم فى اتجاه المضايق فى صباح يوم ١٣ من أكتوبر ثم أجل الهجوم الى صباح اليوم التالى .

ولكن هل كان توقيت قرار تطوير الهجوم مناسبا ؟

اذا تتبعنا أعمال القتال على الجبهتين الشمالية والجنوبية لوجدنا أن العدو حسم الموقف لصالحه على الجبهة الشمالية يوم ١٣ اكتوبر ، ثم تحول القتال الى معركة دفاعية ثابتة . ويقول موشى ديان « فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١١ من أكتوبر بدأت قواتنا البرية هجومها ... وواصلت شق طريقها الى الأمام طوال اليوم التالى بأكمله وجزءا من اليوم الذى يليه وقضت يوم ١٣ من أكتوبر فى تحسين مواقعها . وباستثناء القتال الذى دار من أجل الاستيلاء على المواقع العسكرية فوق جبل الشيخ ، التى استولينا عليها فى آخر لحظة تقريبا بعد ذلك بأسبوع ونصف انتهت عملياتنا على الجبهة السورية واقيم خط دفاع جديد » (١) .

أما على الجبهة الجنوبية ، فقد كان العدو يحتفظ بستة الوية مدرعة ولواءى مشاة ميكانيكيين مما جعل له التفوق على القوات المخصصة لتطوير الهجوم .

يتضح من ذلك أن قرار تطوير الهجوم كان قد فات أوانه ، فهو لم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٤ .

يكن يفيد الجبهة السورية بعد أن حسم القتال فيها لصالح العدو ، الذى لم يكن بحاجة الى سحب قوات منها ، حيث كانت قواته على الجبهة الجنوبية قادرة على صد الهجوم المصرى المرتقب . ولهذا فقد كانت لهذا القرار عواقب وخيمة ، كانت بمثابة نقطة تحول فى الحرب لصالح العدو . وبعد ان فرغ العدو من الجبهة السورية ، قام بسحب أربعة الوية مدرعة منها وأصبح له على الجبهة المصرية عشرة الوية مدرعة يوم ١٩ اكتوبر .

كانت الخطة الهجومية المصرية تقضى بتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضايق الجبلية ، وذلك باستخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية من خارج التكوين الأصلى للفرق المشاة الخمس . بدأت المفارز المصرية الهجوم فى الساعة السادسة والنصف من صباح ١٤ من اكتوبر بعد تنفيذ ضربة جوية وقصفة نيران مركزة بالمدفعية والصواريخ التكتيكية أرض / أرض متوسطة المدى على الأهداف المعادية لمدة ١٥ دقيقة . فقام الجيش الثالث الميدانى بدفع اللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة للاستيلاء على المدخل الغربى لممر متلا وتأمينه ، واللواء ١١ المشاة الميكانيكية من الفرقة السابعة المشاة وكتيبة دبابات من اللواء ٢٥ المدرع المستقل للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع طريق الجدى . كما دفع الجيش الثانى الميدانى الفرقة ٢١ المدرعة فى اتجاه الطاسة للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع الطريق الأوسط ، واللواء ١٥ المدرع المستقل فى اتجاه بالوظة للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع الطريق الشمالى .

تقدمت القوات المهاجمة بنجاح حتى الساعة السابعة والنصف صباحا والعدو ينسحب أمامها ، مستدرجا اياها الى أرض قتل اختارها بدقة وعناية . فى حين شنت الطائرات الاسرائيلية من الساعة السابعة والنصف حتى العاشرة صباحا ثلاث هجمات جوية ، اثنتان منها على القوات المصرية فى الشرق والثالثة على مطار الصالحية ، أسقطت فى خلالها نحو عشرين طائرة . وفى نفس الوقت تعرضت المفارز المتقدمة لنيران كثيفة من المدفعية

والدبابات المتخندقة وستائر صواريخ س س ١١ المضـــادة للدبابات ، بالاضافة الى طائرات الهليكوبتر المسلحة بهذه الصواريخ التى استخدمها العدو بنجاح فى الجبهة السورية . ونتيجـــة لتعثر المفارز ، فقـــد قامت الطائرات المصرية بضرب المقاومات التى تعترضها مما ساعدها على التقدم ولكن ببطء . بيد أن هذه المفارز لم تتمكن من احراز اى نجاح فى الفترة من الساعة الواحدة الى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وتكبدت خسائر جسيمة فى الدبابات بلغت نحو مائتى دبابة ، منها ١٢٢ دبابة تحملتها مفرزتا الجيش الثانى الميدانى . ولما كانت هذه المفارز غير قادرة على التمسك بالخطوط التى وصلت اليها فقد صدرت اليها الأوامر بالارتداد الى رءوس الكبارى قبل أول ضوء يوم ١٥ اكتوبر .

لقد كان تنفيذ الهجوم بقوات مدرعة وميكانيكية على مواقع دفاعية مجهزة بها عـــدد كبير من الأسلحة المضادة للدبابات من الخطورة بمكان . واذا كان لابد من تطوير الهجوم ، فقد كان من الأجدى أن تقوم الأنساق الاولى للفرق المشاة بالهجوم الليلى على خـــط الدفاع الثانى للعدو ليـــلة ١٣/١٤ من اكتوبر وتدمر قواته وأســـلحته ثم تســـتغل القوات المدرعة والميكانيكية النجاح فى أول ضوء يوم ١٤ من اكتوبر . ثم تتقدم الفرق المشاة وتقوم بتعزيز الأراضى المكتسبة ، وبعدها يعاد تجميع القوات المدرعة ، التى دفعت من الغرب ، فى رءوس الكبارى تمهيدا لاعادة تمركزها غرب القنـــــاة

وعلى أية حال ، فقد أسفر الهجوم المصرى يوم ١٤ من أكتوبر عـــن نتيجتين هامتين هما : دفع الفرقة ٢١ المدرعة واللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة الى شرق القناة ، وثغرة الدفرسوار .

ثغــرة الدفرســـوار :

بدأت الولايات المتحدة اعتبارا من يوم ١٠ اكتوبر فى امداد اسرائيل بالأسلحة التى كانت تحملها طائرات شركة العال الاسرائيلية من الأراضى الأمريكية ، وشيئا فشيئا ازداد الدور الأمريكي وصارت الطائرات الأمريكية تنقل الأسلحة الى جزر الآزور وسط المحيط الأطلسي ، ثم تقوم طائرات

المال بنقلها الى اسرائيل ، وذلك ردا على الجسر السوفييتى الى مصر وسوريا ، الذى بدأ بعد ثلاثة أيام من الحرب حيث قام الاتحاد السوفييتى بتنفيذ ٩٠٠ رحلة طيران نقل خلالها خمسة عشر الف طن من المعـــدات الحربية . ثم تعاظم الدور الأمريكى حين قررت الولايات المتحدة يوم ١٣ من أكتوبر اقامة جسر جوى على نطاق شـــامل يؤازره جسر بحرى الى مطارات وموانىء العدو فى سيناء واسرائيل لنقل أحدث ما تنتجه ترسانة الأسلحة الأمريكية ، فاستعوض خسائره واحتفظ باحتياطى منها . كمـــا قدمت الولايات المتحـــدة الى اسرائيل المعلومات المســـتقاة من اقمارهـــا الصناعية وطائرات استطلاعها التى اكتشفت ثغرة بين الجيشين الثانى والثالث عرضها ٢٥ كيلومترا .

وكانت لدى اسرائيل خطة معدة مسبقا للعبور من نقطة التقاء القناة بالبحيرات المرة الكبرى ، غير أن الظروف لم تكن مواتية لتنفيذها بسبب الانتصارات المصرية ، وحرص اسرائيل على تجنب المزيد من الخسائر ، ووجود الأنساق الثانية واحتياطيات الجيشين الثانى والثالث غرب القناة . كذلك فان التخطيط لحرب أكتوبر تضمن احتمال عبور العدو الى غـــرب القناة واحداث ثغرة فى منطقة الدفرســـوار ، ووضعت خطة تفصـــيلية لتصفيتها تعتمد على تركيز المدفعية والطيران على القوة المعادية وحصرها ومنعها من الانتشـــار ثم دميرها بواســـطة القوات المدرعة والميكانيكية الموجودة فى الغرب . وبدفع الفرقة ٢١ المدرعة واخفاق الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ، واستعواض اسرائيل خسائرها وتزويدها بأسلحة أمريكية متطورة ، واغفال القيادة العـــامة المصرية دفع قوة مدرعة الى الجيش الثانى لتحل محل الفرقة ٢١ المدرعة ، فقد اصبحت الظروف مهيـــأة أمام اسرائيل لتنفيذ عملية « الغزالة » .

وقد بدأ العدو فى التحضير لهذه العملية اعتبارا من يوم ١٣ أكتوبر . ويقول موشى ديان « بعد الخاتمة الناجحة لهجومنا المضاد العلم على الجبهة

الشـــمالية فى يوم ١٣ من اكتوبر انتقــل مركز الثقــل العســكرى الى الجنــوب » (١) .

شرعت الأركان العامة الاسرائيلية فى ١٣ اكتوبر فى حشد قوات مدرعة وميكانيكية فى مواجهة رءوس الكبارى ، وابتداء من صباح ١٥ اكتوبر كان العدو قد تمكن من نقل معظم مجهوده الجوى الى الجبهة المصرية بعد ان اطمأن على موقفه فى الجبهة السورية . ومنذ السابعة صباحابدأ يهــاجم المطارات المصرية بتركيز شديد ، كما عاودت طائرة الاستطلاع SR - 71 - A رحلتها الاستطلاعية ، التى تحقق منها العدو من خلو منطقة الجيش الثانى غرب القناة من الدبابات تقريبا . وقد كان من المتوقع أن تكون هذه الطلعة بمثابة انذار للقيادة المصرية فتتدارك الموقف وتسارع الى تكوين احتياطى مدرع للجيش الثانى الميدانى ، ولكنها اغفلت ذلك تماما ، وبذا اصــبحت الظروف مواتيــة امام الجنرال حــاييم بارليف ــ قائد القيادة الجنوبيــة الاسرائيلية ــ لتنفيذ خطة العبور الى الضفة الغربية للقناة .

كانت الخطة الاسرائيلية تتلخص فى تثبيت رءوس الكبارى بهجمات مضادة مستمرة وخداع القيادة المصرية عن اتجاهالهجوم الرئيسى ، وتطهير محور الطاسة ــ تل سدم ، ومحور طرطور اللذين سوف تتحرك عليهما القوات والمعدات المخصصة للعبور ، ثم تركيز الهجوم على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى (اللواء ١٦ المشاة من الفرقة ١٦ المشاة) بهــدف فتح طريق الى القناة تعبر من خلاله القوات الاسرائيلية بعد اقامة رأس كوبرى على ضــفتى القناة فى الدفرســوار وتأمينه . ويقول موشى ديان « فى يوم ١٤ من اكتوبر أصدرت القيادة الجنوبية أمراً بالعبور ، وتقــرر ان يبدأ فى الساعة السابعة من مساء اليوم التالى وان يكون موقع العبــور هو الدفرسوار شمال البحيرات المرة مباشرة ، وكان على فرقتى ايــريك وبرين ان تعبرا ، وتقوم فرقتان اخريتان باحتواء العدو على الضـــفة الشرقية . وكان على فرقة ايريك تأمين ممر عرضه ميلان ونصف الميل ، وذلك بالاستيلاء على طريق هــام وكذا على قطعة أرض تعرف باســم

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥٧٥ .

المزرعة الصــــينية . وكان على لواء مظلات تسانده المدرعـــات ، بقيادة البريجادير جنرال دانى مات ، أن يقوم بالعبـــور وتأمين رأس جسر على الضفة الغربية للقناة بحيث يتم فى الصباح مد جسرين . وتتقدم فرقة ابريك للقيام بالعبور أولا لتطهير المنطقة وتأمين رءوس الجسور على كلتا الضفتين ، ثم تعبر الفرقة التى يقودها برن من خلالها وتتقدم فى الضفة الغربيـــــة جنوبا فى اتجاه خليج السويس والاتجاه نحو الغرب »(١) . ومن هنا يتضح أن نجاح عملية العبور كان يتوقف على نجاح الاسرائيليين فى اقامة رأس كوبرى على ضفتى القناة وتأمينه من الشرق والغرب مما يحتم تدمير اللواء ١٦ المشاة او اجباره على الارتداد شمالا .

كان العبء الرئيسى للعبور يقع على مجموعة عمليـــات الجنرال شارون ، فقد كان على لواء مدرع عدا كتيبة مدرعة أن يقوم فى الخامسة من مساء ١٥ اكتوبر بهجمات خداعية على شـــمال ووسط رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشـــاة لتثبيتها وجذب انتباهها هى والفرقة ٢١ المدرعة الى المحور الاوســــط ، ولخداع القيــــادة المصرية عن منطقة العبور فى الدفرســـوار .

كما يقوم لواء مدرع آخر مدعم بكتيبة دبابات وكتيبتى مشاة ميكانيكيتين وكتيبة استطلاع مجموعة احمديت (الفرقة) فى السادسة من مساء يوم ١٥ اكتوبر بحركة التفاف جنوب محور الطاسة — تل سلام للوصول الى نقطة العبور فى الدفرسوار بمهمة تطهير محور الطاسة — تل سلام ومحور طـــرطور ، ومهاجمة اللواء ١٦ المشــــاة واجباره على الارتداد شـــمالا ، والاستيلاء على المزرعة الصينية (قرية الجلاء) ، وخداع القيادة المصرية عن اتجاه عملية عبور القناة ، وتأمين منطقة العبور .

وبعد نجاح اللواء المدرع فى تحقيق مهامه ، يعبر الى الضفة الغربية على الكبارى التى ســـيتم تركيبها ويسلم مسئولية تأمين رأس الكوبرى شرق القنـــاة الى اللواء المدرع الســـابق ذكره . ويقوم لواء مدرع ثالث بتخصيص كتيبة مدرعة لجر أجزاء الكبارى الى منطقة الدفرســـوار ، ثم

---

(١) المجلة حياتي ، ص ٥٧٦ .

تخصيص كتيبة مدرعة أخرى للعبور الى الضفة الغربية على معـــديات متحركة عقب عبور لواء المظلات قناة السويس فى قوارب المطاط .

والأخيرا يقوم لواء المظلات بقيادة دانى مات ، والمدعم بسرية دبابات بالتقدم على محور الطاسة — تل سلام الى نقطة العبور فى الدفرسوار ، والعبور الى الضفة الغربية للقناة ، على أن تقوم كتيبة دبابات بتأمـــين طريق تحركه الى نقطة العبور .

بدأ العدو الهجوم فى نحو السابعة من مساء ١٥ اكتوبر ، وفى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء تمكنت ١٥ دبابة معادية من اختراق دفاعات اللواء ١٦ المشاة بعمق أربعة كيلومترات ووصلت الى منطقة قرية الجلاء ، ولكن تم ايقافها وتدمـــير معظمها . كما دفع العدو فى نفس الوقت عشرين دبابة لتهاجم الجانب الأيسر للواء بهدف تدمير بعض كتائب صواريخ الدفاع الجـــوى التى تم انتقالها الى شرق القنـــاة ، غير أنه اخفق وخسر معظم دباباته . وبعد نحو اربع ساعات عاود الاسرائيليون الهجوم بقوة أربعين دبابة على نفس اللـــواء ، الذى نجح فى صد الهجوم بمعاونة الفرقة ٢١ المدرعة . بيد أنه فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، استولى شارون على جزء من خط القناة الذى سيعبر منه ، ولكن تمكنت القوات المصرية من اغلاق الطريق المؤدى اليه . وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع شارون ومعه مائتا جندى بالعبور الى الضفة الغربية للقناة ، وظل ساعتين معزولا حتى وصلته قيادة لواء المظلات فى نحو الثالثة من صباح يوم ١٦ اكتوبر ثم توالى عبور باقى اللواء حتى الخامسة صباحا . ولم تواجه القوة الاسرائيلية اية مقاومة مصرية بل وجدت نفسها فى منطقة يسودها الهدوء التام . ومع مطلع الفجر بدأت المعديات تنقل دبابات العدو بأعداد قليلة الى الضــــفة الغربية للقناة .

وفى التاسعة من صباح يوم ١٦ اكتوبر كان قد تم عبور حوالى ثلاثين دبابة اسرائيلية الى الغرب وانتشرت فى شكل مروحة وتمكنت من تدمير عدد من قواعد صواريخ الدفاع الجوى فأحدثت ثغرة فى حائط الدفـــاع

الجـــوى ، اتاحت للطائرات الاسرائيلية حرية العمل لأول مرة فى هـــذه المنطقـــة .

وقد دفعت قيادة الجيش الثانى فى نحو الساعة الثالثة مساء كتيبة مشـاة كويتية مدعمة بالدبابات لاحتلال مطار الدفرسوار وتأمين الضـــــفة الغربية للقناة فى تلك المنطقة ، غير انها فشلت وتكبدت خسائر جسيمة . وحتى ذلك الوقت ، لم تفطن القيادة المصرية الى طبيعة واهداف عمليـــة العدو فى منطقة الدفرسوار وظنت انها مجرد اغارة عادية .

أما الاسرائيليون ، فقد استمروا فى تنفيذ خطتهم وحاولوا فتح ممـــر يدفعون من خلاله بقوات اضافية لدعم اللواء المظلى ، ولكنهم فشلوا بعـــد نزيف هائل من الدماء . الا أن القوات الاسرائيلية واصلت ضـــغطها على الجانب الايمن لراس كوبرى الجيش الثانى حتى تمكنت من اختراقه فى نحو الساعة الثالثة مساء وسيطرت على المنطقة شرقى الدفرسوار وشـــمالا حتى قرية الجلاء التى ظلت صامدة فى وجه الهجمات الاسرائيلية .

وبعد مشاورات أجراها القادة الاسرائيليون مع قيادة الجبهة ، تقرر شن هجوم ليلى على قرية الجلاء بقوة لواء مشاة ، فتم نقل لواء مظلى جوا من راس ســـدر بجنوب ســـيناء الى منطقة القتـــال . كما قامت القيادة الاسرائيلية بدفع اللواء المدرع المتمركز فى المليز الى راس كوبرى الفرقة ١٦ المشـــاة حوالى الساعة الرابعة مساء ليكون على مقربة من ســـاحة العبور ، وبذلك اصبح امام مواجهة الفرقة ١٦ المشاة اربعة الوية مدرعة اسرائيلية . ومنذ ذلك الحين اخذت مدفعيـــة الجيش الثانى تطلق نيرانها بشدة فى اتجاه راس الكوبرى الاسرائيلى .

وكان قد حضر الى مصر فى صباح السادس عشر من اكتوبر اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ، وكانت اهم اهداف زيـــارته ايجاد وسيلة لوقف اطلاق النار . وقد قدم كوسيجين مشروعا من اربـــع نقاط هى : وقف اطلاق النار حيث تقف القوات المتصارعة ، وانسحاب اسرائيل الى حدود ٥ يونية ١٩٦٧ ، وانهاء حالة الحرب ، وضمان كل من

الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للسلام في الشرق الأوسط .

وفي نفس اليوم ألقى أنور السادات خطابا امام مجلس الشعب أكد فيه على شرط الانسحاب من الأراضي المحتلة مقابل انهاء حالة الحـــرب . وقد كانت كل هذه التطورات تنذر بقرب صدور قرار وقف اطلاق النار ، لذا فقد أسرعت القيادة الاسرائيلية الى دفع اللواء المظلي بقيادة العقيد عوزي ملئيري الى المعركة ، بيد انه منى بخسائر فادحة ، ولكنه نجح في شغل قوات اللواء ١٦ المشاة . وقد استغل الجنرال ابراهام آدان هذه الفرصة ودفع قافلة معديات البانتون على طريق الطاسة — تل سلام الى حصن تل سلام على شاطىء البحيرة المرة الكبرى . وقد تمكن المهندسون العسكريون الاسرائيليون من اقامة جسر المعديات قبيل الساعة الرابعـــة من مساء يوم ١٧ من أكتوبر ، وأصبح جاهزا لعبور مجموعة العمليات رقم ١٦٢ بقيادة آدان . ومنذ صباح ١٧ من أكتوبر اخذت مدفعية الجيش الثاني تصب نيرانها بشدة على الكوبري الاسرائيلي وعلى ساحة العبور وجسر المعـــديات بعـــد أن فطنت القيادة المصرية الى الهـــدف الحقيقي للعملية الاسرائيلية . وعلى الرغم من شدة نيران المدفعية المصرية ، فلم يتوقف الاسرائيليون عن العمل في اقامة جسر المعديات . ولتأمين عملية اقـــامة الجسر ومنع اية قوة مصرية من التدخل ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية بغارات كثيفة على اللواء ١٦ المشاة ووحدات الفرقة ٢١ المدرعة شمال قرية الجلاء . وفي نفس الوقت كانت القوارب المطاطية والأطواف العائمة تنطلق من شاطىء القناة الشرقي حاملة الأفراد والمعدات في سباق مع الزمن لدعم رأس الكوبري الاسرائيلي غرب القناة . وفي نحو الساعة العاشرة من مساء ١٧ من اكتوبر وصلت مقدمة مجموعة العمليات ١٦٢ بقيادة الجنرال آدان الى جسر المعديات ، واندفعت الدبابات على الجسر الى الضـــــفة الغربية للقناة ، ولكن لم يعبر منها سوى ثلاث دبابات ، منها دبابة القيادة للجنرال آدان . فقـــد انهمرت قذائف مدفعيـــة الجيش الثاني على جسر المعديات وساحتي الابحار والابرار ، ممـــا أدى الى فتح فجوة في الجسر عطلت عبور مجموعة العمليات وأفضت الى تكدس الدبابات والعربات في منطقة العبور . وانقاذا للموقف ، فقد أصدر الجنرال آدان (برن) أوامره

بالاستمرار فى نقل الدبابات الى الشاطىء الغربى فوق المعديات المتحركة حتى يتم اصلاح كوبرى المعديات . ولم تكد تمضى ساعة حتى تم الاصلاحه باستخدام دبابة كوبرى فى مكان الفجوة .

وفى الساعة الرابعة من صباح ١٨ اكتوبر ، كانت المجموعة ١٦٢ عمليات قد وصلت الى راس الكوبرى غرب القناة الممتد بين قناة السويس شرقا وترعة السويس الحلوة غربا ، وما بين سرابيوم شمالا وابى سلطان جنوبا ، فى حين كان لواء مدرع من مجموعة عمليات الجنرال شارون قد اتم عبور القناة الى الغرب قبيل مجموعة عمليات الجنرال آدان . وبذلك اصبح للعدو فى منطقة رأس الكوبرى غرب القناة مجموعتا عمليات : الأولى بقيادة الجنرال شارون وتتألف من لواء مدرع ولواء مظلى ، والثانية بقيادة الجنرال آدان وتتكون من لواءين مدرعين .

كما اصدر شارون اوامره الى لواء مدرع من مجموعة عملياته — كان موجودا شرق القناة — بالهجوم على قرية الجلاء من الخلف ، التى لم تلبث أن سقطت فى يد العدو فى نحو الساعة العاشرة من مساء يوم ١٧ من اكتوبر ، بعد ان وصل اللواء ١٦ المشاة ووحدات من الفرقة ٢١ المدرعة الى درجة خطيرة من الانهاك والاستنزاف نتيجة المعارك وعدم دعمها بقوات اضافية . وبعد ان حقق اللواء المدرع الاسرائيلى مهمته ، قام بالضغط شمالا لتوسيع رأس الكوبرى الى مسافةنحو خمسة كيلومترات .

وهكذا استفحل أمر الثغرة ، على حين كان يمكن القضاء عليها يوم ١٦ من أكتوبر بقوة لا تزيد على لواء مدرع ، فقد ظل لواء المظلات الاسرائيلى المدعم بثلاثين دبابة لمدة ٣٦ ساعة غرب القناة دون أن تلحق به أية قوة اسرائيلية .

ومما زاد الأمر سوءا ، نجاح العدو قبيل منتصف ليلة ١٩/١٨ أكتوبر فى اقامة كوبرى سابق التركيب فى مكان يبعد نحو مائتى متر شمال جسر معديات البونتون بنحو ثلاثمائة متر فى حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ١٩ من أكتوبر .

التخطيط المصرى للهجوم المضاد وفشله :

ظهر فى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية مساء يوم ١٦ من أكتوبر رأيان للتعامل مع الثغرة فى الدفرسوار فى صباح اليوم التالى . الرأى الأول للفريق أول أحمد اسماعيل ويرتكز على استغلال التفوق المصرى شرق القناة فى القيام بالهجوم الرئيسى من الشرق لاغلاق ثغرة الاختراق بواسطة الفرقة ٢١ المدرعة واللواء ٢٥ المدرع المستقل ، فى حين يوجه اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ضربة ثانوية من الغرب . بينما كان رأى الفريق سعد الشاذلى توجيه الهجوم الرئيسى الى الثغرة من غرب القناة لاغلاقها بواسطة لواءين مدرعين يسحبان من الجيش الثالث شرق القناة ، ويقومان بالهجوم على الثغرة من الجنوب الى الشمال الشرقى ، على أن يقوم اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى بالهجوم من الغرب الى الشرق . وفى نفس الوقت تقوم الفرقة ٢١ المدرعة بتوجيه ضربة من مواقعها شرق القناة فى اتجاه الجنوب بهدف اغلاق الطريق المؤدى الى الثغرة من الشرق .

كانت فرصة نجاح الهجوم من غرب القناة بلواءين مدرعين كبيرة حيث كان العدو لا يمتلك سوى ثلاثين دبابة فى الغرب وهى تعادل قوة كتيبة دبابات كان من المنتظر أن تواجه ست كتائب دبابات فى اللواءين المدرعين بالاضافة الى كتيبة دبابات اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى . على حين كانت فرصة نجاح الهجوم المضاد من شرق القناة ضعيفة نظرا لوجود أربعة ألوية مدرعة اسرائيلية فى مواجهة ثغرة الاختراق من الشرق .

تمسك الفريق أول أحمد اسماعيل بمعارضته الشديدة لسحب اية قوات من الشرق مما أدى الى نشوب خلاف فى الرأى بين القائد العام ورئيس الأركان .

وعندما وصل السادات الى المركز رقم ١٠ مساء يوم ١٦ من اكتوبر ، حاول الشاذلى الاستعانة به لتدعيم وجهة نظره ، ولكن السادات رفض رأيه بعنف وثار فى وجهه مهددا اياه بالمحاكمة اذا اثار سحب اية قواته من الشرق مرة أخرى .

وعلى هذا الأساس ، صـدر قرار القائد العام مساء نفس اليوم متضمنا ما يلى :

١ — دفع اللواء ٢٥ المدرع المستقل فى أول ضوء يوم ١٧ من أكتوبر من رأس كوبرى الجيش الثالث الى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة لمهاجمة العدو فى رأس الكوبرى شرق القناة بالتعاون مع الفرقة ٢١ المدرعة التى تقوم بالهجوم من الشمال الى الجنوب .

٢ — قيـام اللواء ١١٦ المشـاة الميكانيكى من الفرقة ٢٣ المشـاة الميكانيكية بالقضاء على العدو غرب القناة والاستيلاء على الساتر الترابى والمصاطب وتأمين منطقة الدفرسوار ، بالتعاون مع الكتيبة ٧٣ صـاعقة والكتيبة ٨٥ مظلات المدعمة بكتيبة دبابات من اللواء ٢٣ المدرع .

٣ — تحرك اللواء ٢٣ المدرع من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية من المنطقة العسكرية المركزية ليلة ١٦/١٧ أكتوبر للتمركز مكان اللواء ١١٦ مشاة الميكانيكى فى منطقة استراحة عثمان أحمد عثمان .

وقد استتبع هذا القرار صدور الأوامر الى اللواء ٢٧ المـدرع من قوات الحرس الجمهورى بالاسـتعداد للتحرك والتمركز محل اللواء ٢٣ المدرع مع تلقينه الخطة الدفاعية شرق القاهرة .

اعترض اللواء أ.ح عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث على دفع اللواء ٢٥ المدرع بعرض الجبهة وفى ظل تفوق جوى معاد وفى وجود أعداد كبيرة من دبابات العدو على طريق تحرك اللواء ، الا أن الفريق أول أحمد اسماعيل أجبره على تنفيذ الأمر .

بدأ اللواء المشاة الميكانيكى الهجوم المضاد بعد منتصف نهار السابع عشر من أكتوبر غير انه فشل فى تحقيق مهمته بسـبب عنف غارات العدو الجوية وشدة نيران المدفعية ، وأجبر على الانسحاب ، وانتهى الأمر به الى احتلال موقعين دفاعيين : أحدهما رئيسى فى منطقة غرب تقاطع طريق المعاهدة مع وصلة أبو سلطان ، والآخر ثانوى غرب طريق المعاهدة مع

وصلة سرابيوم . فى حين وقفت كتيبة الدبابات ، اثناء تحركها من منطقة تمركز اللواء ٢٣ المدرع الى الدفرسوار ، فى كمين اسرائيلى دمرها تماما . أما الكتيبة ٨٥ مظلات قد تمكن العدو من تثبيتها فى مطار الدفرسوار ، واوقع بها خسائر جسيمة وأجبرها على الانسحاب الى استراحة عثمان أحمد عثمان . كما لم تتمكن الكتيبة ٧٣ صاعقة من تأمين مطار الدفرسوار وارتدت الى الخلف تحت ضغط العدو ، واحتلت موقعا دفاعيا فى منطقة شرق معسكر ابو سلطان حيث حاصرها العدو . ويرجع السبب الرئيسى فى اخفاق هذه القوات الى عدم المامها بموقف العدو .

وعلى الضفة الشرقية للقناة ، فقد تمكن العدو من تدمير اللواء ٢٥ المدرع تدميرا تاما بعد ان وقع فى ارض قتل اعدتها له المجموعة ١٦٢ عمليات بقيادة الجنرال ابراهام آدان جنوب الخط شرب الحبشى ... ل سلام على مسافة نحو سبعة كيلومترات من الدفرسوار ، بينما لم تتمكن الفرقة المدرعة من الوصول الى الدفرسوار .

وعلى اثر فشل الهجوم المضاد يوم ١٧ من اكتوبر ، وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى نحو الساعة الخامسة من مساء نفس اليوم خطة لتصفية الثغرة شرق وغرب القناة ، تنفذ فى اول ضوء يوم ١٨ من اكتوبر ، وتقضى الخطة بوجه علم بما يأتى :

١ — على الضفة الغربية للقناة :

— يقوم اللواء ٢٣ المدرع عدا كتيبة دبابات بهجوم مضاد على العدو فى منطقة الدفرسوار بمهمة تدمير قواته واسلحته والاستيلاء على الساتر الترابى والمصاطب الى مسافة ٥ كم شمال الدفرسوار .

— يؤمن دفع اللواء ٢٣ المدرع للاشتباك بواسطة اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ، وبواسطة ضربة جوية لمده ١٠ دقائق يعقبها قصفة نيران مركزة لمدة ١٠ دقائق من مدفعية الفرقة ٢٣ المشاه الميكانيكية .

— يقوم اللواء ١٨٢ مظلات عدا الكتيبة ٨٥ مظلات بالاستيلاء على الساتر الترابى والمصاطب من جبل مريم شمالا الى مصطبه الشيخ جنوبا .

ثم يستخدم المصاطب لمعاونة الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة بالنيران فى تحقيق مهامها ، لمنع العدو من العبور الى الغرب .

وقد عين العميد أ. ح احمد عبود الزمر قائد الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية لقيادة هذه القوات .

٢ — على الضفة الشرقية للقناة :

تقوم وحدات من الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة بالهجوم المضاد على قرية الجلاء والنقطة القوية فى الدفرسوار بمهمة تدمير العدو واغلاق الطريق المؤدى الى ساحة العبور ، واستعادة الأوضاع الدفاعية فى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

ولم يكد ينتصف الليل حتى صدرت أوامر القيادة العامة بدفع اللواء ٣٥ المدرع الى شرق القاهرة ووضعه تحت قيادة الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية اعتبارا من أول ضوء يوم ١٨ من أكتوبر .

بدأ اللواء ٢٣ المدرع عدا كتيبة دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية التحرك على محور وصلة أبى سلطان للقيام بالهجوم المضاد فى الساعة السابعة من صباح ١٨ من أكتوبر .

وقد تمكنت عناصر الاستطلاع الاسرائيلية من رصد تشكيل قتال اللواء ٢٣ المدرع ، ومواقع اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ، ومراكز القيادة ومراكز ملاحظة المدفعية ، فصبت عليها مدفعية العدو الثقيلة ، من مرابض نيرانها شرق القناة ، وابلا من النيران بالاضافة الى غارات العدو الجوية العنيفة مما أحدث بها خسائر جسيمة ، وجعل قائد الجيش الثانى يطلب من القيادة العامة طلعة جوية لتوفير الحماية الجوية للواء ٢٣ المدرع .

أعد لواء مدرع اسرائيلى من المجموعة ١٦٢ عمليات أرض قتل من المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات وبعض الدبابات ، مستغلا النقط القوية فى الساتر الترابى شرق المعاهدة وغرب ترعة السويس ، وقعت فيها عناصر اللواء ٢٣ المدرع التى فوجئت بوابل من النيران من المواجهة ومن الأجناب .

وانجلت المعركة عن تدمير جميع دبابات اللواء فيما عدا ثمانى دبابات انضمت على الموقع الرئيسى فى منطقة تقاطع طريقى المعاهدة — أبى سلطان . ويرجع السبب الى المعلومات غير الصحيحة التى تلقاها قائد اللواء ٢٣ المدرع عن قوة وأوضاع العدو . والا فكيف يقوم لواء مدرع عدا كتيبة دبابات (٦٢ دبابة) وعدا كتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية ميدان بالهجوم المضاد على عدو يمتلك ثلاثة الوية مدرعة (بها ٣٣٣ دبابة طبقا للتنظيم) فى ثغرة الاختراق غرب القناة ؟ . لقد كان القصور الشديد فى المعلومات عن العدو ، السبب الرئيسى فى اخفاق الهجمات المضادة .

أما اللواء الآخر من مجموعة العمليات رقم ١٦٢ ، فقد استولى على الموقع الدفاعى الثانوى غرب تقاطع طريق المساهدة مع وصلة سرابيوم ، الذى كانت تدافع عنه سرية مشاه ميكانيكية . وعندما اقترب من الموقع الدفاعى الرئيسى ، الذى كانت تحتله كتيبة مشاة ميكانيكية عدا سرية من اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ، تعرض الى نيران قوية مركزة فانحرف فى اتجاه الغرب ، ثم اتجه جنوبا على طريق المعاهدة متفاديا الموقع . وفى الساعة الرابعة من مساء يوم ١٨ من أكتوبر كان كل من اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى واللواء ٢٣ المدرع قد فقد قيمته كقوة مقاتلة .

أما اللواء ١٨٢ مظلات عدا كتيبة ، فقد نجحت منه الكتيبة ٨٩ مظلات فى الاستيلاء على جميع المصاطب غرب القناة من جبل مريم شمالا الى مصطبة الضخ جنوبا ، غير أن العدو قام بهجوم مضاد استولى على المصطبة . وقد تقدمت الكتيبة ٨١ مظلات من اللواء من نفيشة الى سرابيوم حيث كلفت بتأمين المعابر والكوبرى البيلى ، فى حين انضمت الكتيبة ٨٥ مظلات الى وحدتها الأصلية ، اللواء ١٨٢ مظلات .

وعلى الضفة الشرقية للقناة ، اخفق الهجوم المضاد الذى قامت به كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء ١٨ الميكانيكى من الفرقة ٢١ المدرعة ، واللواء الأول المدرع من الفرقة ٢١ المدرعة والمدعم بكتيبتى دبابات من

الفرقة ١٦ المشاة واللواء ٢٤ المدرع من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية ، وذلك بسبب كثافة دبابات العدو وشدة نيران المدفعية وعنف الغارات الجوية وفشل الهجوم المضاد على الضفة الغربية للقناة ، الذى كان من مهامه تأمين الجانب الأيمن للواء الأول المدرع . وقد استغل العدو الموقف وركز هجومه على الجنب الأيمن لرأس الكوبرى الموحد (من الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة) ، فأصدر قائد الجيش الثانى الميدانى أمرا الى قائد اللواء ٢٤ المدرع الذى كان متمركزا فى الاسماعيلية شرق بالانضمام الى رأس الكوبرى الموحد(١) . وقد وصل اللواء بعد مشقة واشترك مع الفرقة ٢١ المدرعة فى صد دبابات العدو .

وعلى الرغم من بسالة هذه القوات وما أحدثته من خسائر جسيمة بالعدو ، فقد واصل تقدمه شمالا من قرية الجلاء فى اتجاه مدق السواحل مما اجبر قوات الهجوم المضاد على التحول الى تنفيذ مهمة دفاعية هى صد اختراق العدو لرأس الكوبرى الموحد .

يتضح من ذلك أن القيادة المصرية أضاعت وقتا ثمينا ، لو كانت قد أحسنت استغلاله لأفسدت خطة العبور الاسرائيلية وغيرت نتيجة الحرب. وكان ذلك راجعا فى المقام الأول الى استجابة القيادة المصرية الى خطة الخداع الاسرائيلية وعدم تقديرها السليم لطبيعة أعمال العدو . بل ان القيادة المصرية ، عندما فطنت الى حقيقة أهداف العدو وخطورتها ، لم تحسن استخدام مالديها من قوات للقضاء على قوات رأس الكوبرى الاسرائيلى . فقد دفعت اللواء ٢٣ المدرع بعد تمزيقه للقيام بالهجوم المضاد صباح يوم ١٨ من أكتوبر عندما كان العدو يمتلك تفوقا ساحقا فى المدرعات مما أدى الى تدمير هذا اللواء . ولو كان قد دفع صباح يوم ١٧ من أكتوبر لتغيرت نتيجة المعركة تماما . ويقول كتاب مجموعة الصاندى تايمز « نظرة نافذة فى حرب الشرق الأوسط » : ان خطة العبور الاسرائيلية كانت

---

(١) جمال حماد ، بعد الثغرة : المحاولات المصرية لاستعادة التوازن ، مجلة اكتوبر ، العدد ٥١٨ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

تعد منهارة فى صباح يوم ١٦ من اكوبر « لولا غفلة الجانب المصرى وجنون شارون » .

وكان يجب على القيادة المصرية ، بعد أن تنبهت الى خطورة الثغرة صباح السابع عشر من اكتوبر ، أن تتخذ اجراء سريعا حاسما لتصفيتها ، مما كان يستلزم حشد كافة المدرعات المتيسرة شرق وغرب القناة — ماعدا دبابات التعاون الوثيق ضمن تنظيم الفرق المشاة — بالاضافة الى الألوية المشاة الميكانيكية المتيسرة ، وتشن ضربتين مضادتين من شرق وغرب القناة يوم ١٨ من أكتوبر . ولو كانت قد فعلت ذلك لتوافرت لديها ثمانية الوية مدرعة (أربعة الوية مدرعة من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين ، ولواءان مدرعان من الفرقتين ٦ ، ٢٣ المشاة الميكانيكيتين ، واللـواء ١٥ المدرع واللواء ٢٣ المدرع) ، أربعة الوية مشـاة ميكانيكية (لواءان من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين ، ولواءان من الفرقة ٢٣ المشـاة الميكانيكية) حيث كان اللواء الأول المشـاة الميكانيكى ، واللواء ١١٣ المشـاة الميكانيكى من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية فى عيون موسى ورأس مسلة شرق القناة ، وبير عديب ووادى حجول غرب القناة . وبذلك كان يمكن تحقيق التفوق فى الحشد على العدو ، الذى كان له فى منطقة الثغرة شرق وغرب القناة ستة الوية مدرعة ولواءان من المشاة . ولم يكن هذا الحشـد المصرى ليقلل من القدرة القتالية للفرق المشاة الخمس شرق القنـاة ، فقد كانت كل فرقة مشاة بامكاناتها الذاتية قادرة على صد مجموعة عمليات العدو مكونة من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكى .

ولكن القيادة العامة للقوات المسـلحة ارتكبت أخطاء لم ينكرها الفريق أول أحمد اسماعيل ، وانما اعترف بها بقوله « لقد وقعنا نحن فى أخطاء » ، ومن هذه الأخطاء ، الدفع المتتالى للقوات للقيام بالهجـوم المضاد دون مراعاة مبدأ الحشد أو تكليفها بمهام تفـوق طاقتها . كذلك سلخ اللواءين ٢٢ ، ٢٤ المدرعين من الفرقتين ٦ ، ٢٣ المشاة الميكانيكيتين ، واللواء ١٤ المدرع من الفرقة ٢١ المدرعة فى المرحلة الابتدائية من العملية الهجومية ودعم الفرق المشاة بها — نتيجـة الحذر الزائد — مما كبدها

بعض الخسائر وقيد خفة حركتها ، وكان يجب ان تظل ضمن تشكيلاتها الأساسية . بالاضافة الى تشتيت وحدات الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية تبين أربعة اتجاهات : قيادة الفرقة ووحداتها الفرعية فى الجفرا ، واللواء الأول المشاة الميكانيكى ولواء مدفعية الفرقة فى رأس مسلة ، واللواء ١١٣ المشاة الميكانيكى فى بير عديب ووادى حجول ؛ واللواء ٢٢ المدرع شرق القناة تحت قيادة الفرقة ١٩ المشاة منذ بداية الحرب ، فضلا عن تكليف اللواء الأول المشاة الميكانيكى بمهمة مبتورة لا تخدم الاتجاه الرئيسى للهجوم . كذلك امتدت يد التشتيت الى الفرقة الرابعة المدرعة حيث كانت قيادة الفرقة واللواء الثانى المدرع فى الجفرا ، واللواء الثالث المدرع شرق القناة اعتبارا من ١٣ اكتوبر ، واللواء السادس المشاة الميكانيكى فى منطقة الكيلومتر ١٠٩ طريق القاهرة — السويس لتأمين الموقع المتوسط الجيش الثالث ، ولواء مدفعية الفرقة شرق القناة ملحقا على الفرقة السابعة المشاة . بالاضافة الى سحب بعض كتائب المقذوفات الموجهة المضادة الدبابات من الفرق الموجودة غرب القناة لتدعيم فرق المشاة الموجودة فى الشرق .

وعلى المستوى الاستراتيجى ، فقد اساءت القيادة العامة استخدام الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية ، التشكيل الرئيسى فى الاحتياطى الاستراتيجى ، اذ وضعت اللواء العاشر المشاة الميكانيكى من الفرقة تحت قيادة الجيش الثانى التى كلفته بمهمة تأمين مؤخرة الفرقة ١٨ المشاة فى منطقة القنطرة غرب منذ بداية الحرب ، ودفعت اللواء ٢٣ المدرع الى الجيش الثانى ليلة ١٧/١٦ اكتوبر ، وبذا لم يتبق من الفرقة سوى لواء مشاة ميكانيكى ، مما لم يمكن القيادة العامة من القيام بالضربة المضادة عندما دعت الحاجة . بالاضافة الى اغفال استخدام اللواء الثانى المدرع فى القيام بالهجوم المضاد يوم ١٨ من اكتوبر بالتعاون مع اللواء ٢٣ المدرع . كذلك اهملت تلك القيادة مبدأ الأمن الاستراتيجى ، فلم يكن يجب دفع احتياطى مدرع الى الجيش الثانى بعد عبور الفرقة ٢١

المدرعة الى الشرق ، او ان تحل الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية محلها وتنفذ مهامهـــا . ولو كان قد تم ذلك لما حدثت الثغرة فى الدفرسوار .

أما على الجانب الاسرائيلى ، فقد تقرر أن تقوم مجموعة عمليـــات الجنرال كلمان ماجن ــ التى كانت مســـئولة عن تأمين راس الكوبرى فى الخطة الأصلية ــ بالتقدم جنوبا غرب مجموعة عمليات الجنرال آدان فى اتجاه الســـويس ، وأن تبقى مجموعة عمليات شـــارون فى منطقة راس الكوبرى للاندفاع شمالا فى اتجاه الاسماعيلية .

تفاقم الموقف ووصول السادات الى مركز القيادة الرئيسى :

اخذت أعداد كبيرة من الدبابات الاسرائيلية منذ صباح ١٨ من اكتوبر فى التسرب غرب القناة مهاجمة المناطق الادارية وقواعد صواريخ الدفاع الجوى ، فدمرت بعضها مما مكن الجنرال ابراهام آدان فى صباح ١٩ من اكتوبر من القيام بهجوم شامل فى اتجاهى الجنوب والغرب . وقد هاجمت القوات الجوية المصرية خلال يوم ١٨ من اكتوبر راس الكوبرى الاسرائيلى غرب القناة وركزت هجماتها على جسر معديات البونتون شمال البحيرة المرة الكبرى ، حيث نشـــبت معركة جوية بين الطـــائرات المصرية والاسرائيلية ، اسقط فيها عدد كبير لكلا الجانبين . وازاء تدهور الموقف على الجبهة المصرية ، فقد وصل الرئيس الراحل انور السادات الى مركز القيادة الرئيسى (المركز ١٠) فى نحو الساعة الثانية الا ربعا من بعد ظهر يوم ١٨ من اكتوبر واستمع الى تقرير عن الموقف من القـــائد العـــام ، ثم أصدر أوامره بضرب مطار العريش حيث اتضح أنه المركز الرئيسى للامداد الاسرائيلى ، وبتحرك رئيس الأركان الى الجيش الثانى للعمل على رفع الروح المعنوية للقوات والسيطرة على الموقف .

ولمواجهة الموقف الجديد ، فقد قرر قائد الجيش الثانى سحب اللواء ١٥ المدرع المستقل من الشرق وتمركزه شمال ترعة الاسماعيلية للعمـــل كاحتياط للجيش ، ولكن القائد العام لم يصدق على قراره ، وظل اللواء ١٥ المدرع شرق القناة . كما تقرر أن يقوم اللواء ١٨٢ مظلى بالدفاع عن

الضفة الغربية جنوب ترعة الاسـماعيلية وتأمين مؤخرة الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة . فى حين يحتل اللواء ١١٨ المشـاة الميكانيكى من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية قطاعا دفاعيا على طول ترعة الاسـماعيلية لمنع العدو من التقدم شمالا فى اتجاه مدينة الاسماعيلية .

وفى نفس اليوم ، صدرت أوامر القيادة العـامة بانضمام اللواء ٣ المدرع الموجود شرق القناة الى تشكيله الأصلى — الفرقة الرابعة المدرعة — فى منطقة الجفرا غرب القناة مساء يوم ١٩ من أكتوبر . كذلك قيـام الفرقة الرابعة المدرعة اعتبارا من يوم ١٨ من اكتوبر بالدفاع عن النطاق الدفاعى الثانى (التعبوى) للجيشين الثانى والثالث من ترعة الاسماعيلية شمالا الى جبل عتاقة جنوبا ، وحتى يتسنى القيام بهجوم عام اسرائيلى فى اتجـاه الجنوب على الضـفة الغربيـة للقنـاة يوم ١٩ من أكوبر ، فقـد عبـر لـواء مدرع اسرائيـلى تابع لمجـموعة عمليـات الجنرال آدان الى الضفة الغربية فجـر يوم ١٩ من أكتوبر ، واصبحت المجموعة تتكون من ثلاثة الوية مدرعة . كما عبر لواء مدرع آخـر الى الغرب وانضم الى مجموعة العمليات ١٤٣ بقيادة الجنرال شارون ، التى اصبحت تتكون من لواءين مدرعين ولواء مظلى . وكانت قد عبـرت الى الغرب فى ليلة ١٨/١٩ من اكتوبر مجموعة العمليات رقم ٢٥٢ بقيـادة الجنرال كلمان ماجن وكانت تتكون من لواءين مدرعين ولواء مشـاة ميكانيكى . وبذلك اصبحت القوات الاسرائيلية غرب القناة يوم ١٩ من اكتوبر تتكون من ثلاث مجموعات عمليات تضم سبعة الوية مدرعة ولواء مشاة ميكانيكى ولواء مظلى بالاضـافة الى عناصر الدعم ، أى اكثر من ٨٠٠ دبابة وثلاثين الف مقاتل .

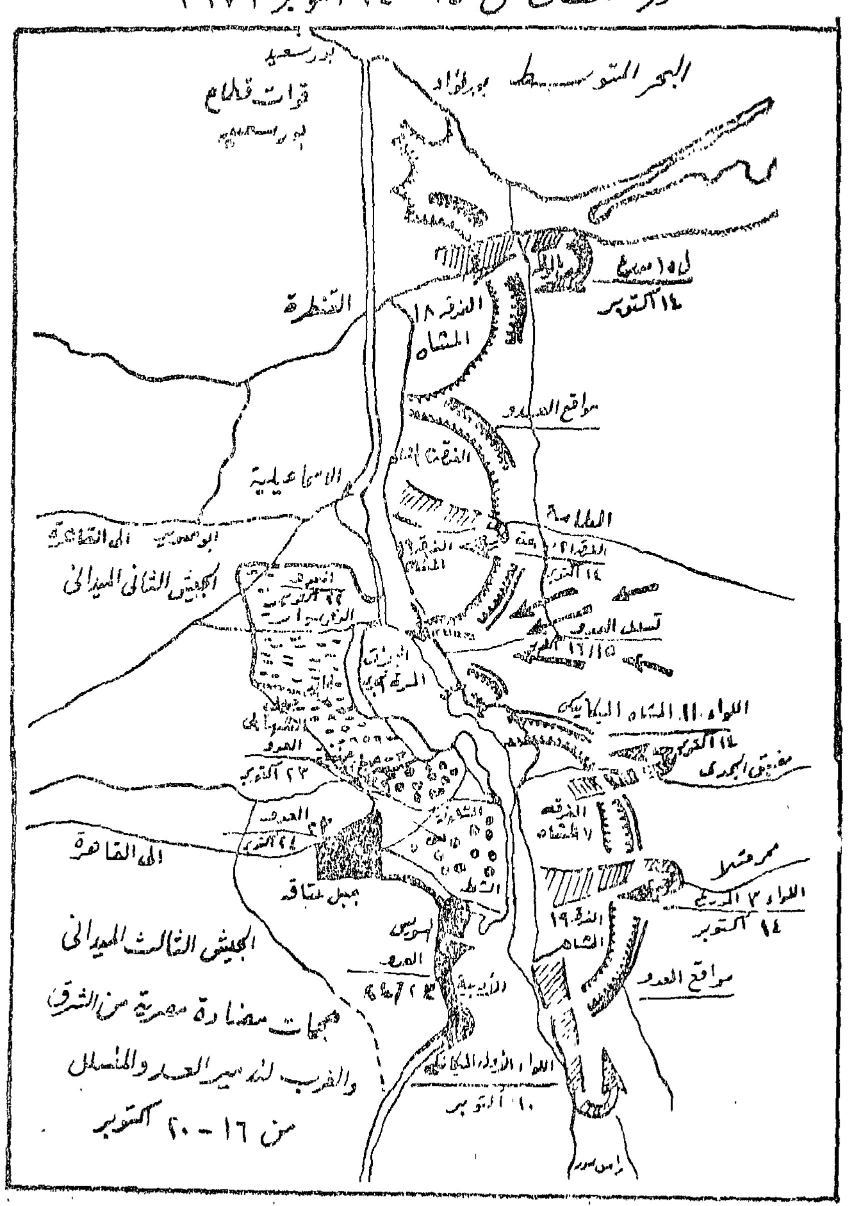
ولمواجهة هذا الموقف ، فقد قررت القيادة العامة قبيل منتصف نهار ١٩ من اكتوبر سحب اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكى من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية من قطاع بير عديب وتمركزه على النطاق الدفاعى الثانى للجيش الثالث ، على ان يحل محله فوج مشـاة مغربى يوم ٢٠ من

أكتوبر . كما كانت الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية عدا لواء مشاة ميكانيكى ولواء مدرع بالاضافة الى اللواء ٣٥ المدرع عدا كتيبة ، ولواء مشاة سودانى وكتيبة مشاة كويتية ، وكتيبة دفاع اقليمى ، ووحدات فرعية مشكلة من المنشآت التعليمية قد احتلت منذ صباح ١٩ من اكتوبر المحيط الخارجى شرق القاهرة للدفاع عنها .

وفى الساعات الأولى من صباح ٢٠ من اكتوبر ، وصل اللواء ١٧٠ المظلى عدا كتيبة الى النطاق التعبوى للجيش الثانى واحتل قطاعا دفاعيا بمهمة حصر العدو ومنعه من الانتشار .

وعلى الرغم من وجود سبعة الوية مدرعة اسرائيلية فى ثغرة الاختراق غرب القناة ، فضلا عن وجود ثلاثة الوية مدرعة فى الشرق ، فقد خصصت القيادة العامة للفرقة الرابعة المدرعة المدعمة بلواء مدرع من الحرس الجمهورى يوم ٢٠ من أكتوبر مهمة القيام بالضربة المضادة من الخط ام كثيب — وادى العشرة فى اتجاه الدفرسوار بمهمة تدمير العدو فى ثغرة الاختراق غرب القناة واستعادة الأوضاع الى ما كانت عليه ، وحددت وقت تمام الاستعداد ليكون الساعة السادسة من مساء يوم ٢٠ من اكتوبر . الا أن القيادة العامة فعلت خيرا بالغائها المهمة يوم ٢١ من اكتوبر حيث كان تنفيذها سوف يؤدى الى كارثة محققة .

تطور القتال من ١٤ - ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣



محاولة الاسرائيليين الاستيلاء على الاسماعيلية والسويس :

تقدم القوات الاسرائيلية شمالا فى اتجاه الاسماعيلية :

كانت المهمة الاساسية للقوات الاسرائيلية غرب القناة هى حصار الجيش الثانى والثالث ثم الضغط عليهما فى مرحلة تالية من الشرق والغرب لاجبارهما على التسليم .

وقد كلفت مجموعة عمليات الجنرال شارون ، التى كانت صباح يوم ٢٠ اكتوبر تتكون من لواءين مدرعين ولواء مظلى ، بالاستيلاء على مدينة الاسماعيلية بهدف عزل الجيش الثانى عن قواعد امداده فى الدلتا والقاهرة تمهيدا لاستكمال حلقة الحصار حوله .

ولتحقيق تلك المهمة ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية منذ صباح يوم ٢٠ من اكتوبر بغارات عنيفة على مدن الاسماعيلية وبورسعيد وبورفؤاد مركزة مجهودها الرئيسى على وسائل الدفاع الجوى وبخاصة الصواريخ ثم مواقع القوات .

كانت القوات المصرية المدافعة عن الاسماعيلية تتكون من اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية ، واللواء ١٨٢ مظلى ، الذى احتلت كتيبة منه يوم ٢١ من اكتوبر موقع جبل مريم وهو آخر موقع يصلح للدفاع عن الاسماعيلية ، وكتيبتى صاعقة من المجموعة ١٣٩ صاعقة اللتين كلفتا بالقيام بأعمال الكمائن على طرق تقدم العدو الى الاسماعيلية . وتعاون هذه القوات مدفعية الجيش الثانى الميدانى .

وفى صباح يوم ٢١ من اكتوبر استولت قوات شارون على تبة الشيخ حنيدق وأصبحت على بعد نحو عشرة كيلومترات من الاسماعيلية . وقد اضطرت تلك القوات — بسبب طبيعة الأرض الزراعية وأوضاع القوات المصرية — الى التقدم شمالا على الطريق الترابى شرق ترعة السويس وطريق المعاهدة ، الا أن القوات المدافعة بمعاونة نيران المدفعية الكثيفة نجحت في ايقاف تقدمها .

وفى صباح يوم ٢٢ من أكتوبر ركز العدو هجومه على مواقع قواتنا ومواقع صواريخ الدفاع الجوى فى نطاق الجيش الثانى التى أصبحت غير صالحة للعمل ، ثم تقدمت مفارز مختلطة من المشاة والدبابات على طريق المعاهدة والطريق الصحراوى ولكنها أجبرت على الانسحاب بتأثير نيران القوات المدافعة . وقد حاول العدو عند الظهر التقدم على طريق ترعة السويس وطريق المعاهدة ومحور نفيشة غير أن قوات الصاعقة أوقفت تقدمه وكبدته خسائر جسيمة .

جدد العدو الهجوم فى نحو السادسة مساء على محورى ترعة السويس ونفيشة ولكنه فشل ايضا مما اجبره على ايقاف محاولاته مكتفيا بقصف مواقع الصاعقة بنيران المدفعية الى أن حل موعد وقف اطلاق النار فى الساعة السادسة واثنتين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وهكذا تحطمت أحلام العدو أمام الاسماعيلية .

تقدم القوات الاسرائيلية جنوبا فى اتجاه السويس :

لم تستطع القيادة العامة القوات المسلحة المصرية أن تمد بصرها على طول جبهة القتال وظل تفكيرها محصورا فى نطاق الجيش الثانى خلال أيام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ اكتوبر . لذا لم تشرك بعض وحدات الجيش الثالث المتمركزة غرب القناة فى الهجمات المضادة على العدو فى ثغرة الاختراق بالدفرسوار . كما انها لم تأمر قيادة الجيش الثالث — بعد فشل الهجوم المضاد يوم ١٨ من اكتوبر — باحتلال بعض قواتها للهيئات الهامة الحاكمة فى نطاق الجيش غرب القناة ، اذ كان المتوقع بعد أن رسخ العدو اقدامه فى الدفرسوار ، أن تتقدم قواته صوب السويس حيث الأرض صالحة لعمل المدرعات . كذلك فان قيادة الجيش الثالث ارتكبت خطأ جسيما عندما اعتقدت أن القتال الدائر فى الدفرسوار يومى ١٧ ، ٨١ أكتوبر لا يعنيها فى شىء ، فلم تقم بالتامين الفعال للجنب الأيسر للجيش ، اذ لم ترسل سوى كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء السادس المشاة الميكانيكى الى منطقة كسفريت لهذا الغرض . كما لم تخصص بعض قواتها لاحتلال الهيئات الحاكمة فى نطاق الجيش مما ادى الى سبق العدو الى احتلالها

ثم المحاولات المصرية الفاشلة لاستردادها برغم الخسائر الكبيرة فى الأسلحة والأفراد ، وتأثير ذلك على سير القتال .

كانت قوات الجيش الثالث غرب القناة صباح يوم ١٩ من اكتوبر تتألف من اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكى من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية ، واللواء السادس المشاة الميكانيكى ، واللواء الثانى المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة ، بينما كان للعدو — غرب القناة — ثلاث مجموعات عمليات مدرعة ، خصص منها مجموعتا عمليات الجنرال آدان وكلمان ماجن للعمل على المحور الجنوبى فى اتجاه السويس .

واعتبارا من صباح يوم ١٩ من اكتوبر اندفعت مجوعة عمليات الجنرال آدان جنوبا على طريق المعاهدة متفادية مراكز المقاومة المصرية ومستخدمة أسلوب الحرب الخاطفة بهدف الاستيلاء على السويس فى اسرع وقت ممكن . وفى اتجاه الغرب والجنوب كانت تتحرك مجموعة عمليات الجنرال ماجن لحماية الجنب الأيمن ومؤخرة مجموعة عمليات آدان بالاضافة الى قطع الطريق رقم ١٢ — طريق القاهرة السويس الشمالى — ثم طريق القاهرة — السويس الرئيسى ، وبذلك يتم حصار مدينة السويس والجيش الثالث الميدانى .

نجح لواء مدرع من مجموعة عمليات الجنرال آدان فى الاستيلاء على مطار فايد ليلة ٢٠/١٩ أكتوبر مما مكن الاسرائيليين من انشاء رأس كوبرى على الضفة الغربية للقناة ، وفر امكانية الامداد والاخلاء . كما تمكن لواءان مدرعان من نفس المجموعة من الاستيلاء على جبل جنيفة صباح يوم ٢٠ من أكتوبر . ولأهمية هذا الجبل ، فقد كلف اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكى المدعم بكتيبة دبابات بالقيام بالهجوم المضاد عليه صباح يوم ٢٠ من أكتوبر الا أن الهجوم فشل تماما .

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٢ من أكتوبر علم الجنرال آدان ان وقف اطلاق النار سيجرى فى نحو السادسة من مساء نفس اليوم ، لذلك فقد جمع ألويته المدرعة الثلاثة واندفع بأقصى سرعة هادفا الى الوصول الى جنوب البحيرات على مسافة ٢٠ كيلو مترا من السويس ، غير أنه لم ينجح فى

تحقيق هدفه عند حلول وقف اطلاق النار فى الساعة السادسة واثنتين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ من اكتوبر بسبب عنف المقاومات المصرية .

أما مجموعة عمليات الجنرال ماجن فقد استولت على جبل غرة الذى يسيطر على الطريق رقم ١٢ واصبحت قوة مدرعة منها على مسافة خمسة كيلومترات من طريق القاهرة ـــ السويس الرئيسى عند علامة الكيلومتر ١٠٥ .

أدركت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية خطورة الموقف . ولاعادة التوازن الى النطاق التعبوى للجيش الثالث ، فقد أمرت قيادة الجيش بسحب اللواء الأول المشاة الميكانيكى وكتيبة دبابات من اللواء ٢٢ المدرع ، واللواء الثالث المدرع من الشرق الى غرب القناة مساء يوم ١٩ اكتوبر . وقد عبرت هذه القوات القناة يوم ٢٠ من اكتوبر ، بيد أنها لم تمكن قائد الجيش الثالث من القيام بضربة مضادة لتدمير القوات المدرعة الاسرائيلية ، التى كان لها التفوق الساحق بالاضافة الى التفوق الجوى الاسرائيلى .

وعلى كل حال ، فقد اتسعت الثغرة فى فترة وجود كوسيجين بالقاهرة حيث كان يحاول اقناع السادات بوقف اطلاق النار ، غير أن الرئيس المصرى أصر على تمسكه بالشروط التى أعلنها فى مجلس الشعب ومن بينها تحديد مدة زمنية لانسحاب اسرائيل .

فطن السادات يوم ١٩ من اكتوبر الى خطورة الثغرة ، فلم يعد يشترط تحديد فترة زمنية للانسحاب وقد أبدت اسرائيل فى نفس اليوم استعدادا لوقف اطلاق النار دون حماس اذ كانت ترمى الى كسب الوقت لتوسيع الثغرة والمساومة بالانسحاب من غرب القناة فى مقابل انسحاب القوات المصرية من الشرق .

وعلى الرغم من اتفاق الأطراف المعنية والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة على وقف اطلاق النار يوم ١٩ من اكتوبر على أساس تطبيق القرار

رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ دون تحديد مدة زمنية للانسحاب ، فقد قام هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية بزيارة للاتحاد السوفييتى يوم ٢١ من أكتوبر بهدف اتاحة الفرصة للاسرائيليين لتحسين أوضاعهم غرب القناة ، ومن ثم فقد تأخر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الى يوم ٢٢ من اكتوبر .

وقد دعا هذا القرار الأطراف المعنية الى وقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة ، وبدء المفاوضات فورا لتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بجميع اجزائه ، ثم الدخول فى مفاوضات فورية بهدف تحقيق سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

وعند بدء سريان وقف اطلاق النار فى السادسة والثنتين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ من أكتوبر كانت قوات العدو فى الثغرة غرب القناة محصورة بين ترعة الاسماعيلية شمالا والنطاق الدفاعى الثانى غربا على امتداد من ١٥ — ٢٠ كيلومترا غرب البحيرات المرة ، وتقاطع وصلة جنيفة مع طريق القاهرة السويس الشمالى (الطريق رقم ١٢) جنوبا بالاضافة الى قوة مدرعة اسرائيلية صغيرة تهدد بنيرانها طريق القاهرة — السويس الرئيسى عند علامة الكيلومتر ١٠٥ . غير أن القوات الاسرائيلية لم تكن تسيطر تماما على تلك المنطقة لتداخلها مع مواقع القوات المصرية ، ومن ثم فقد أصبح كل من الجانبين يهدد خطوط مواصلات الجانب الآخر .

لم يكن فى نية الاسرائيليين احترام قرار وقف اطلاق النار ، لذلك فقد ادعوا أن القوات المصرية انتهكته . وفى نحو الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٢ من أكتوبر ، قام الاسرائيليون بدفع مجموعات صغيرة من المشاة الميكانيكية والدبابات عبر المسالك الجبلية والمدقات فى اتجاه الجنوب والغرب .

وفى صباح ٢٣ من أكتوبر تقدمت أربعة الوية مدرعة اسرائيلية بقيادة الجنرالين ابراهام آدان وكلمان ماجن جنوبا الى مدينة السويس ، وثبت لواء مدرع اسرائيلى الفرقة الرابعة المدرعة المصرية ، وانطلقت ثلاثة

الوية مدرعة وحاصرت مدينة السويس . وقد حاول العدو اقتحامها فى يومى ٢٤ و ٢٥ اكتوبر ولكنه فشل تماما بعد أن خسر اربعين دبابة وثلاث عشرة عربة مدرعة وعددا كبيرا من القتلى والجرحى .

ويعترف موشى ديان بالمحاولات الفاشلة للاستيلاء على مدينة السويس ويدخلها ضمن القصور الاسرائيلى فى العمليات الحربية ويبين تأثيرها على نهاية الحرب فيقول « أما الاخفاق فى الاستيلاء على مدينة السويس فقد أثر على نهاية الحرب ، فلو كان الاستيلاء على مدينة السويس قد تم لأدى ذلك الى استسلام الجيش الثالث المصرى على الرغم من التدخل الأمريكى »(١) .

كما دفع العدو يوم ٢٣ من اكتوبر بكتيبة دبابات وصلت الى ميناء الأدبية الذى يقع جنوب السويس بنحو خمسة عشر كيلومترا وتمكنت من الاستيلاء عليه بعد معركة قصيرة مع الحامية البحرية ، كذلك استولت قوه اسرائيلية محمولة جوا على جبل عتاقة .

واعتبارا من منتصف ليلة ٢٤/٢٣ اكتوبر اصبحت مدينة السويس معزولة تماما عن الأراضى المصرية غرب القناة ، كما نجح العدو فى احكام حصاره للجيش الثالث شرق القناة بعد أن قطع طريق القاهرة — السويس الرئيسى عند علامة الكيلومتر ١٠١ ونجاحه فى السيطرة على ميناء الأدبية بعد وصول بعض القطع البحرية الاسرائيلية اليها صباح ٢٤ من أكتوبر (٢).

وفى مساء يوم ٢٤ من اكتوبر وجهت الاذاعة المصرية نداء الى المتطوعين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالقدوم الى مصر والاشتراك مع قواتها فى مواجهة العدوان الذى يتحدى القرارات الدولية ، وذلك بعد أن اكد مجلس الأمن – بالقرار رقم ٣٣٩ فى ٢٣ اكتوبر – وقف اطلاق النار والعودة الى خطوط ٢٢ من أكتوبر .

---

(١) موشى ديان — المصدر السابق ، ص ٦٧٩ .

(٢) جمال حماد ، كيف خططت اسرائيل لاقتحام السويس ، مجلة اكتوبر ، العدد ٥٢٢ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦ ، ص ٣٧ .

وقد وافق الاتحاد السوفييتى على طلب مصر ارسال قوات سوفييتية وأمريكية الى الشرق الأوسط وهدد ليونيد بريجينيف فى رسالته الى الرئيس الأمريكى نيكسون بأنه فى حالة امتناع الولايات المتحدة عن ارسال قواتها ، فان الاتحاد السوفييتى قد يضطر الى العمل منفردا ، وبناء على ذلك أعلن الرئيس الأمريكى حالة التأهب فى جميع القواعـــد العسكرية الأمريكية فى العالم . وقد شهد صباح الخميس ٢٥ من أكتوبر وصول القوتين العظميين الى حافة الحـــرب النووية بسبب خرق اسرائيل لقرارى وقف اطـــلاق النـــار .

وعلى الرغم من اعلان اسرائيل قبولها قرار وقف اطلاق النار الثانى ابتداء من الساعة التاسعة من صباح ٢٤ من أكتوبر فقد استمرت قواتها فى تدعيم موقعها غرب القناة حتى وصول قوات الطوارىء الدولية ظهـــر يوم ٢٨ من أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أخذ تغيير الأوضاع العسكرية على الجبهة المصرية يؤثر على المواقف السياسية المصرية ، اذ أصبح اهتمام القيادة السياسية المصرية منصبا على اعادة القوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ أكتوبر بدلا من اعادة هذه القوات الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وقد شعر السادات — بعد حصار الجيش الثانى الميدانى — بحاجته الى معونة الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على آلة الحرب المصرية التى أنجزت نصر أكتوبر العظيم ، فسعى الى التقارب معها ، وبهذا خرجت الولايات المتحدة رابحة من حرب أكتوبر .

نتائج وآثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

كانت حرب أكتوبر نقطة تحول بارزة فى تاريخ الشرق الأوسط أفضت الى نتائج هامة فى المجالات السياسية والاستراتيجية والعسكرية .

أولا — النتـــائج السياسية :

حققـــت الحرب هدفها الأساسى وهو فتح باب القضـــية وتحريكها سياسيا خاصة بعد أن اتفقت القوتان العظميان فى مؤتمر القمة الذى انعقد فى موسكو فى مايو ١٩٧٢ على فرض حالة من الاســـترخاء العسكرى فى

منطقة الشرق الأوسط . ولقد تمخضت حرب اكتوبر عن متغيرات سياسية أساسية على المستويين العالمى والعربى وعلى الجانب الاسرائيلى .

فعلى المستوى العالمى ، تغيرت نظره العالم الى الصراع العربى الاسرائيلى فأصبحت تعى طبيعتــه كصراع بين وطن وأمة من جهة ومستعمرين استيطانيين تجمعهم حركة عنصرية من جهة اخرى . وعموما فقد هيأت الحرب مناخا افضل على المستوى الدولى للتطلع الى تسوية دائمة ، كما فرضت الحرب نفسها على أكبر المتغيرات الدولية وهو الوفاق حيث وصلت الأزمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الى الذروة عندما شرعت الولايات المتحدة فى استخدام سياسة الابتزاز النووى حين ابدى الاتحاد السوفييتى فى الرابع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ استعداده لارسال متطوعين سوفييت الى الشرق الأوسط لفرض قرار وقف اطلاق النار الذى خرقته اسرائيل .

ويعتقد الكثير من المراقبين أن الشقاق الذى وقع بين امريكا وحلفائها فى غرب أوروبا يعد من أخطر النتائج التى أفرزتها حرب اكتوبر . وبدلا من أن يكون عام ١٩٧٣ هو « عــام أوروبا » كما وصفه الرئيس الأمـريكى ريتشارد نيكسون أصبح عام الشقاق . وعلى أية حال ، فقد أدت حـرب أكتوبر الى كسب أصدقاء أكثر للقضية العربية وعزلة اسرائيل واقتنـاع الرأى العام العالمى بأن للعرب مطالب عـادلة . كما نتج عن حرب أكتوبر اطراد التضـامن العـربى الأفريقى اذ قامت عشرون دولة أفريقية بقطع علاقتها باسرائيل ، وبرزت خطوات التعاون بين العرب والدول الأفريقية على المستوى الجماعى الى جانب المستوى الثنائى .

أما على المستوى العربى فيمكننا القول ان حرب أكتوبر حطمت حالة الركود ودعمت مركز الدول العربية ، وبرزت شخصية دولية عربية على المسرح العالمى ، وبدت القومية العربية حقيقة واقعة . وكانت وحـــدة عسكرية وسياسية واقتصادية واعلامية انبثقت منها القوة الذاتية العربية . لقد قدمت حرب اكتوبر رؤية جــديدة لمغزى التضامن العربى الذى بـرز لأول مرة فى تاريخ العرب المعاصر .

وعلى الجانب العسكرى فقد دعت الدول العربية مصر على النحو التالى :

— الجزائر : سرب طائرات ميج ٢١ ، ولواء مدرع من ١٣٠ دبابة (اثناء القتال) .

— السعودية : صفقة أسلحة لحساب مصر وسوريا ، أهمها سرب طائرات ميراج ٥ الفرنسية لمصر .

— ليبيا : سربان من طائرات الميراج ٣ الفرنسية ، ولواء مدرع .

— المغرب : فوج مشاة ، وصل بعد حدوث الثغرة .

— السودان : لواء مشاة ، وصل بعد حدوث الثغرة .

— العراق : سرب طائرات هوكر هنتر .

— الكويت : كتيبة مشاة .

أما سوريا ، فقد دعمها العراق بفرقتين مدرعتين ، وثلاثة ألوية مشاة ، اى حوالى ٦٠ الف مقاتل ، ٧٠٠ دبابة ، ولكن لم يشترك منها فى القتال سوى لواءين مدرعين فى أيام ١١ ، ١٢ ، ١٣ أكتوبر ، بالاضافة الى سربين من المقاتلات القاذفة سوخوى . ودعمها الأردن بلواءين مدرعين لم يشترك منها فى القتال غير لواء مدرع واحد فى نفس المدة السابقة ، والمغرب بكتيبتى مشاة اشتركت احداهما فى اقتحام الخندق المضاد للدبابات وأبدت بسالة فائقة ، والسعودية بلواء مشاة ، والكويت بكتيبة مشاة ، وصلا بعد انتهاء الهجوم المضاد الاسرائيلى .

أما على الجانب الاقتصادى ، فقد قدمت البلاد العربية وبخاصة السعودية المعونات الاقتصادية الى مصر وسوريا . وقد بلغ ما قدمه العرب لمصر — حتى زيارة السادات لقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ — نحو ١٢ مليار دولار . كما استخدم العرب النفط كسلاح سياسى ضد الدول التى ساندت أو أيدت اسرائيل .

ونتيجة لحرب أكتوبر ، فقد أصبحت القضية الفلسطينية جوهر مشكلة الشرق الأوسط ، كما اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية — بناء

على قرارات مؤتمر القمة العربى السادس المنعقد فى الفترة من ٢٦ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٧٣ — الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

وعلى المستوى الدولى فقد اكدت منظمة الأمم المتحدة فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٧٣ على أن « ممارسة اللاجئين لحقهم فى العودة الى ديارهم واستعادة ممتلكاتهم تمثل عاملا ضروريا من اجل التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، ومن اجل تمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقه فى تقرير مصيره »(١) .

أما بالنسبة لاسرائيل ، فقد اكتنفت الحياة السياسية فيها أزمة خانقة بسبب الصراعات والتصدعات الداخلية ، الا انها شرعت فى الاتجاه الى مزيد من التشدد والتطرف . وهكذا ، فان اتجاه اسرائيل السياسى بعد الحرب هو اتجاه العدوان . وفى اطار هذا الاتجاه السياسى العام ، فاننا نلاحظ ثبات الهدف الصهيونى قبل وبعد الحرب ، واعتمدت السياسة الاسرائيلية لتحقيق هذا الهدف على اسلوب المساومة فى محاولة التكيف مع المتغيرات الجديدة ولضرب القيم الجديدة التى يطرحها العرب . وأصبحت أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية تنحصر أساسا فى محاولة الخروج من العزلة الدولية والوقوف فى وجه اية تحولات فى السياسة الأمريكية ازاء الصراع ، والعمل على اخفاق الحوار العربى الأوروبى ومحاولة التقارب مع الاتحاد السوفييتى ، والسعى الى هدم التضامن العربى وتخريب العلاقات بين الدول العربية ودول العالم الثالث .

كما انشغلت السياسة الاسرائيلية بمعالجة الهبوط فى هجرة اليهود الى اسرائيل وفى تزايد الهجرة المضادة منها .

ثانيا — النتائج الاستراتيجية :

اسقطت حرب اكتوبر ١٩٧٣ نظرية الأمن الاسرائيلى وأثبتت الحرب أن الأمن ليس بالأرض وان السلام لا يفرض فرضا، كما نسخت الحرب منطق

---

(١) جامعة الدول العربية : الادارة العامة لشئون فلسطين ، القضية الفلسطينية فى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٤ ، ص ٣٨ .

القوة كمحور لنظرية الأمن الاسرائيلى ، واقنعت اسرائيل بعدم جـدوى وجودها العسكرى فى شرم الشيخ بعد فرض الحصار البحرى على بـاب المندب . كذلك فان حرب أكتوبر قلبت ميزان القوة الاستراتيجى لصالح العرب ، وانتهت الأسطورة المتفوقة وأعادتها الى حجمها الطبيعى ، كما أثبتت الحرب بدء تحول التفوق العربى الكمى الى كيفى . واثبتت أيضـا أن الحروب المحلية الحديثة قاصره عن حسم المشاكل لتأثير القوى العظمى على تطور أحداثها، وان القوة العسكرية لا يمكنها وحدها أن تحسم القضايا المعقدة مثل الصراع العربى الاسرائيلى . فلحسم المشاكل الدولية لابد من تكامل العمل السياسى والعمل العسكرى .

وقد اثبتت الحرب نجاح العرب فى تضييق الفجوة التكنولوجية بينهم وبين اسرائيل وقدرتهم على تلبية مطالب استخدام الأسلحة الحديثة بكفاءة تامـة . كما بدأ العالم يعيد حساباته وتقديراته على أساس الحقائق الاستراتيجية التى تمخضت عنها خبرة قتال حرب أكتوبر . وقد استثمر كل من حلف شمال الأطلنطى وحلف وارسو نتائج هذه الحرب لمصلحتيهما ، وأدى ذلك الى تعديل وتطوير بعض الحقائق الاستراتيجية وأسـاليب الاستخدام .

ثالثا : النتائج العسـكرية :

تعتبر حرب أكتوبر حربا محليـة محدودة من حيث الأهداف والزمن والمساحة . وقد نجحت القوات المسـلحة المصرية فى تحدى نظرية الأمن الإسرائيلى حين اقتحمت قناة السويس ودمرت خط بارليف وكبدت العدو خسائر فادحة تحت ظروف غير مواتية له وأجبرته على الانسـحاب لأول مرة فى تاريخه تحت ضغط القوه العسكرية ، الا أنها لم تحقق من الحرب غايتها الكبرى وهى تدمير قوات العدو المسلحة وتدمير ارادة العدو .

وقد قبلت مصر وسوريا وقف اطلاق النار وقواتهما المسلحة قادرة على الاستمرار فى القتال . ومن النتائج الملموسة ، نجاح القوات المسلحة المصرية فى تحرير نحو ٥٠٠٠٠ كيلومتر مربع من الأراضى المحتلة فى شـبه جزيرة سيناء موفرة بذلك قاعدة هجومية وطيدة يمكن الانطلاق منهـا

لاستكمال تحرير الأرض . كما حررت ثانى مدن سيناء وهى القنطرة شرق، وسيطرت قواتنا البحرية على خطوط مواصلات العدو البحرية عبر باب المندب وقناة السويس .

وكانت حرب اكتوبر باهظة التكاليف فى القـــوة البشرية ، فعلى الجانب الاسرائيلى بلغ عدد القتلى ، طبقا للمصادر الاسرائيلية الرسمية، ٢٣٠٠ قتيل ، فى حين قدرت وزارة الدفاع الأمريكية الخســـائر البشرية الاسرائيلية بـــ ٤٥٠٠ قتيل ، والمصادر البريطانية العسكرية بـــ ٥٦٠٠ قتيل ، والمصادر الفرنسية العسكرية بـــ ٦٨٠٠ قتيل ، بينما ارتفعت المصادر العسكرية السوفيتية بالرقم الى عشرة آلاف قتيل .

وقد قدرت المصادر العسكرية العالمية الخســائر البشرية المصرية بنحو خمسة آلاف شهيد . أما الخسائر المادية الاسرائيلية فتتراوح بين ١٥٠ ، ١٨٠ طائرة قتال ، و ٩٠٠ — ١٠٠٠ دبابة على الجبهتين المصرية والسورية ، فى حين قدرت المصادر الأجنبية خســـائر مصر فى الطائرات بنحو ١٠٠ — ١١٠ طائرة قتال ، وفى الدبابات بنحو ٨٠٠ — ٩٠٠ دبابة . وقد اكدت خسائر اسرائيل فى حرب أكتوبر مدى تعرضها عسكريا ، وكشفت عن حاجتها الى امداد ضخم من الأسلحة والمعدات أثناء القتال . كما أثبتت حرب اكتوبر الروح القتالية العالية الكامنة فى الجنـــدى العربى ، وأكدت قدرته على استيعاب الأسلحة الحديثة المعقدة ، بينما اهتزت الصـــورة العسكرية المشرقة التى كانت تتمتع بها اسرائيل فى المجتمع الدولى .

الآثار الاقتصادية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ :

آثار حرب أكتوبر على الاقتصاد المصرى :

قدرت متطلبات الدفاع والأمن القومى وما ارتبط بها من خسائر فى حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بحوالى ١٤١ر١٦ مليـــون جنيه مصرى طبقا للحصر النهائى للجنة العامة لتعويضـــات الحرب التى شـــكلت تنفيذا للقرار الجمهورى رقم ٥٧٥ ســـنة ١٩٧٣ . ولو اننا اســـتثمرنا هذا المبلغ فى

الاقتصـــاد المصرى لأمكننا مضاعفة حجم الدخـــل القومى خلال فترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٥ على اساس تقدير معدل راس المال الى الدخل ٣ : ١ .

وقد أبرزت الخطة الخمســــية ١٩٧٨ — ١٩٨٢ مدى الخلل الذى اصاب الاقتصاد القومى بما أوردته من عجز فى الموازنة القومية نتيجة ما اصاب المجتمع خلال سنوات الحرب السابقة .

فقد بلغ العجز القومى عام ١٩٧٤ مبلغ ٦١٧ مليون جنيه ، ازداد الى ٩٧٢ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، ثم الى ٨٩١ مليون جنيه عام ١٩٧٦ . فاذا أضفنا اليه صافى الالتزامات الدولية المســـتحقة والمدفوعة لأصبح اجمالى العجز المطلوب مواجهته هو ٩٠٣ ، ١٣١٤ ، ١٣٥١ مليـــــون جنيه لنفس السنوات السابقة على التوالى (١) .

وقد كان أحد الأسباب الرئيسية فى ازدياد العجـــز القومى هو تعثر جهود التنمية نتيجة اتجاه الموارد نحو الانفاق العســـكرى على حســـاب الاستثمارات المدنية ، فقد بلغ الانفاق الاســــتثمارى الى ما بين ١٠ الى ١٢٪ .

ولقد نقصت الموارد التى يمكن توجيهها الى التنمية بســـــبب تزايد نسبة الانفاق الاستهلاكى العام عاما اثر عام ، فبينما كان حجم الاستهلاك النهائى يمثل ٨٥٪ من اجمالى الناتج المحلى عام ٦٠/٦١ اصبح يمثل ٩٢٪ من هذا الاجمالى عام ١٩٧٤ ، كما تزايدت نسبة الاستهلاك العام من ١٧٪ عام ٦٠/١٩٦١ الى ٢٧٪ عام ١٩٧٤ .

وفى عام ٧٣/١٩٧٤ ، بلغ عجز الموازنة العامة ٢٥٥٫٤ مليـــــون جنيه ، الذى قفز فى عام ١٩٧٤ ليصبح ٥٩٦٫٣ مليون جنيه ، كمـــا تزايد حجم الدين العام من ٩٢٩٫١ عام ٧٣/١٩٧٤ الى ١٠٧٧٫٢ مليون جنيـــه عام ١٩٧٤ .

---

(١) المصدر : خطة ١٩٧٨ — ١٩٨٢ ، المجلد الأول ص ص ١ — ٤ .

كذلك حدث تطور كبير فى عجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات مما أسهم فى زيادة مديونية مصر الخارجية واضافة مزيد من الأعباء على الاقتصاد المصرى . ذلك أن حصيلة صادراتنا لم تكن تكفى تمويل الواردات وان عجز الميزان التجارى ازداد من ١٧١ر١ مليون جنيه عام ١٩٧١ الى ١٠٧٨ر٣ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، كما أن رصيد المعاملات الجارية قد سجل أيضا عجزا بلغ ٩٦٨ر٦ مليون جنيه مصرى فى نفس العام (١) .

لقد أدى العجز المتتالى فى المعاملات الجارية مع العالم الخارجى الى زيادة حجم الديون المصرية زيادة كبيرة ، وقد قدرت ديون مصر الخارجية فى بداية عام ١٩٧٦ بمقدار ١٢ بليون دولار . وتكمن خطورة هذا الدين ، الذى يزيد على الناتج القومى لمصر خلال عام بأكمله ، فى حجمه ونوعيته وقصر اجله وفترة سداده وارتفاع شروطه ، اذ استوعب الوفاء بأقساط هذا الدين وفوائده كافة الموارد الاستثنائية التى حصلت عليها مصر خلال عام ١٩٧٥ وزاد عليها كثيرا فى عام ١٩٧٦ . وقد ترتب على نمو الديون الخارجية بمعدلات كبيرة ان وصل معدل خدمة الديون الى ٣٥٪ فى عام ١٩٧٣ ، ويعتبر اعلى معدل سجلته الاحصاءات الدولية فى تلك الفترة .

ومن هنا ننتهى الى ان آثار حرب اكتوبر على الاقتصاد المصرى ادت الى زيادة العجز القومى وخفض معدلات النمو . وقد لجأت الحكومة الى احداث عجز فى ميزانيتها والاستدانة من البنوك وزيادة الاصدار النقدى مما افضى الى موجة من التضخم . وعندما حاولت الحكومة تلبية احتياجات المجتمع ازداد العجز فى الميزان التجارى وميزان المدفوعات وترتب على ذلك زيادة كبيرة فى الدين الخارجى وفوائده أثقلت الاقتصاد المصرى هذا بالاضافة الى الأثر المباشر لما أحدثته الحرب من خسائر وتعويضات .

---

(١) المصدر : التقرير السنوى للبنك المركزى المصرى لعام ١٩٧٥ ، ص ١٧ .

آثار حرب أكتوبر على الاقتصاد الاسرائيلى :

يتميز الاقتصاد الاسرائيلى بعدة خصائص اهمها أنه يعتمد بصفة أساسية على تدفق رأس المال الأجنبى ، وأنه اقتصاد عسكرى بمعنى انه يتم تخطيط الاقتصاد الاسرائيلي كله من أجل الحرب ، وأنه يعتمد على الهجرة فى تمويل قواه البشرية .

وبينما كانت آثار الحروب الثلاثة الأولى على الاقتصاد الاسرائيلى ايجابية الى حد بعيد ، كانت آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ على الاقتصاد الاسرائيلى سلبية الى مدى بعيد .

وقد اجتمعت عدة عوامل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتؤثر تأثيرا كبيرا على الاقتصاد الاسرائيلى ، اهمها : ضخامة النفقات العسكرية ، ونقص قوة العمل الاسرائيلية نتيجة التعبئة العامة ، وانخفاض انتاج المؤسسات الاسرائيلية ، وفرض الحصار على باب المندب ، والحظر الاقتصادى الأفريقى ، واسترداد حقول البترول فى سيناء .

وحتى نتبين مدى ضخامة النفقات العسكرية نسترشد بما أعلنه بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلى آنذاك — حين قال ان بلاده انفقت خلال الأيام الستة الأولى من حرب اكتوبر ١٩٧٣ ما يزيد على ١٩٢٠ مليون دولار ، وأن ساعة القتال الواحدة كلفت اسرائيل مايزيد على عشرة ملايين من الدولارات . كما جاء فى تحقيق أجرته جريدة لوموند الفرنسية عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ما نصه « ان الحرب التى تخوضها اسرائيل على جبهتين تكلفها نحو مليار ونصف مليار ليرة اسرائيلية فى اليوم الواحد، ولقد وصل رقم الميزانية للسنة المالية الحالية (١٩٧٣) الى ٢٠ مليار ليرة، ويكفى هذان الرقمان لتكوين فكرة عن الأعباء الضخمة التى تفرضها هذه الحرب على اسرائيل » .

أما فرض الحصار البحرى على باب المندب فقد هدد بوقف تدفق البترول من ايران ، وحدوث نقص كبير فى انتاج مناجم النحاس التى تقع

على مقربة من ميناء ايلات ، وقد نجم عن ذلك توقف النشاط الاقتصادى فى مدينة ايلات وميناء ايلات وانتشار البطالة فيهما .

ومما ادى الى تفاقم الأزمة الاقتصادية الاسرائيلية صدور قرار المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الأفريقية (التى تضم ٤٢ دولة) بفرض حظر اقتصادى شامل على اسرائيل حتى تمتثل الى قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب غير المشروط من جميع الأراضي العربية المحتلة .

لقد احدثت كل تلك العوامل آثارا سيئة على الاقتصاد الاسرائيلي ، وقد انسحبت هذه الآثار على كافة النشاطات المختلفة له .

فبينما ازداد الناتج القومى الاجمالى خلال عام ١٩٧٢ بنسبة ٢ر١٠٪ ، فاننا نجده ينخفض عام ١٩٧٣ بحوالى ٢ مليار ليرة عما كان مستهدفا ، ويبلغ معدل النمو ٦ر٣٪ فقط . اما بالنسبة لعام ١٩٧٤ فان معدل نمو الناتج القومى الاجمالى لم يزد على ٤ر٤٪ . وسبب ذلك هو عدم كفاية الاستثمارات حيث انخفضت بنسبة ١٥٪ عن مستواها عام ١٩٧٣ .

ولعل الصورة تتضح اكثر على ضوء التقرير الذى اعدته هيئة التخطيط الاقتصادى لمجلس الوزراء الاسرائيلى عن الفترة من عام ١٩٧٦ الى عام ١٩٨٠ . فقد ابرز هذا التقرير أن الخطر الحقيقى الذى يهدد الاقتصاد الاسرائيلى هو حدوث ركود اقتصادى بسبب ارتفاع معدلات البطالة . وتنبأت هيئة التخطيط أن تصل معدلات البطالة الى ٥٪ خلال عام ١٩٧٦ ، ثم ٦٪ خلال عام ١٩٧٧ ، مع عدم توقع اية زيادة فى الاستهلاك حتى عام ١٩٨٠ .

اما عن ميزان المدفوعات ، فعلى الرغم من أن الحكومة الاسرائيلية اجرت تخفيضات عديدة فى قيمة الليرة منذ حرب اكتوبر ، فقد اتجه العجز فى ميزان المدفوعات نحو التزايد . ففى عام ١٩٧٢ كان العجز فى ميزان المدفوعات ١ر١ مليار دولار ، ارتفع الى ٤ر٢ مليار دولار عام ١٩٧٣ ، ثم قفز الى ٤ر٣ مليارات دولار عام ١٩٧٤(١) ، واستمر فى التصاعد ليصل عام ١٩٧٥ الى ٤ مليارات دولار تقريبا . ويرجع هذا النقص المتزايد الى

عدة أسباب نتجت عن حــرب اكتوبر اهمها زيادة النفقات العسكرية ، وزيادة الواردات من السلع لتعويض النقص فى الانتاج الذى ترتب على التعبئة العامة . واضطرت الحكومة الاسرائيلية الى رفع أســعار بعض الضرائب القائمة وفرض أنواع جديدة من الضرائب . وقد افضى ذلك الى زيادة العبء الضريبى على المواطنين ، واصبحت اسرائيل تحتــل المركز الأول بين دول العالم من حيث العبء الضريبى . وقد تسببت حرب أكتوبر ايضا فى تدهور أوضاع الهجرة الى اسرائيل .

وتدل الاحصاءات على أن عام ١٩٧٤ ، شهد انخفاضا فى الهجرة اليها بنسبة ٤٠ بالمائة مقارنا بعام ١٩٧٣ . كما اذاعت الوكالة اليهودية تقريرا عن حركة الهجرة الى اسرائيل تضمن انخفاض عــدد المهاجــرين اليها من ٥٦٠٠٠ عام ١٩٧٢ الى ٣٢٠٠٠ عام ١٩٧٤ . اما عن الهجــرة المضادة من اسرائيل الى الخارج ، فقد بين احصاء اجرته دوائر الهجرة فى اسرائيل ان ٢٧ بالمائة من المهاجرين السوفييت فى سنة ١٩٧٤ قد فضلوا الهجرة الى بلاد أخرى على التوجه الى اسرائيل .

كما اصيبت صناعة البناء — وهى صناعة رئيسية وحيوية فى اسرائيل — بتوقف شبه كامل خلال حرب أكتوبر ولعدة اشهر بعد الحرب (١) وذلك لعدم توافر الوسائل اللازمة لنقل العمال ومواد البناء لاستيلاء الجيش الاسرائيلى على معظم وسائل النقل ، ولتوقف العمال العرب عن العمل ، ثم لتجنيــد العمال العرب .

وقد منيت السياحة — وهى مصدر رئيسى للنقد الأجنبى فى اسرائيل — بخسائر فادحة . ويؤكد هذه الحقيقة ، مدير عام السياحة فى اسرائيل خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٧٣ : « لقد فقدنا ٥٠٠٠٠ سائح خلال شهر اكتوبر وحــده ، وهــذا يعنى اننا خسرنا ٢٠ مليون دولار من العملات الأجنبية »(٢) . وكان من آثار حــرب أكتوبر ارتفاع معدلات التضخم فى

(١) Israeli Economist, March 1974, March - April 1975.

(٢) News Week, 15 - 11 - 1973.

اسرائيل ، ففى سنة ١٩٧٤ بلغ معدل ارتفاع الاسعار بنسبة ٣٩ بالمائة ، وفى سنة ١٩٧٦ ، بلغت نسبة التضخم حوالى ٤٢ بالمائة . وقد ساعد هذا التضخم على زيادة العجز فى ميزان المدفوعات .

استخدام النفط كسلاح سياسى فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ :

حاول العرب مرتين استخدام بترولهم كسلاح سياسى قبل سنة ١٩٧٣ ، الا أن المحاولتين اخفقتا فى تحقيق النتائج المرجوة على الرغم من الاضطرابات التى أحدثتاها فى عالم النفط .

وقد وقعت المحاولة الأولى فى اعقاب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وقد اتسمت بالعنف كنسف محطات ضخ البترول فى سوريا وتدمير انابيب النفط فى البحرين . فى حين كانت المحاولة الثانية عندما فرضت عدة دول عربية منتجة للبترول حظرا على امدادات النفط الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية فور انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ .

ويرجع اخفاق حظر البترول الذى فرضته بعض الدول العربية الى عدة اسباب ، من بينها أن الولايات المتحدة — الهدف الأول لسلاح النفط العربى — كانت فى مأمن من الحظر ، لأنها كانت حينذاك تتمتع تماما باكتفاء ذاتى . كما أن شركات البترول العالمية بذلت جهودا ضخمة لتعويض النقص فى امدادات النفط العربى الى الدول المفروض عليها الحظر من مصادر أخرى على الرغم من اغلاق قناة السويس . كذلك فقد أدى عدم تحديد الدول العربية النفطية الحد الأقصى من الانتاج الذى لا يسمح بتجاوزه الى عدم وجود نقص حقيقى فى النفط .

وفيما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ لم تهدأ ضجة العرب لاستخدام النفط كأداة سياسية فى الصراع العربى الاسرائيلى . وكانت أول مبادرة جادة فى هذا السبيل ، هى المبادرة السعودية فى أبريل ١٩٧٣ ، وذلك عندما ارسل الملك فيصل وزير البترول السعودى أحمد زكى يمانى الى واشنطن حاملا رسالة فحواها « ان العربية السعودية لن تزيد انتاجها الحالى من النفط اذا لم تغير الولايات المتحدة موقفها المنحاز الى اسرائيل » .

ولا ريب أن قرار المملكة العربية السعودية وضع بترولها فى خدمة قضايا العرب القومية كان عاملا رئيسيا فى توحيد الاتجاهات والمواقف العربية من قضية استخدام النفط كسلاح سياسى .

وعندما نشبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، بادرت الكويت الى الدعوة الى عقد مؤتمر للدول العربية المنتجة للبترول لتقرير أفضل استخدام للنفط العربى فى خدمة حرب التحرير التى يخوضها العرب . وبعد اجتماع دام يوما واحدا حضره وزراء بترول السعودية ، والكويت ، والعراق ، وليبيا ، والجزائر ، ومصر ، وسوريا ، وأبو ظبى ، والبحرين ، وقطر ، وافق الجميع فيما عدا العراق يوم ١٧ اكتوبر على خفض الانتاج العربى من النفط بنسبة ٥٪ مقارنا بانتاج سبتمبر ١٩٧٣ ، ثم يزداد التخفيض ٥٪ شهريا حتى يتم الجلاء التام للقوات الاسرائيلية عن كل الأراضى العربية المحتلة خلال حرب يونيو ١٩٦٧ واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . كما تقرر استثناء البلاد التى تساند العرب والتى تتخذ اجراءات حازمة ضد اسرائيل لاجبارها على الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة من التخفيض ، والاستمرار فى امدادها بكامل نصيبها بالمعدل السائد قبل التخفيض .

وقد أعلنت المملكة العربية السعودية فى ١٩ اكتوبر قرارها بتخفيض انتاج النفط بمقدار ١٠٪ بدلا من الحد الأدنى المشروط وهو ٥٪ ، ولكن دون حظر شحنات النفط الى الولايات المتحدة كما فعلت البلاد العربية الأخرى التى فرضت الحظر على الدول المعادية للعرب .

بيد أن هذا الموقف الودى الذى أبدته السعودية حيال الولايات المتحدة لم يلق آذانا صاغية . ففى ١٩ اكتوبر أعلن الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون أنه طلب تخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية لاسرائيل .

وقد جاء رد السعودية سريعا ، فقد أعلنت فى ٢٠ اكتوبر أنه « بالنظر الى زيادة المعونة العسكرية الامريكية لاسرائيل ، فقد قررت المملكة العربية

السعودية ايقاف كل صادرات النفط الى الولايات المتحدة » وفى خلال بضعة أيام خفضت الدول العربية المعنية انتاجها من النفط ما بين ٥ ، ١٠٪ ، كما فرضت حظرا كليا على شحنات البترول الى الولايات المتحدة وهولندا .

وجدير بالذكر انه عند تنظيم اجراءات تخفيض انتاج البترول فى اكتوبر ١٩٧٣ ، روعى التمييز بين نوعين من الدول : دول غزيرة الانتاج ، ولكنها قليلة السكان وليس لها مشروعات تنمية تستوعب كل الدخل ، وهذه الدول تخفض انتاجها بالاضافة الى حظر التصدير للدول المعادية للعرب . ودول اخرى غزيرة الانتاج وكثيفة السكان ولديها مشروعات تنمية كبرى ، وتستطيع هذه الدول أن تحافظ على مستوى الانتاج ، غير أنها تختار عملاءها من بين الدول الصديقة أو المحايدة . وقد اعتبرت المملكة العربية السعودية حالة وسطا بين النوعين .

وفى الاجتماع الثانى لوزراء النفط العرب فى الكويت يومى ٤ ، ٥ نوفمبر ، تقرر تخفيض انتاج النفط العربى الى ٢٥٪ بالنسبة لانتاج سبتمبر ١٩٧٣ ، كما تقرر أثناء الاجتماع تخفيضا آخر فى ديسمبر بنسبة ٥٪ من انتاج نوفمبر شريطة الا يؤثر مثل ذلك التخفيض على نصيب أية دولة صديقة كانت تستورد النفط من الدول العربية خلال التسعة أشهر الاولى من عام ١٩٧٣ .

وقد كان الحظر الاساسى الذى طبق فى أول نوفمبر موجها ضد الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا كما بذلت الجهود لمنع شحنات النفط الخام ومنتجات البترول العربى عن الجهات التى تعيد شحن النفط الى الولايات المتحدة أو تقوم بتكرير البترول الخام من أجل بيعه فى أسواق الولايات المتحدة أو تزويد الوحدات العسكرية أو البحرية الأمريكية خارج الولايات المتحدة به فى شكل منتجات بترولية .

وفى مؤتمر القمة العربى السادس الذى انعقد فى الجزائر فيما بين ٢٦ — ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ ، تم التأكيد على أن حظر النفط العربى وتخفيض

انتاجه سوف يستمران الى أن تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة ويستعيد الشعب الفلسطينى حقوقه القومية .

غير أن وزراء النفط العرب فى اجتماعهم فى الكويت يومى ٢٤ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ ، قرروا رفع مستوى انتاج البترول العربى بنسبة ١٠٪ اعتبارا من اول ينـــاير ١٩٧٤ . وبذلك أصـــبح الخفض العام فى الانتاج بنسبة ١٥٪ مقدرا على أساس مستوى انتاج سبتمبر ١٩٧٣ .

ان القرار الذى اتخـــذته الدول العربية المصدرة للبترول بخفض الانتاج وحظره بالنسبة لبعض الدول قد أثار الفزع فى أوروبا الغربيـــة والولايات المتحدة واليابان ، التى تستهلك ٧٨٪ من صـــادرات البترول العربى . كما أن قرار رفع أسعار النفط الذى انفردت به الدول العربيـــة المصدرة لأول مرة قد احدث هزة عنيفة فى تلك الدول . كذلك اثبت هـــذا القرار وجود خطورة حقيقية على قدرات حلف الأطلنطى العسكرية حيث أن موارده الأساسية من البترول تأتى من العالم العربى .

وقد أدى الاستخدام غير المتساوى لسلاح النفط بين الدول الأوروبية الى تهديد الترابط بين الدول الأوروبية فبينما استمرت صادرات البترول العربى الى بريطانيا وفرنسا بنفس المعدل الذى كان ســـائدا قبل حرب أكتوبر ، فقد فرض على هولندا حظر كلى . كما أن الدول الأوروبية الأخرى عانت بدرجات متفاوتة نتائج الخفض غير المتساوى فى وارداتها البترولية .

وغنى عن القول أن استخدام سلاح النفط شكل تهديدا للأمن الداخلى والاستقرار السياسى والاقتصادى للدول الأوروبية .

وقد وصف هنرى كيسنجر هذا التهديد بقوله انه أتاح « أرضا خصبة للصراع الاجتماعى والفوضى السياسية ، ومن ثم فان الحكومات المعتـــدلة والحلول المعقولة للمشـــكلات ســـوف تقع تحت وطأة هجوم قـــاس . فالمجتمعات الديمقراطية سوف تصبح معرضة للضغوط المتطرفة من اليسار واليمين لدرجة لم يتم تجربتها منذ العشرينات والثلاثينات » .

كان من المفروض أن تستمر اجراءات التخفيض والحظر طالما أن اسرائيل لم تنفذ قرارات مجلس الأمن وطالما أن الولايات المتحدة لم تتراجع عن مساندة اسرائيل . غير أن أنور السادات أفسد الأمر كله . وقد اتضح ذلك فى مذكرات الرئيس الأمريكى نيكسون ، ففى ديسمبر ١٩٧٣ كتب كيسنجر الى نيكسون تقريرا يقول فيه : « لقد وعدنى الرئيس السادات بأنه سوف يعمل لرفع الحظر النفطى فى غضون النصف الأول من شهر يناير ١٩٧٤ ، وأنه سوف يدعو الى رفع الحظر فى بيان يشيد فيه بدورك الشخصى فى جلب الأطراف الى مائدة المفاوضات وايجاد التقدم فيما بعد »(١) . وقد اتبع ذلك نيكسون برسالة الى السادات فى الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، جاء فيها « من واجبى أن أقول لك بمنتهى الصراحة أن من الضرورى أن يرفع حظر النفط والقيود على انتاج النفط ضد الولايات المتحدة فورا ، ولا يمكن أن ينتظر هذا الأمر نتيجة المحادثات الجارية بشأن فك الارتباط » .

ويقول نيكسون ان السادات بعث اليه برسالة جاء فيها « سوف ارفع الحظر ، سارفعه من اجل الرئيس نيكسون »(٢) . وقد ذكر السادات فى كتابه البحث عن الذات أنه قرر « رفع الحظر عندما علمنا أن هذا الحظر قد بدأ يمس مصالح الشعب الأمريكى » . كذلك فقد طلب السادات الى الملك فيصل ـ بعد ثلاثة أشهر من وقف القتال ـ الغاء اجراءات الحظر معتقدا ان ذلك من شأنه أن يثبت للأمريكيين حسن نيته وقدرته على التأثير . ولكن العاهل السعودى علق الغاء الحظر على التوصل الى اتفاق لفك الاشتباك على الجبهة السورية مثلما حدث على الجبهة المصرية . وقد فقدت الدول العربية المصدرة للنفط حماسها لاجراءات الحظر بعد تحول السادات . وفى مارس ١٩٧٤ ، اتخذ مؤتمر وزراء النفط العرب قرارا بانهاء اجراءات الحظر .

---

(١) Nixon Memoirs, P. 986.

(٢) Ibid. P. 987.

غير أنه من المؤكد أن قرارات الحظر التى اتخـذتها منظمة الدول العربية المصدرة للنفط قد اتت اكلها الاقتصادية واحدثت آثارا بعيدة المدى ليس بالنسبة الى الولايات المتحدة فحسب ، بل أيضا بالنسبة الى المسرح السياسى ككل . وقد اعتبر كيسنجر هذه الاجراءات هجوما على الشريان الاقتصادى للولايات المتحدة ذاتها . وكان من جـراء ذلك أن بدأ الغرب ينتبه الى حقيقة لم تكن فى حسبانه ، هى أن النفط العربى لن يظل محايدا سياسيا فى مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى .

وقد أخذت دول أوروبا الغربية واليابان تعيد النظر فى مواقفها من القضية الفلسطينية على ضـوء مصـالحها الاقتصادية فى منطقة الشرق الأوسط . وقد واكب هذا الموقف بدء تلك الدول شـن حملة على الولايات المتحدة تحملها فيها مسئولية نشوب الحرب وقرارات الحظر والخفض التى اتخذتها الدول العربية المصدرة للنفط .

وعلى الجانب العربى ، فقـد كانت النتيجة الوحيدة الملموسة التى تحققت قبل رفع الحظر هى عملية فصل القوات على الجبهة المصرية . ولا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا انها نتيجة ضعيفة بالقياس الى الأهداف التى رسمها قرار الحظر نفسه ، والتى توخت استمرار الحظر حتى يتم الجلاء الاسرائيلى الكامل عن الأراضى العربيـة المحتلة واسـتعادة الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطينى . ويرجع ذلك الى التقصير فى اسـتثمار نتائج حرب أكتوبر .

أما عن تأثير القرار على الولايات المتحدة ذاتها ، فنجد أنه لم يحقق الغاية المرجوة منه وهى تقليص علاقاتها باسرائيل ، بل اننا نلحظ العكس تماما ، فقد ازداد الدعم الأمريكى لاسرائيل بصورة لم تحدث من ذى قبل ، كما أطرد التأييد الأمريكى لمختلف المواقف الاسرائيلية فى المنطقـة . بل والأعجب من ذلك ، اقتناع الولايات المتحـدة الكامل بأن اسرائيـل هى حليفها الحقيقى الوحيد فى منطقة الشرق الأوسط .

ومع اطراد حاجة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الى البترول العربى ، يزداد شعور البلاد العربية المصدرة للبترول بامكانية التدخل العسكرى الأمريكى المباشر للحصول على النفط . وقد أدى هذا بدوره الى تزايد الحذر من جانب هذه الدول فى استخدام النفط لأغراض سياسية تتصادم مع السياسة الأمريكية .

يتضح مما سبق أن النفط العربى حقق نجاحا ضئيلا فى المعركة ، وجاء استخدامه كسلاح سياسى دون التطلعات العربية ، ومرد ذلك الى حالة التفكك العربى والتناقض بين الدول العربية التى شلت القدرة العربية على استخدام هذا السلاح استخداما ذاتيا فعالا .

الفصل الرابع

محاولات الحل

فض الاشتباك الأول على الجبهة المصرية :

١ ـ اتفاق النقاط الست :

وفى ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٣ قام هنرى كيسنجر بزيارة مصر بهدف تحقيق استقرار وقف اطلاق النار وازالة التهديد ببدء جولة جديدة وتصفية ذيول الحرب ، وقد عقد عدة اجتماعات مع أنور السادات ، وكان المطلب الملح والعاجل للسادات هو فك حصار الجيش الثالث الميدانى ، وذلك فى فى مقابل رفع الحصار البحرى عن باب المندب ، الا ان كيسنجر اقترح تخفيضا متبادلا للقوات المصرية والاسرائيلية على جانبى القناة ، وهو ما رفضه السادات ، الذى قدم مشروعا تمهيديا يقوم على اطلاق مصر سراح الأسرى الاسرائيليين ورفع الحصار عن باب المندب فى مقابل انسحاب اسرائيل الى خط يمتد من العريش شمالا الى رأس محمد جنوبا ، وعندئذ تبدأ مصر فى تطهير القناة واعدادها للملاحة الدولية .

بيد أن كيسنجر فضل سياسة الخطوة خطوة ، مبتدئا بتبادل الأسرى فى مقابل فتح الطريق أمام الامدادات غير العسكرية للجيش الثالث . وقد انجذب السادات الى المباحثات العسكرية البحتة مرجئا موضوع الانسحاب الى ما بعد عقد مؤتمر السلام فى جنيف .

وقد أسفرت مباحثات كيسنجر فى القاهرة عن التوصل الى اتفاق من ست نقاط لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وقد نص الاتفاق على ما يلى :

(أ) توافق مصر واسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف اطلاق النار .

(ب) يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر فورا فى اطار الموافقة على فصل بين القوات المتحاربة وذلك تحت اشراف الأمم المتحدة .

(جـ) تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات من الغذاء والماء والدواء ، ويتم ترحيل جميع الجرحى المدنيين من مدينة السويس .

(د) يجب الا تكون هناك أية عقبات أمام وصـــول الامدادات غــير العسكرية الى الضفة الشرقية .

(هـ) تستبدل نقط مراقبة من الأمم المتحدة بنقط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة ـــ السويس ، وفى نهاية طريق السويس يمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الأمم المتحدة فى الاشراف على الامدادات التى تصل القناة والتأكد من أنها ذات طبيعة غير عسكرية .

(و) بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على طريق القاهرة ـــ السويس ، يتم تبادل جميع الأسرى بما فيهم الجرحى .

ويعـــد هذا الاتفاق خطوة نحو تنفيذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ التى تنص على بـــدء المفاوضات فورا وفى وقت واحد مع وقف اطلاق النار بهدف اقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

٢ ـــ مباحثات الكيلومتر ١٠١ :

بعـــد ان تم التوقيع على اتفـــاق النقاط الســـت فى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأت اجتماعات عسكرية بين الجانبين المصرى والاسرائيلى عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة ـــ السويس تحت اشراف الأمم المتحدة للعمل على تنفيذ بنود الاتفاق . وقد تعثرت المباحثات بسبب موضـــوع العـــودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ثم مطالبـــة اسرائيل بأن يكون الوجـــود العسكرى المصرى على الضـــفة الشرقية رمزيا . وفى ظل عدم الاتفاق ، افتتح كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة مؤتمر جنيف فى الواحـــد والعشرين من ديسمبر ١٩٧٣ بقصر الأمم المتحـــدة فى جنيف وحضره ـــ بالاضافةالى القوتين العظميين اللتين رأستا المؤتمرـــالأردن ومصر واسرائيل كاطراف للنزاع فى الشرق الأوسط ولم تحضره سوريا ، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو التوصل الى تسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى . وطبقا لهذا الهدف ، شرح كل فريق وجهة نظره موضحا أهـــداف بلاده ،

ولكن أدى موقف اسرائيل المتعنت الى اخفاق مؤتمر جنيف ، اذ أن اسرائيل لم تكن راغبة فى عرض مبدأ الحل الشامل الذى يتضمن احياء القضية الفلسطينية ، فضلا عن اتفاق اسرائيل مع الولايات المتحدة على انفراد الأخيرة بالحل . وقد استمر المؤتمر لمدة يومين فقط ولم يتم فيه التوصل الى أية نتائج .

٣ — اتفاق الفصل بين القوات على الجبهة المصرية :

بعد جهود مضنية تم فى الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٨ من ينساير ١٩٧٤ التوقيع على اتفاقية فك الاشتباك والفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية . وقد نص هذا الاتفاق على الا يتجاوز الوجود المصرى شرق القناة ١٥ كيلومترا ، وان تخفض القوات المرابطة على الضفة الشرقية الى ٨ كتائب أى نحو ٧٠٠٠ جندى ، مع ايجاد منطقة عازلة ترابط فيها قوات الأمم المتحدة يجدد ترخيصها كل ثلاثة أشهر . ويقول موشى ديان « فان القوة العسكرية التى كان المصريون سيحتفظون بها شرق القناة هى قوة ضئيلة للغاية »(١) .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٤ يناير ١٩٧٤ ، تم التوقيع على الوثيقة النهائية لخطة تطبيق اتفاقية الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، التى تنفذ فى خمس مراحل على أساس انهاء وجود القوات الاسرائيلية فى الضفة الغربية للقناة فى مساء يوم ٢١ من ينساير ١٩٧٤ واتمام انسحاب القوات الاسرائيلية الى الخطوط المحددة لها فى عمق سيناء فى الساعة السادسة من صباح ٥ مارس ١٩٧٤ .

وقد انتهى التنفيذ العملى للمرحلة الخامسة والأخيرة فى الساعة الرابعة من مساء يوم ٣ مارس وقبل الموعد المحدد فى الجدول الزمنى بيومين ، والمثير للدهشة حقا أن أنور السادات الزم نفسه بتعهدات شفوية قبل توقيع اتفاقية فك الاشتباك الاولى ، كانت لها أصداء سياسية قوية ، منها تعهد السادات بالتوسط لدى دول النفط العربية لرفع الحظر عن

---

(١) قصة حياتى ص ٦٢٨ .

الولايات المتحدة دون انتظار تسوية اخرى على الجبهة المصرية او فض اشتباك مماثل على الجبهة السورية .

كما تعهد السادات بالبدء فى تعمير مدن القناة واعادة المهجرين اليها متذرعا بدوافع انسانية . وقد ذكر موشى ديان فى كتابه « قصة حياتى »(١) انه كان من شروط اسرائيل لتوقيع اتفاقية فصل القوات على الجبهة المصرية « ضرورة اعادة الحياة الطبيعية الى المنطقة ، وكان هذا الشرط الهام يعنى اعادة بناء مدن القناة ، واعادة السكان المدنيين الى منطقة القناة واحياء المشروعات الصناعية مثل معامل تكرير البترول ، وتخفيض ضخم فى حجم الجيش المصرى » .

فك الاشتباك فى الجولان :

لم تنسق مصر مع سوريا عندما توصلت الى اتفاق فك الاشتباك الأول فى ١٨ يناير ١٩٧٤ . وقد يرجع السبب الى معارضة اسرائيل لأية اتصالات بهذا الشأن مع سوريا بحجة انها تحتفظ بالأسرى .

وعلى الرغم من تقاعس الولايات المتحدة عن الضغط على اسرائيل لتحقيق انسحاب اسرائيلى جزئى من الأراضى السورية المحتلة ، فقد تعهد هنرى كيسنجر للسادات باجراء فك اشتباك مماثل فى الجولان مقابل تعهدات السادات بالسعى لرفع حظر النفط .

غير ان الادارة الأمريكية تحولت عن موقفها ازاء سوريا بعد أن برزت عدة عوامل تدفعها الى الاتصال بها ، أهمها تلميحات دول النفط العربية الى تجديد الحظر فى حالة عدم تحقيق فض اشتباك فى الجولان ، وتلميحات مصر الى تغيير اتجاهها الجديد نحو أمريكا ، التى خشيت وقوعه لدور مصر القيادى بين الدول العربية .

بدأ هنرى كيسنجر جولته فى ابريل سنة ١٩٧٤ باجراء مباحثات مع اسرائيل وسوريا التى ابدت موقفا متشددا ، فاضطر الى الاتصال بالدول التى يمكنها ان تؤثر فى موقف سوريا وهى مصر والسعودية

---

(١) ص ٦١٨

والاتحاد السوفييتى . وفى نفس الوقت بحث الكونجرس الأمريكى رفع قيمة المعونة الأمريكية لاسرائيل وتزويدها بأسلحة جديدة متقدمة حتى تتساهل فى الجبهة السورية .

أعلنت اسرائيل موافقتها على الانسحاب من الأراضى الجديدة التى احتلتها فى حرب اكتوبر ، ولكنها تشددت بالنسبة لتحقيق انسحاب جزئى من الجولان . ثم وافقت ، تحت الضغوط الأمريكية ، على اخلاء القنيطرة ولكن ظل الخلاف محتدما حول وضع التلال المحيطة بها وحول حجم القوات الدولية فى المنطقة الفاصلة بين الجانبين .

واخيرا انتهى الأمر الى حسم الخلافات وقبول التسوية . وكان الكسب الذى حققته سوريا هو تراجع القوات الاسرائيلية الى مسافات تتراوح بين كيلومتر واربعة كيلومترات على طول الجبهة ، على الا تدخلها قوات سورية ولكن تعاد اليها الادارة المدنية مع وجود قوات للأمم المتحدة فى هذه المنطقة .

وبعد أن تم فك الاشتباك على الجبهة السورية فى مايو ١٩٧٤ ، أطلقت سوريا سراح الأسرى الاسرائيليين الذين كانت تحتفظ بهم كورقة مساومة . وقد وافق الرئيس السورى حافظ الأسد على قيام طائرات الاستطلاع الأمريكية باستطلاع المنطقة التأكد من تنفيذ الاتفاق على غرار ما هو متبع فى الجبهة السورية .

وقد تجاهل الاعلام السورى اتفاق فك الاشتباك حيث أن الهدف السورى المعلن هو استرداد الأراضى المحتلة فى اطار تسوية شاملة.

وعلى حين كانت سوريا تتمسك بالحل الشامل ، مضت اسرائيل فى التوسع الاستيطانى فى الجولان التى ضمتها رسميا فى ١٤ ديسمبر ١٩٨١ .

فك الاشتباك الثانى على الجبهة المصرية :

عندما أنس هنرى كيسنجر فى أنور السادات استعدادا لتقديم تنازلات سياسية ، خطط لانسحاب اسرائيلى من سيناء فى مقابل انهاء

حالة الحرب . بيد أن السادات لم يقبل انهاء حالة الحرب الا فى اطار الحل الشامل ، الذى يعنى اشتراك الدول العربية الأخرى فى عملية الحل . وقد اتجه تفكير السادات الى التسوية الجزئية التى تحقق الانسحاب الجزئى من سيناء شرقى ممرى متلا والجدى مقابل تعهد مصر بعدم استخدام القوة او التهديد بها خلال فترة عماية السلام .

الا أن اسرائيل اثارت نقاطا عديدة احتدم حولها الجدل . وقد تركزت نقاط الخلاف حول مدى الانسحاب واتساع المنطقة العازلة بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ، والاشراف على محطة الانذار المبكر فى ام خشيب ، ومطالبة اسرائيل بالاستغلال المشترك لآبار بترول أبو رديس.

وقد أدى التشدد الاسرائيلى الى توقف المباحثات فى ٢٢ مارس ١٩٧٥ ، وعودة هنرى كيسنجر الى الولايات المتحدة وفى روعه أن مسئولية الاخفاق تقع على عاتق اسرائيل .

ولما كان السادات لم يستطع الحصول على اية وعود واضحة من الرئيس الأمريكى فورد أثناء المقابلة التى تمت بينهما فى سالزبورج فى يونية ١٩٧٥، فضلا عن ضغط انصار الصهيونية فى مجلس الشيوخ الأمريكى ، فقد راى انه لابد من تقديم بعض التنازلات الأساسية . فبدلا من التعهد بعدم استخدام القوة خلال فترة عملية السلام ، فان هذا التعهد يسرى دون تحديد مدة ، بالاضافة الى الموافقة على جعل خط النسحاب الاسرائيلى وسط المضايق ، وقبول مصر مرور شحنات غير عسكرية لاسرائيل عبر قناة السويس .

وقد نشأت عده عوامل افضت الى الحد من التعنت الاسرائيلى ، منها اعادة الملاحة الى قناة السويس فى ٥ يونية ١٩٧٥ ، وتعهد شاه ايران بتعويض اسرائيل عن اى نقص فى امداداتها البترولية ، واشراف الولايات المتحدة على محطة الانذار المبكر فى أم خشيب مما حسم الخلاف حول قضية الاشراف عليهـا .

وقد توصل هنري كيسنجر الى عقد الاتفاق الثنائي لفصل القوات

فى سيناء فى اول سبتمبر ١٩٧٥ ، وفيما يلى اهم ما جاء فى هـــذا الاتفاق الذى يتضمن تسع مواد :

المـــادة الثـــانية : يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة او التهديد بيها او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الآخر .

المـــادة الثالثة :

١ ـــ سوف يستمر الطرفان فى ان يراعيا بدقة وقف اطلاق النـــار في البر والبحر والجو والامتناع عن اية اعمال عســـكرية او شبه عسكرية ضد الطرف الآخر .

٢ ـــ ويقرر الطرفان ايضا أن الالتزامات الواردة فى ملحق هـــذه الاتفاقية والبروتوكول الخاص بها عند عقده ٪ سيكونان جزءا لا يتجزأ من هذه الاتفاقية .

المـــادة الرابعـــة : وهى خاصة بتحريك القوات المسلحة الطرفين وفقا لمبادىء عينـــة .

واهم هذه المبادىء هو موافقة اسرائيل على الانسحاب الى خـــط جديد يبعد مسافة ما بين عشرين الى اربعين ميلا من قناة الســويس وتسليم ممرى متلا والجدى الى الأمم المتحدة وحقول البترول الى المصريين ، وتقدم القوات المصرية فى اتجـــاه الشرق حيث كانت المنطقة العازلة التى ترابط فيها قوات الأمم المتحدة .

المـــادة الخامســـة : تعتبر قوة الطوارىء التابعـــة للأمم المتحـــدة اساسية وسوف تستمر فى القيام بعملها وستجدد مدتها سنويا .

المـــادة السادسة : ينشىء الطرفان لجنة مشتركة اثناء سريان هذه الاتفاقية وتعمل تحت رياسة المنسق العام لعمليات الأمم المتحدة للشرق الأوسط للنظر فى اية مشـــكلة تنجم عن هـــذه الاتفاقية ، وبمعاونة قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة فى تنفيذ مهمتها .

المـــادة الســـابعة : ســـيسمح للشحنات غير العسكرية المتجهـــة الى اسرائيل ومنها بالمرور فى قناة السويس .

وقد شمل ملحق الاتفاقية نقاطا أهمها : القيود على القوات والتسليح ، اذ اتفق على أن تكون القيود الرئيسية فى المناطق محدودة القوات والتسليح (على جانبى المنطقة العازلة) ، ثمانى كتائب مشاة ، ٧٥ دبابة ، ٧٢ قطعة مدفعية بما فيها الهاونات الثقيلة (عيار اكبر من ١٢٠ مم التى لا يزيد مداها على ١٢ كم) ، على ألا يتجاوز المجموع الكلى للأفراد ثمانية الاف . كذلك عدم وضع أو تمركز أسلحة فى المنطقة يمكنها الوصول الى خط الطرف الاخر .

كما اتفق على نظام الانذار المبكر ، فطبقا للمادة الرابعة ، تكون هناك داخل الممرات محطتان للاستكشاف للقيام بالانذار الاستراتيجى المبكر يقوم بتشغيل احداهما أفراد مصريون والأخرى أفراد اسرائيليون . والى جانب هاتين المحطتين تقيم الولايات المتحدة ثلاث محطات للمراقبة فى ممرى متلا والجدى تدار بواسطة أفراد مدنيين أمريكيين .

اما بالنسبة لمنطقة حقول بترول أبورديس فقد سمح للمدنيين المصريين بالمرور فى طريق طويل تقوم قوات الطوارىء الدولية بالاشراف عليه ، وتعهدت اسرائيل بأن تترك كافة المنشآت صالحة للعمل .

وقد اعلنت مصر فور توقيع الاتفاق أنها ستجنى ثمار نصر أكتوبر ، اذ انها ستستعيد حقول ابورديس ، ثم أن القوات الاسرائيلية ستنسحب من ممرى متلا والجدى ، وكذا من مناطق أخرى أقل أهمية فى الشمال والجنوب ، بينما ستفقد اسرائيل حقول أبورديس التى كانت تمدها بنحو ٥٥ بالمائة من احتياجاتها البترولية ، بالاضافة الى أن ممرات سيناء كانت تعطى اسرائيل الشعور بالأمن .

اما الوثيقة الاسرائيلية التى صدرت بشأن فض الاشتباك الثانى فقالت : ان التوازن العسكرى بين الطرفين المتحاربين هو الذى سمح بابرام تلك الاتفاقية . وحبذت الوثيقة دبلوماسية الخطوة تلو الخطوة لأنها تمهد لخلق الجو السلمى الذى يسهم وحده فى استتباب السلام فى المنطقة .

ولم تشر الوثيقة الى القضية الفلسطينية الا بطريقة عابرة ، اذ ترى

أن الخطوة الأولى لاجــراء الحوار بين فلســـطين واسرائيل هو اعتراف الفلسطينيين بالوجود الاسرائيلى .

ونستخلص من الوثيقة الاسرائيلية أن الجانب الاسرائيلى يفضـــل اسلوب الخطوة تلو الخطوة على أسلوب المؤتمر الجماعى فى جنيف ، لأنه فى ظل الأسلوب الأول يستطيع أن يواجه كل دولة عربية على حدة ، مما يساعده على تجنب التعامل مع التكتل العربى كوحدة . كما أنه يستطيع تجنب المشكلة وهى قضية حق تقرير مصير الشعب الفلسطينى وقيـــام الدولة الفلسطينية ، فضلا عن اعتقاده بأن هذا الأسلوب يضعف الترابط بين مصر والدول العربية .

وقـــد جاءت الوثيقة السورية ، التى تضـــمنت تصريحات الرئيس حافظ الأســـد ، تصم الاتفاق بأنه خطوة الى الوراء فى طريق السلام لأنه سيعجل بقيام الأزمة المقبلة ، وانه يغلق الأبواب التى تؤدى الى الســـلام الحقيقى ، كما انه يتجاهل طبيعة الصراع عندما يحاول تقسيم المشـــكلة الى أجزاء منفصـــلة . فالنزاع القائم ليس نزاعا مصريا — اسرائيليا أو سوريا — اسرائيليا ، ولكنه نزاع عربى — اسرائيلى على أية حال ، وان تجاهل الحقائق لن يغيرها .

كذلك هاجمت وثيقة فلسطينية الاتفاق . وقد حملت آراء المعارضين عبارات الخوف من أن الاتفاق يضعف الجبهة العربية ثم يفككها ، ويؤدى الى تفوق اسرائيل عسكريا نتيجة تدفق الأسلحة الأمريكية الجديدة عليها ، ممـــا يزيد من مطامعها التوسعية ، ويشجع اسرائيل — فى ظل تجمـــد الجبهة المصرية نتيجة للاتفاقيـــة — على القيام باعتداءات على الجبهـــة السورية أو اللبنانية أو الأردنية . كذلك الخوف من أن يؤدى تجمد الجبهة المصرية الى عودة اللاحرب واللاسلم ، تلك الحالة التى من شأنها تأجيل فك الارتباط على الجبهات الأخرى ، وفى مقدمتها الجبهة الفلسطينية ، ممـــا يؤدى الى اضعاف منظمة تحرير فلسطين وتفاقم الخلافات العربية .

الموقف العربي بعد اتفاقية فك الاشتباك الثانية في سيناء :

أفصح اسحاق رابين في معرض دفـــاعه عن اتفاقية فض الاشتباك الثانية من أن من بين أهداف حكومته الأساسية احداث الفرقة بين الدول العربية وتعميق الخلاف بين مصر وســـوريا وجر مصر الى فكرة ســـلام منفصـــــل .

وعلى الرغم من التنازلات السياسية المصرية ، فان الاتفاق ترك أكثر من ثلثى سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلى ، ومن ثم اعتبرت مصر هذا الاتفاق حـــلا مؤقتـــا .

وبدا التمزق العربي واضحا ، فقد رفضت كل من سوريا ومنظمـــة التحرير الفلسطينية هذه الاتفاقية على الرغم من التفسيرات التى قدمهـــا السادات لمـــا أذيع من بنود الاتفاقية .

وقد ذكر السادات أن الولايات المتحدة تعهدت باجراء فصـــل آخر للقوات في الجولان ، كما أكد عدم التخلى عن خطة الحل الشامل وعـــدم التفريط في القضية الفلسطينية ، مع عدم سريان مبدأ عدم اللجوء الى القوة اذا ما اعتدت اسرائيل على سوريا .

وعلى الرغم من التوتر الذى شاب علاقات مصر ببعض الدول العربية فقد استمرت العلاقات الطيبة بين مصر والنظم المحافظة فى العالم العربى .

لم تقتنع الحكومة السورية بتفسيرات السادات لمغزى اتفاق الفصـــل الثانى للقوات ، واكتشفت أنه فى حالة تحقيق فك ارتباط آخر فى الجـــولان فانها لن تحصل الا على مكاسب اقليمية محدودة مقابل تنازلات ســـياسية أساسية . ومن هنا رأت أن أفضل السبل لكسر جمود الموقف هو العودة الى مؤتمر جنيف الذى توقف منذ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ولم تحضره سوريا آنذاك ، حيث أن وجود الاتحـــاد السوفييتى يحول دون انفراد الولايات المتحدة بالحل . ولكن لم ينعقـــد مؤتمر جنيف بسبب العقبات الكثيرة التى وضعت فى طريقه مثل اصرار سوريا والاتحاد السوفييتى على اشـــتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مؤتمر جنيف .

وسرعان ما لاحت بوادر الحرب الأهلية اللبنانية فى الأفق ، ثم شهد عام ١٩٧٦ تحركا فى تحديد الأدوار العربية التى دخلت كأحد عناصر الصراع الطائفى اللبنانى أو اللبنانى الفلسطينى .

وفيما بين عامى ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ تصاعدت قوة الجبهة التقدمية التى ترتكز على عناصر اسلامية وتضامن معها الفلسطينيون والشتركوا فى الصراع اللبنانى . وقد أدى هذا الموقف الى اجراء حزب الكتائب اتصالات سرية مع اسرائيل ، مما أثار المخاوف من احتمال تدخلها فى الأزمة اللبنانية . وقد رأى الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية ، الذى يناصب حزب الكتائب العداء ، أن يسارع الى طلب تدخل سوريا حتى يحبط مساعى الكتائب . وقد رحبت سوريا بالتدخل العسكرى الذى كان بمثابة ورقة رابحة تساوم بها عند الحاجة .

كانت سوريا فيما مضى تناصر العناصر الاسلامية والفلسطينية ، ولكنها منذ أن تدخلت عسكريا فى لبنان ، طرحت هذه السياسة جانبا وأيدت الحكم اللبنانى بكل قوة . وقد برر النظام السورى هذه السياسة بأنها تمنع التدخل العسكرى الاسرائيلى فى لبنان بالتفاهم مع حزب الكتائب . كما أن الولايات المتحدة غضت الطرف عن التدخل السورى طالما أنه يؤيد السلطة الشرعية اللبنانية .

وقد شهدت الساحة العربية آنذاك تكتلا عربيا وصف بالاعتدال ، يضم مصر والسعودية وسوريا وبعض دول الخليج . وقد أدى هذا الموقف الى عقد مؤتمر قمة مصغر فى الرياض ثم فى القاهرة ، وقد قرر المؤتمر تشكيل قوة ردع عربية فى لبنان تشترك فيها السودان ودولة الامارات العربية المتحدة اشتراكا رمزيا الى جانب القوات السورية ، وتتولى المملكة العربية السعودية الانفاق على هذه القوة . وقد أفضى هذا التكتل العربى الذى انضمت اليه سوريا الى الاختفاء المؤقت للخلافات المصرية السورية ، التى نجمت عن اتفاق فصل القوات فى سيناء .

ثم تطورت العلاقات المصرية السورية قدما لدرجة الاعلان عن قيادة سياسية موحدة بين مصر وسوريا فى ديسمبر سنة ١٩٧٦ .

وعلى الرغم من تصاعد الحملات الانتخابية فى عام ١٩٧٦ ، فلم تغفل الولايات المتحدة مسألة الشرق الأوسط ، بل اننا نلحظ زيادة اهتمامها الذى نجم عن زيادة التزاماتها بسبب اتفاقيات فض الاشتباك ، فضـــلا عن أن الاعتمادات الضخمة التى يخصصها الكونجرس لاسرائيل ، جعلت قضـــية الشرق الأوسط مطروحـــة ضـــمن القضايا الأخرى على بســـاط الحملة الانتخابية . ومن ثم كلفت لجنة متخصصة سميت لجنة بروكنز بدراســـة مشكلة الشرق الأوسط من جميع نواحيها ، كما قام سوندرز مستشار وزارة الخارجية بتقديم وثيقة حول نفس الموضوع .

وانتهت الدراسة الى مبدأين هامين هما : ان السلام يخدم المصالح الأمريكية ، وأن تسوية المشكلة الفلسطينية أمر حيوى لتحقيق السلام ، الا أن الوثيقتين لم تبينا كيفية الوصول الى حل . ثم انتهى الأمر بهما الى الدفء فى أحضان متحف التاريخ .

وعندما وصل جيمى كارتر الى رياسة الولايات المتحدة ، انعقدت عليه الامال فى حل النزاع العربى الاسرائيلى بصورة أقل انحياز لاسرائيل ، كما كان العرب يعتقدون أن سيروس فانس ، وزير الخارجية الأمريكية الجديد ، افضل من هنرى كيسنجر . وقد دعا الرئيس كارتر رئيس وزراء اسرائيل ، ثم رئيس مصر ، وملك السعودية لشرح وجهات نظرهم وللتعرف على رأيه فى اوضاع المنطقة .

وقـــد دخل فى روع الســـادات أن جميع أوراق الحل فى يد الولايات المتحدة فانجذب بشدة اليها ، وأخذت السياسة المصرية منعطفا جـــديدا اتسم بالجفاء حيال السوفييت ، وبلغ الخلاف بين مصر والاتحاد السوفييتى ذروته بالغاء معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين فى ١٤ مارس ١٩٧٦ . ومع سباحة السادات مع التيار الأمريكى ، فقـــد تبنى سياسة الانفتـــاح على الغرب دون دراسة متأنية مـــا أدى الى ظهور تقلصـــات اجتماعية خطيرة فى جسد النظام المصرى ، تلك التى انفجرت فى شـــكل أعمال عنف دامية فى ١٨ ، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ . فقد فوجىء الشعب المصرى صباح يوم ١٧ من يناير سنة ١٩٧٧ بقائمة تضم خمسا وعشرين سلعة منها سلع

أساسية ارتفعت أسعارها نتيجة رفع أو خفض حجم الدعم الحكومى لها . ويرجع عنصر المفاجأة الى أن هذا الارتفاع فى الأسعار لم يواكب التوقعات الشعبية ، فقد دأبت أجهزة الاعلام المصرى على التبشير بالرخاء والرفاهية بعد التضحيات التى بذلها الشعب والتحدث عن حق الشعب فى جنى ثمار نصر اكتوبر . وبينما كانت الأغلبية الساحقة من الشعب تعانى شظف العيش وتعيش على حد الكفاف ، فقد كانت هناك شريحة اجتماعية تنعم برغد العيش وترفل فى ثياب الثراء الفاحش والمفاجئ ويتعاظم شأنها يوما بعد يوم نتيجة الانفتاح الاقتصادى .

وقد جاء رفع الأسعار تحت ضغط صندوق النقد الدولى بتأييد من المؤسسات المالية الأخرى الواقعة تحت السيطرة الأمريكية ، التى رأت أن اصلاح المسار الاقتصادى المصرى يتطلب الغاء أو خفض الدعم للسلع الأساسية ، ولم تجد الحكومة المصرية مناصا من الاستجابة لها . وقد اثارت هذه المفاجأة غير المتوقعة لرفع الأسعار غضب الجماهير ، فاندفعت الى الشوارع يوم ١٨ من يناير كالطوفان، ثم لم تلبث المظاهرات أن تحولت الى انفجار شعبى هائل عم جميع انحاء جمهورية مصر . وقد بلغ هذا الغضب حدا دفع جماهير الشعب المتأججة فى شوارع أسوان الى الزحف على استراحة الرئيس أنور السادات ومحاصرتها مما أجبره على مغادرتها فورا « تاركا وراءه كل شىء ، حتى الأوراق الرسمية التى ارسلت اليه فى مشتاه للاطلاع والتوقيع » ، غير أن أوضاع القاهرة لم تكن بأفضل مما كانت عليه فى أسوان . ويؤكد أحد الكتاب البارزين على أن « طائرات الهليكوبتر كانت تنتظر فى منزل السادات بالجيزة المحاط بالدبابات الثقيلة ، لتحمله الى طائرته التى كانت تنتظره فى مطار « أبو صوير » ، والتى كانت وجهتها المقررة — اذا جاء وقت الرحيل — هى طهران حيث كان الشاه على استعداد لاستقبال أصدقائه اذا اضطروا للهرب من القاهرة » (١) .

---

(١) محمد حسنين هيكل ، خريف الغضب : قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات ، بيروت ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٢٠ — ٥ .

وقد استمرت المظاهرات يوم ١٩ من يناير بشكل أكثر عنفا ، فلجأ المتظاهرون الى التدمير ، ونهب بعض المتاجر الكبرى والنوادى الليلية فى شـــارع الهرم . وقـــد اصـــطدمت قوات الشرطة بالمظاهرات فى جميع المحافظات ، وسقط عـــدد من القتلى والجرحى ، ولم يتم الســـيطرة على الموقف الا بعد نزول الجيش الى الشوارع واعلان الأحكام العرفية وحظر التجول ، والغاء قرار مجلس الوزراء بزيادة الأسعار .

تركت هذه الأحداث أثرا لا يمكن اغفاله على تفكير أنور السادات ، فبدأ منذ ذلك الوقت يغير سياسته ، حيث وجد فى المظاهرات الصـــاخبة فى يومى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ تحديا شعبيا قويا لسلطته ، وانطبع فى ذهنه أن للعناصر اليسارية المؤيدة من السوفييت يدا فيما حدث . وقـــد غذت الولايات المتحـــدة اعتقـــاد السادات مما حدا به الى التوجه الى الغرب لحماية كرسى الحكم . وقد بدا هذا التحول فى قيام السادات برحلة فى أبريل سنة ١٩٧٧ الى الولايات المتحدة حيث كرس جهوده لاقناع الأمريكيين بأنه بمكنهم الاعتماد على مصر فى تأمين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

زيارة القـــدس :

كان قرار الرئيس الراحل أنور السادات زيارة القدس والقاء خطاب أمام الكنيست مفاجأة للعالم العربى ، غير أن استعداد السادات للاتصال المباشر بالاسرائيليين كان واردا من قبل .

وليس من اليسير تحديد الدوافع الحقيقية لهذه الزيارة ، الا أن أحد الدارسين (١) حاول تحليل الدوافع المصرية لمبادرة السادات فقال : ان مبادرة السلام كان مبعثها عدة دوافع داخلية وعربية ودولية .

وقد قسم الدارس الدوافع الداخلية الى عوامل تتعلق بالوضـــع الاقتصادى ، الذى كان يزداد ســـوءا نتيجة ســـنوات الحرب الطويلة

---

(١) ســـعد الدين ابراهيم ، المبادرة المصرية بين التصلب الاسرائيلى ومجموعة لرفض ، السياسة الدولية ، العدد ٥٢ ، أبريل ١٩٧٨ ، ص ص ١٧ — ٩ .

والانفاق العسكرى الضخم . ولم يكن هناك أمل فى انقاذه سوى الخروج من حالة اللاسلم واللاحرب ، التى بدأت تعود من جديد ، وحاول السلام .

أما الدافع الثانى من الدوافع الداخلية ، فقد كان الاحساس بأن الموقف العسكرى قد ينفجر فى أية لحظة الى حرب شاملة ، خاصة بعد أن تزايدت المخاوف من احتمام قيام اسرائيل بحرب وقائية هدفها تحطيم القدرة العسكرية المصرية تماما لعشر سنوات قادمة . ومما غذى احتمال انفجار الموقف عسكريا ، وصول كتلة ليكود المتطرفة الى الحكم فى اسرائيل ، وتشكيل مجلس وزراء اسرائيلى أشبه بمجلس حرب ، به أكبر نسبة من جنرالات اسرائيل ونجومها العسكرية ، ومن بينهم ايجال يادين وموشى ديان وأريل شارون .

فى حين تتعلق الدوافع العربية بعدم القدرة على رسم سياسة عربية موحدة فى مواجهة اسرائيل ، توزع أعباؤها بالتساوى . كما كانت مصر تأمل فى المساعدة الاقتصادية الفعالة من جانب الدول العربية النفطية حتى تخرج من أزمتها بشكل جذرى ، الا أن حجم المساعدات لم يكن كافيا بالدرجة التى تعطى مصر الحركة المستقلة الكاملة . بالاضافة الى أن التحالف العسكرى مع سوريا والمقاومة الفلسطينية مر بتجارب عصيبة بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، أفضت الى خلافات واتهامات وحملات اعلامية متبادلة .

وتتعلق الدوافع الدولية بعجز الادارة الأمريكية عن دفع عملية السلام التى بدأها هنرى كيسنجر ، حيث وصلت محاولات الرئيس جيمى كارتر لعقد مؤتمر جنيف الى طريق مسدود مع حلول خريف سنة ١٩٧٧ . وساد اعتقاد لدى السادات بأن شيئا لابد أن يحدث لاختراق ذلك الطريق المسدود خلال بضعة أشهر ، قبل أن يحل موعد الانتخابات النصفية الأمريكية .

كما دخل فى روع القيادة المصرية أن الاتحاد السوفييتى غير جاد فى

تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، بل انها اعتقدت كذلك أن الاتحـــاد السوفييتى يريد خلق المتاعب لها واسقاطها ، واتهمته بأنه كان المحرك لأحداث يومى ١٨ ، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ .

ولا ريب أن هذا التحليل ليس كله صائبا ، فالعامل الاقتصادى لم يكن الدافع الحقيقى لرحلة القدس ، لأن اقتصاد الحرب ، الذى فرضه الصراع العربى الاسرائيلى ، لم يكن وحـــده سبب تفاقم المشاكل الاقتصـــادية . فالأزمة الاقتصادية نشأت نتيجة لحرب اليمن ، التى اسهمت بنصيب وافر فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبسبب سوء الادارة الاقتصادية ، والتطلعات الطبقية ، وبسبب اقتصاد الحرب . أى أن اقتصاد الحرب أحد الأسباب وليس كل الأسباب ، ولم يكن من شأن رحلة القدس أن تعالج كل هـــذه الأسباب . كما أن احتمالات نجـــاح الزيارة لم تكن أكيدة « بحيث يمكن القول بأن الزيارة كانت خيارا حقيقيا بين الرخاء والسلام أو الفقر مع استمرار حالة اللاسلم واللاحرب »(١) . وكان يمكن للنظام المصرى — اذا صدقت النية — أن يتخذ اجراءات اقتصادية حاســمة لمعالجة الخلل فى هيكل الاقتصاد المصرى قبل أن يتخذ خطوة المبادرة المحفوفة بالمخاطر .

أما القول بأن الرحلة توخت درء خطر حرب وقائية اعتزمت اسرائيل شنها ، فهذا ما لا يمكن تصديقه ، لأن حالة الحرب كانت قد انتهت بالفعل بين مصر واسرائيل طبقا لاتفاقية فض الاشتباك الثانية ، وأن الولايات المتحدة كانت تقوم بالاستطلاع للتأكد من تنفيذ بنود الاتفاقية . بالاضافة الى فتح القناة للملاحة البحرية ، وبدء تعمير مدن القناة ، فضلا عن انحياز السياسة الخارجية المصرية الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى ضوء هذه العوامل ، لم يكن من المتوقع أن تشـــن اسرائيل حربا وقائية على مصر ، سيما وأن الوضع على الجبهة المصرية لم يكن

---

(١) حسن نافعـــة ، مصر والصراع العربى الاسرائيلى ، من الصراع المحتوم الى التسوية المستحيلة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٦٢ .

يشكل خطورة على اسرائيل ، لأن ذلك الهجوم الاسرائيلي كان من شأنه أن يضع الولايات المتحدة الأمريكية فى مأزق .

كما أنه لا يمكن اغفال المفاوضات المصرية — الاسرائيلية الرسمية المباشرة التى كانت تجرى بصفة سرية فى الفترة السابقة على الزيارة مباشرة . فقد ظهرت عدة وساطات لاجراء اتصال سرى مباشر بالاسرائيليين ، وكان الملك الحسن ، عاهل المغرب ، فى قمة هذه الوساطات .

وقد أراد الملك أن يجتذب الى هذه الفكرة بعض الأطراف العربية الأخرى ، لذلك فقد زار موشى ديان المغرب فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٧٧ بناء على دعوة من الملك المغربى(١) .

وقد توسط ملك المغرب بين مصر واسرائيل ، وتمكن من ترتيب لقاء سرى بين حسن التهامى نائب رئيس الوزراء المصرى آنذاك وموشى ديان وزير خارجية اسرائيل . وقد تم اللقاء بين الرجلين فى الرباط يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٧٧(٢) . وقد استمرت هذه اللقاءات بعد قرار السادات زيارة القدس ، وتم عقد لقاء آخر بين حسن التهامى وموشى ديان ، بحضور الملك الحسن أيضا ، فى يومى ٢ ، ٣ ديسمبر ١٩٧٩ .

ولاشك أن هذه المفاوضات السرية المباشرة قد أقنعت السادات باستبعاد موضوع الحرب الوقائية خلال الأشهر التى سبقت المبادرة . غير أن السادات قرر بعد أول لقاء بين حسن التهامى وموشى ديان أن يزور القدس .

ومن هنا يثور السؤال : لماذا فضل السادات هذه الطريقة الدرامية على الاتصال السرى المباشر الذى كان قد بدأ من قبل المبادرة ؟

(١) موشى ديان ، الاختراق ، لندن ، ١٩٨١ .

(٢) حول تفاصيل مادار فى هذا اللقاء انظر :

Moshe Dayan, Paix dans le desert, (Paris : Fayard, 1981), PP. 62 — 74.

لا أخالنا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان من بين الأسباب ، دور العامل الشخصى والنفسى لاسادات ، فالسادات ذو شخصية متعددة الجوانب ، يبرز منها الجانب المثير والمعقد ، ويلقى كتاب « خريف الغضب » للأستاذ محمد حسنين هيكل بعض الأضواء على ذلك الجانب المثير من شخصية السادات . ولعل التاريخ الارهابى للسادات وجنوحه الى حب المغامرة والتطلع الى النجومية والاستئثار بالاهتمام الدولى مما يفسر اقدامه على زيارة القدس .

وبالاضافة الى دور العامل الشخصى والنفسى ، فان هناك عوامل موضوعية عديدة ، فبعد وصول بيجين الى الحكم فى اسرائيل ، لم يعد امام السادات سوى خيارين : الأول : وهو الالتزام بالموقف الجماعى العربى ، الذى يعنى الانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة مقابل الاعتراف باسرائيل . وكان العرب يأملون فى عرضه فى مؤتمر جنيف من خلال وفد موحد .

والخيار الثانى ، تجميد الوضع القائم ، انتظارا لتذليل العقبات امام مؤتمر جنيف ، ثم انتظار نتائج حوار ومجادلات قد تمتد لسنوات .

وكلا الخيارين يفرضان على السادات اعادة النظر فى سياسته الداخلية والخارجية ، وهو لم يكن مستعدا للقيام به ، ولذلك آثر البحث عن سبيل آخر .

أما هذا الخيار الثالث ، فكان ينحو الى تهيئة أفضل الظروف لتسوية مصرية — اسرائيلية بأقل التكاليف . وفى ظل هذا الخيار كان على السادات أن يسلك احد مسلكين : اما أن يستمر فى اتباع سياسة المفاوضات السرية المباشرة مع اسرائيل ، واما أن يزور القدس فى وضح النهار .

وقد آثر السادات المسلك الثانى خاصة بعد أن أخذت الصحف الأمريكية والأوروبية تلمح الى اللقاءات المصرية — الاسرائيلية فى المغرب . كما أن قرار زيارة القدس يمكن ابرازه دعائيا على أنه قرار منقطع النظير

فى الشجاعة والاقدام ، فضلا عن امكان تفجير قوى عالمية ضخمة تعمل من أجل اقرار السلام فى الشرق الأوسط .

وقد كان الرئيس الرومانى شاوشيسكو يمثل حلقة الاتصال الثانية التى توسطت فى ترتيبات الاتصال بين السادات واسرائيل .

ومن المعروف أن مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل قام فى أغسطس سنة ١٩٧٧ بزيارة الى بوخارست عاصمة رومانيا وصرح بأن الهدف من الزيارة هو دعوة يهود أوروبا الشرقية الى الهجرة الى اسرائيل .

وفى أكتوبر سنة ١٩٧٧ ، حل أنور السادات ببوخارست وقابل الرئيس الرومانى فيما بين يومى ٢٩ ، ٣١ أكتوبر ، وبعد عودة السادات الى مصر ببضعة أيام أعلن عن زيارة القدس . ومن المرجح أن يكون لزيارة بوخارست أثر كبير فى اتخاذ قرار المبادرة .

ويقول اسماعيل فهمى ، وزير الخارجية الأسبق ، فى هذا الصدد : « ... عندما عدت أنا والرئيس السادات من جولتنا فى بوخارست وطهران والرياض ، دعا السادات مجلس الأمن القومى لعقد اجتماع فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ لمناقشة نتائج الرحلة . وبدأ السادات حديثه بعرض عام لهذه الزيارات ثم أشار الى تفاصيل محادثاته مع الرئيس شاوشيسكو ، والى الاطار العام لاقتراح بيجين ، حول الخطوط العامة للكيان الفلسطينى الجديد . وأخيرا وبشكل عابر ، أضاف قائلا : أنا مستعد أن أذهب الى القدس ، وأن ألقى خطابا فى الكنيست الاسرائيلى ، اذا كان ذلك يمكن أن يحقن دماء أولادى »(١) .

بل ان كارتر ، الرئيس السابق للولايات المتحدة ، يزيد على ذلك قوله « كان السادات قد أبلغ وزير الخارجية فانس مؤخرا بأنه يريد

---

(١) اسماعيل فهمى ، التفاوض من اجل السلام فى الشرق الأوسط ، بالتيمور ، ميرلاند ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٦٦ — ٧ .

الاجتماع مع بيجين »(١). ولكن كارتر لم يحدد متى أبلغ السادات فانس بذلك .

وفى الأسبوع الثانى من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ بعث كارتر برسالة سرية الى السادات تتعلق بالأزمة التى تواجه الجهود لعقد مؤتمر جنيف وكتب كارتر فى هذه الرسالة يقول « ان هذا الجمود لن تحطمه سوى خطوة جسورة ، وتساءل كارتر : ما الذى يمكن عمله من أجل الوصول الى حل وسط يرضى الجانبين ؟ » . وقد قال السادات فيما بعد « منذ تلك اللحظة بدات أفكر فى التحرك بسرعة ، وقررت أن أنظر الى الموقف من زاوية جديدة وأن أحلله من جديد » .

وفى أواخر شهر أكتوبر اصطحب السادات اسماعيل فهمى لزيارة رومانيا واجتمع هناك بالرئيس الرومانى ، ويقول اسماعيل فهمى ان السادات قد صرح له عقب اجتماعه هذا بالرئيس الرومانى برغبته « فى الذهاب الى القدس لالقاء خطاب فى الكنيست »(٢) .

ويقول السادات انه أثناء رحلة العودة التى توقفت أثناءها فى طهران والرياض كانت الأفكار تروح وتجىء فى ذهنه . وفى القاهرة تركزت أفكار السادات حول قيامه بزيارة شخصية الى القدس كى يؤدى صلاة عيد الأضحى فى الجامع الأقصى .

لقد لعبت المغرب ورومانيا دورا بارزا فى التمهيد لزيارة القدس ، بعد أن يئس السادات من الضغط الأمريكى على اسرائيل ، وتراجع الولايات المتحدة تحت ضغط الدوائر الصهيونية عن بيان مشترك صدر بالاتفاق مع الاتحاد السوفييتى فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٧ . وكان البيان الأمريكى السوفييتى قد أكد اتفاق القوتين العظميين على احياء ما ورد فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ من مبادىء ، مع مراعاة حقوق الشعب

---

(١) جيمى كارتر ، الحفاظ على العهد ، مذكرات رئيس ، نيويورك ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) اسماعيل فهمى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

الفلسطينى ، وضرورة العودة الى مؤتمر جنيف بمشاركة جميع الأطراف بما فى ذلك ممثلو الشعب الفلسطينى تمهيدا لقيام « علاقات سلام » .

وقد تمثل التراجع الأمريكى فى اصدار ورقة عمل أمريكية اسرائيلية تسوف فى اجراءات احياء مؤتمر جنيف ، وتعلن عن تمسك الحكومة الأمريكية باتفاقاتها السابقة مع اسرائيل . وهى بذلك تشير الى التعهد الأمريكي بعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية الا بعد التشاور مع اسرائيل .

فحوى خطاب انور السادات فى ٩ نوفمبر امام مجلس الشعب :

ابدى أنور السادات اسفه وخيبة امله فى الولايات المتحدة التى تراجعت عن ورقة العمل المتفق على تقديمها الى مؤتمر جنيف ، وقال انه أجرى اتصالات بالأطراف المعنية : حافظ الأسد ، والملك حسين ، وياسر عرفات لاقناعهم بالذهاب الى جنيف بوفد واحد ، واشار الى انه مازال مستعدا للذهاب الى جنيف دون أن يتمسك بالشكليات ، ثم اردف قائلا « بل لا اخفيكم وأنتم ممثلو الشعب ، وعلى مسمع من شعبنا ، وعلى مسمع من أمتنا العربية ، سمعتمونى أقول اننى مستعد ان أسافر الى آخر العالم ، وستدهش اسرائيل عندما تسمعنى أقول الآن أمامكم اننى مستعد أن أذهب الى بيتهم ، الى الكنيست ذاته ومناقشتهم » .

وقد تكفل ممثلو الولايات المتحدة — على اثر هذا الخطاب — بنقل الرسائل بين مصر واسرائيل . وقد صادفت فكرة زيارة القدس ترحيبا من مناحم بيجين ، غير أنه اعلن عشية رحلة السادات أن اسرائيل لن تعود الى حدود عام ١٩٦٧ ، ولن تعترف بالدولة الفلسطينية ، ولن تجرى اتصالات بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعلى الرغم من ذلك فقد نفذ السادات خطته .

ماذا قال أنور السادات فى خطابه أمام الكنيست ؟

طرح أنور السادات خمسة مبادىء عامة للسلام فى الخطاب الذى القاه أمام الكنيست الاسرائيلي ، وهي انهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي

العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير ، بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته ، وحق كل دولة فى المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة المعترف بها ، مع الضمانات الدولية المناسبة لتحقيق امنها ، والتزام كل دول المنطقة بادارة العلاقات بينها طبقا لمبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة ، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية ، وانهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة .

وقد اكد السادات فى خطابه على أن فكرة السلام بينه وبين اسرائيل ليست جديدة وانه يستهدف السلام الشامل . كما اقر بأنه لم يتشاور مع احد من رؤساء الدول العربية الذين اعترضوا على الزيارة . وأوضح السادات أنه لم يأت لعقد صلح منفرد او جزئى، الا ان خطاب السادات خلا من الاشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد كشف خطاب السادات عن عدم اقتناعه بأسلوب مؤتمر جنيف ، وكان يراوده امل بأن الأردن سينضم الى مسيرته ، وأن زيارته ستعمل على احداث انقسامات فى اسرائيل وتقوية المعارضة التى توافق على السلام العادل .

اما خطابات رئيس وزراء اسرائيل والمسئولين الاسرائيليين فقد ركزت على « ماهية السلام » الذى تريده اسرائيل وحدود ومظاهر العلاقات الطبيعية من اعتراف دبلوماسى وعلاقات اقتصادية وحدود مفتوحة . لقد وضع حديث الزعماء الاسرائيليين عن « ماهية السلام » شرطا جديدا لقبول اسرائيل بالاعتراف المصرى .

التصور الاسرائيلى للمبادرة المصرية :

تصورت المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل أن تحرك السادات نحو السلام هو قرار اليائس من حل الصراع سواء من خلال الحرب أو من خلال الوسائل الدبلوماسية . وقد عزت دوافع القرار الى ازمة الاقتصاد المصرى ، وتباطؤ الدول العربية النفطية فى المساعدة بالحجم والكيفية المطلوبة ، واحتمال انفجار الوضع الداخلى .

وطبقا لهــذا التصـــور ، فقد رأت اسرائيل أن تماطل حتى تتفاقم هذه العوامل ، ومن ثم تحصل فى النهاية على مزيد من التنازلات .

كما تصورت القيادة الاسرائيلية ، أن مظاهر التأييد الشعبى المصرى الســاحق لمبادرة السادات تعكس بدورها مؤشرات اليأس والضجر من الاستمرار فى حلبة الصراع ، ورغبة الشعب المصرى فى السلام بأى ثمن حتى يتفرغ لحل مشكلاته الداخلية .

كذلك فسرت القيادة الاسرائيلية الحملات الهجومية الاعلامية المتبادلة بين النظام المصرى ودول الرفض العربية ، على أن الطلاق العربى — المصرى يقترب من نهايته ، وأن التلويح بسيناء فى مقابل خروج مصر من الساحة العربية — سيكفل الوصول الى الطلاق البائن .

وتصـــورت القيادة الاسرائيلية أيضا أن السادات قامـــر بمستقبله السياسى باقدامه على مبادرة الســـلام ، فهو قد زاد من حنق الاتحـــاد السوفييتى عليه ، باستبعاده من الاســـهام فى التســـوية ، كما انه حرق جسوره الهامة مع القادة العرب ، ومع قطاعات شعبية عريضة فى العالم العربى ، فضلا عن نضب مورد السادات من السلاح ، مما لا يمكنه من أى خيارات عسكرية فى حالة تعثر السلام .

وحيث أن السادات قد فرغ صبره من الدبلوماسية التقليـــدية ومن الأمم المتحدة ، فهو شديد الحرص على احراز أى نجاح مهما صغر .

ومن ثم فليس أمامه الا ما تنعم به اسرائيل عليه . وهم لا يخالجهم أى شك فى أن تشددهم هو الذى أرغم السادات على الذهاب الى اسرائيل طلبا للصفح و « للغفران » . ويقول موشى شامير احد اقطاب كتلة ليكود « لقد حققت اسرائيل مكسبا كبيرا على صـــعيد الاعلام ، وعلى صـــعيد سياستها ، فها هو ذا أكبر زعماء العالم العـــربى يعترف علنا بالغلطة التاريخية للشعوب العربية فى حق اسرائيل ، ومن هذه الناحية ، فقد كان الرئيس المصرى بمثابة الحاج الذى جاء ليكفر عن الذنوب »(١) .

---

(١) معاريف الاسرائيلية ، فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٧ .

وخلاصـــة القول ، أن العناصر المؤثرة فى صنع القرار الاسرائيلى تعتقد ان السادات قد وضع مستقبله السياسى فى أيديهم .

وحيث أن قادة اسرائيل يعون تماما حجم التأييـــد العالمى للمبادرة سيما فى الولايات المتحدة وغرب أوروبا ، فانهم يعولون كثيرا على عـــامل الزمن لاضـــعاف او تحييـــد الرأى العام العالمى تجاه مبادرة السادات ، فنظرتهم عن الرأى العام العربى أنه متقلب لا يمكن شغله بقضية واحدة لمـــدة طويلة .

ويدخـــل ضمن التصورات الاسرائيلية ، اعتقاد قادة اسرائيل أن الزعماء العرب غير قادرين على رسم واحكام اية استراتيجية بعيـــدة المدى ، وحتى اذا نجحوا فى رسمها فهم غير قادرين على تنفيذها . ويسرى ذلك على قضايا الحرب وقضايا السلام ، والاستثناء الوحيد فى نظرهم هو حرب اكتوبر . ويعتقد قادة اسرائيل أن مبادرة السادات ليست جـــزءا من تخطيط استراتيجى محكم ، وانما هى تحرك محدود يمكن تحييـــده وتحويل مجريات الأمور لصالحهم .

صدى مبادرة السادات فى العالم العربى :

كانت لمبادرة السادات بزيارة اسرائيل فى نوفمبر عام ١٩٧٧ وقـــع المفاجأة الذى أحدث نوعا من الذهول لم يشهده العرب من قبل . فقـــد استقر فى نفوسهم أن هناك تناقضا اساسيا بينهم وبين اسرائيل لا يجدى معه التعايش السلمى ، .

اما على مستوى الأنظمة الحاكمة فى العالم العربى ، فقد انقسمت الى ثلاث فرق : المؤيدين ، والرافضين ، والصامتين . وكان الســـودان والمغرب وعمان من الفريق الأول ، بينما كانت سوريا والعراق وليبيـــا والجزائر واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية من الرافضين ، فى حين كانت السعودية والأردن ودول الخليج العربى وباقى الدول العربية من الصامتين وكانت اهم مبررات الأنظمة العربية الرافضة والصامتة هى : ان اسرائيل التى قامت بقوة السلاح لن يجدى معها الحوار او التعـــايش

السلمى الذى ينشده السادات ، سيما أن ميزان القوى لصالحها فى الوقت الحاضر ، وأن أية اتفاقية أو تسوية مع اسرائيل سوف تعكس تفوقها العسكرى ، وهو ما يعنى الاستسلام . ثم المخاوف التى تساور المشرق العربى من خطر قوة اسرائيل فى غياب مصر مما يعنى سيطرة اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا على مقدراتها . وكانت عروبة مصر والمسألة القومية أحد الاعتبارات الهامة ، فما زالت قضية الوحدة أمل الكثيرين فى العالم العربى وبخاصة المثقفون الذين يشعرون بأن فلسطين القضية ومصر المجتمع الرائد هما محور العمل الوحدوى . وتعنى التسوية مع اسرائيل زوال قضية فلسطين وغياب مصر عن الساحة العربية ، وفى غياب كليهما يتحول أمل الوحدة العربية الى سراب .

لكل هذه الاعتبارات الموضوعية ، يدين الرافضون والصامتون مبادرة السادات ، ويعتبرونها كارثة عربية قومية أدت الى مزيد من التمزق الساحة العربية ، واذكاء أوار الخلافات فيما بين الدول العربية .

وقد ساعدت مصر على تصعيد الخلافات العربية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بعض الدول العربية ، بدلا من اقامة جسور الحوار مع كل أجزاء العالم العربى ، وبمحاولات أجهزة الاعلام استعداء الرأى العام المصرى على العرب ، لقد قصرت استراتيجية التحرك المصرى عن اعداد الساحة العربية درءا للمفاجأة ، ثم يعود النظام المصرى وينحى باللائمة على العرب الذين ألجمهم هول المفاجأة سواء من الزيارة ، أو من التأييد المصرى الساحق والاستقبال الشعبى الحار للسادات عقب عودته من القدس .

الفصل الخامس

الاتفاق المصري الاسرائيلي وآثاره

في الطريق الى كامب ديفيد :

مؤتمر القاهرة التحضيري (اجتماع مينا هاوس) :

في ٢٦ من نوفمبر ١٩٧٧ وجه أنور السادات الدعوة لعقد مؤتمر القاهرة التحضيري الى كل من حكومة مصر واسرائيل والأردن وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، بالاضافة الى الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة . وقد حددت الدعوة الهدف من المؤتمر بأنه الاعداد لمؤتمر جنيف .

وقد حدد الموعد النهائي للمؤتمر في ١٤ ديسمبر ١٩٧٧ ، ولم شارك فيه سوى مصر واسرائيل والولايات المتحدة والأمم المتحدة ، واتفق على أن يراس المؤتمر رئيس وفد مصر .

وحيث أن المؤتمر لم يكن له جدول اعمال مسبق ، فقد حددت مصر رؤيتها لموضوعات البحث في النقاط الخمس الآتية :

١ ــ الانسحاب الكامل من الأراضي المصرية التي احتلت في حرب يونيو ١٩٦٧ .

٢ ــ اعتبار القضية الفلسطينية جوهر النزاع في الشرق الأوسط .

٣ ــ أن يكون الحل الشامل هو الاطار العام للمباحثات .

٤ ــ ايجاد تصور مشترك يكفل الأمن لجميع الأطراف .

٥ ــ ان تتصف خطوات المؤتمر بالمرونة التي تتيح انضمام اطراف اخرى في اية مرحلة من مراحل المؤتمر .

بينما اصر الوفد الاسرائيلي على ان يتركز البحث على مناقشة طبيعة السلام من خلال نصوص مقترحة لاتفاقية سلام بين اسرائيل والدول

العربية ، كما أنه رفض مناقشة أى مشروع آخر سوى طبيعة السلام ، وازاء تمسك كل من الوفدين المصرى والاسرائيلى بموقفه ، فقد انتهت أعمال مؤتمر القمة التحضيرى الى التجميد فى حين تم الاتفاق على عقد لقاء قمة بين السادات وبيجين .

ويلاحظ فى اجتماع مينا هاوس أن اسرائيل حاولت أن تفرض على المفاوضات المصرية الاسرائيلية قضية جديدة تتفق ومصالحها : هى « طبيعة السلام ومكوناته » . وقد نجحت محاولات اسرائيل فيما بعد فى تحقيق ما تريد .

وقبل أن ينعقد لقاء بيجين والسادات قام عزرا وايزمان وزير دفاع اسرائيل بزيارة خاطفة لمصر فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ بناء على طلبه وبينما اكتفى متحدث رسمى مصرى بالاشارة الى أن هذه الزيارة تتعلق بالاعداد لزيارة مناحم بيجين ومناقشة الترتيبات العسكرية مع وزير الدفاع المصرى ، فقد ذكرت بعض المصادر أن ويزمان عرض على السادات الخطوط الأساسية لمشروع بيجين للسلام الذى عرضه على الرئيس الأمريكى كارتر .

لقاء الاسماعيلية (٢٥ ، ١٩٧٧/١٢/٢٦) :

يعتبر لقاء الاسماعيلية نقطة تحول فى مساعى التسوية حيث شهد هذا اللقاء لأول مرة ، قيام اسرائيل بتقديم مشروع محدد للسلام ، كما تم تحديد نقاط الخلاف بين الجانبين بدقة ووضوح . ولكن تعذر صدور بيان مشترك عن اللقاء لاتساع هوة الخلافات بين الجانبين نتيجة لتشدد بيجين الواضح .

وبعد انتهاء لقاء الاسماعيلية ، ألقى بيجين أمام الكنيست الاسرائيلى فى ١٩٧٧/١٢/٢٨ النصوص الكاملة لمشروع « بيجين للسلام » .

وقد تضمن المشروع بوجه عام مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة وقواعد التسوية مع مصر . وقد وردت النقاط الأساسية فى مشروع بيجين للسلام فى اتفاقيتى كامب ديفيد ، اذ اقترح المشروع تشكيل حكم ذاتى

ادارى لسكان الضفة الغربية وغزة ، مع النص على تمسك اسرائيل بسيادتها عليهما . أما فيما يتعلق بالتسوية مع مصر ، فقد عرض المشروع تجريد مناطق معينة من سيناء من السلاح ، والا يجتاز الجيش المصرى الممرات ، وضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران .

وبوجه عام ، فقد أسفر لقاء الاسماعيلية عن تكوين لجنتين مشتركتين احداهما سياسية والأخرى عسكرية .

زيارة كارتر لأسوان :

حرص المسئولون الأمريكيون بعد لقاء الاسماعيلية على تحديد الدور الأمريكى فى مشكلة الشرق الأوسط بأنه وساطة لا مشاركة تهدف الى تشجيع الأطراف المعنية على الوصول الى تفاهم فيما بينها .

وكانت قد حدثت تطورات غير مواتية نتيجة اعلان كارتر رفضه لفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وتأييده بقاء قوات اسرائيلية فى الضفة الغربية بعد اتفاق السلام ، ومهاجمته منظمة التحرير الفلسطينية ووصفه اياها بالانعزالية ، وقد صرح السادات بأن هذه التصريحات الأمريكية اصابته بخيبة امل . وقد أبلغ وزير الخارجية المصرية السفير الأمريكى رسميا رأى مصر فى هذه التصريحات ، والذى يتلخص فى التمسك بضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية وقطاع غزة وتصفية المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة فى أسرع وقت ممكن . ولتنقية جو الخلافات ، اعلن الرئيس كارتر عن استعداده للقيام بزيارة سريعة لمصر ضمن جولته للتفاهم مع السادات . وقد استقبله السادات فى أسوان صباح ٤ من يناير ١٩٧٨ وهو فى طريقه من السعودية الى فرنسا .

وفى نهاية لقاء استغرق ساعتين ، ألقى كارتر كلمة لخص فيها المبادىء الأساسية للتوصل الى سلام عادل ودائم من وجهة نظره ، وهذه المبادىء هى :

١ — يجب أن يكون هناك انسحاب اسرائيلى من أراض احتلتها عام ١٩٦٧ ، واتفاق على حدود آمنة ومعترف بها لجميع الأطراف فى اطار علاقات طبيعية وسلمية .

٢ — يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ويجب الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتمكين الفلسطينيين من المشاركة فى تقرير مستقبلهم .

وجدير بالملاحظة ان كارتر لم ينص فى هذه التصريحات على الانسحاب الشامل، كما أنه لم يعدل عن معارضته لفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة، كذلك اتخذت الادارة الأمريكية للمرة الأولى موقفا معلنا من مستقبل القدس يقترب كثيرا من الموقف الاسرائيلى .

وبذا يمكننا القول أنه لم تطرأ عناصر ايجابية فى الموقف الأمريكى ، وأن العنصر الايجابى الوحيد هو التصريح الأمريكى بعدم مشروعية اقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة ، ومعارضة هذا العمل القانون الدولى .

اجتماع اللجنتين العسكرية والسياسية :

بدات أعمال اللجنة العسكرية فى ١١ يناير ١٩٧٨ فى القاهرة ، بينما تأجل انعقاد اللجنة السياسية فى القدس بسبب عدم الاتفاق على جدول الأعمال .

وبالنسبة للجنة العسكرية ، فقد قدم كل من الجانبين المصرى والاسرائيلى مشروعا خاصا يتضمن خطة ومراحل الانسحاب من سيناء والخطوط التى تنسحب اليها القوات الاسرائيلية فى كل مرحلة ، وأوضاع قوات الطرفين والأمم المتحدة فى المناطق المختلفة بالاضافة الى وضع المستعمرات والمنشآت الاسرائيلية . ولكن تعذر الاتفاق حول مسائل جوهرية مثل المستوطنات والحدود الدولية مما أدى الى قطع المباحثات وعودة الوفد الاسرائيلى الى بلاده للتشاور مع حكومته .

وبعد طول مشاورات اجتمعت اللجنة السياسية فى القدس فى ١٦ يناير ١٩٧٨ ، وحضر اجتماعاتها سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية ، وقد افضى الخلاف حول مشروع اعلان المبادىء الذى تقدمت به مصر الى تفجير المحادثات ، واتخاذ السادات قرارا بعودة الوفد المصرى . وقد

احتوى المشروع المصرى على خمســـة بنود اساسية هى : الانســحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى العربية المحتلة ، وضمان ســلامة الأراضى والاستقلال السياسى لكل دولة ، والاحترام حق جميع الدول فى المنطقة فى السيادة ووحدة أراضيها ، وتحقيق تسوية عــادلة للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها على أساس حق تقرير المصير ، وانهاء دعاوى الحــرب واقامة علاقات سلمية .

ولكن اسرائيل رفضت المقترحات المصرية فيما يختص بالانســحاب والمشكلة الفلسطينية . وتوسطت الولايات المتحدة بين الطرفين لاستئناف المحادثات ، غير أن جهودها باءت بالفشل .

وازاء هذا الموقف ، لم تجد الولايات المتحدة بدا من بقاء الفــريد اثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية فى المنطقة للعمل على تقــريب وجهتى نظر الجانبين . كذلك وجه كارتر دعوة للسادات لزيارة الولايات المتحدة للتشاور وابداء الرأى . وقد نجح كارتر أثناء زيارة الســادات فى الحصول على وعد منه بالعمل على استئناف المفاوضات .

وعلى الرغم من ظهور بعض النقاط الايجابيــة فى الموقف الأمريكى مثل النص على أنه لا يمكن تحقيق السلام الدائم العادل دون حل المشكلة الفلسطينية ، والتوصل الى تسوية على أساس جميع مبادىء القرار رقم ٢٤٢ ، وعدم شرعية الاستيطان الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة ، فقـــد استمر الموقف الأمريكى السلبى حيال التعنت الاسرائيلى ، ممــا قلل من قوة دفع السلام فى المنطقة ، وحتم العودة مرة أخرى الى رحلات الوساطة بين مصر واسرائيل . وقد حققت رحلات الوسيط الأمريكى الفريد أثرتون نجاحا نسبيا فيما يتعلق بالمحافظة على قوة الدفع فى عملية الســلام ، بينما اخفقت تماما فى محاولة تقريب وجهــــات النظر فيما يتعلق باعلان المبـــادىء .

ادى التشدد الاسرائيلى الى احساس السادات بالخطر الداهم على المبادرة ، وارتسمت امام ناظريه احتمالات اخفاقها ، فهــداه تفكيره الى

ابتداع وسيلة يشغل بها الرأى العام المصرى ويسكت أصوات المعارضة فلجأ الى الاستفتاء الشعبى الذى لا يكلفه مشقة أو عناء فضلا عن نتيجته المضمونة سلفا . وطرح السادات استفتاء الشعب فى مايو ١٩٧٨ ، انصب فقط على صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى وحل الأحزاب التى يديرها من أفسدوا الحياة السياسية قبل الثورة .

شعرت الولايات المتحدة بسوء موقف السادات فسارعت الى العمل على استئناف المباحثات . وكللت مساعيها بالنجاح ، فقد اجتمع فى يوليو سنة ١٩٧٨ فى قلعة ليدز ببريطانيا وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة . ولأول مرة طرح موشى ديان وزير خارجية اسرائيل ، نظرية الفصل بين الأرض والسكان .

وقد بنى نظريته على أساس أن يهودا والسامرة (الضفة الغربية) أرض اسرائيلية ، أما العرب الفلسطينيون الذين يعيشون فيها فينطبق عليهم الحكم الذاتى الادارى فقط ، حيث يتمتع اليهود بحقوق مماثلة لحقوق العرب تماما ، فلهم حق استيطانها مثلهم . وبالنسبة لمضمون الحكم الذاتى الادارى فهو لا يعدو اختصاصات المجالس البلدية مع تكوين شرطة محلية عربية ، وتحديد فترة انتقالية تزيد على خمس سنوات .

الا أن محمد ابراهيم كامل ، وزير خارجية مصر ، فند آراء موشى ديان ، وطرح مفهوما آخر للحكم الذاتى واكد أن القدس الشرقية تشكل جزءا من الضفة الغربية وتنطبق عليها المفاوضات .

ونظرا لتباين وجهتى نظر الطرفين واتساع شقة الخلافات ، فقد انتهت محادثات ليدز الى الاخفاق . وقد أدى ذلك الى أن يهاجم السادات بيجين علنا فى خطاب ٢٦ يوليو ١٩٧٨ ، اذ حمله مسئولية عرقلة السلام .

وفى نفس الوقت حاول السادات أن يحرك عجلة السلام دوليا ، فالتقى فى النمسا فى ٢ يوليو سنة ١٩٧٨ بالمستشار النمسوى برونو

كرايسكى ، وشيمون بيريز ، زعيم حزب العمل الاسرائيلى ، وزعماء الاشتراكية الدولية .

وقد انفض هذا اللقاء عن وثيقة تضمنت ثلاثة مبادىء لاقامة سلام دائم بين العرب واسرائيل كان اهمها : ارتكاز السلام فى الشرق الأوسط على علاقات طبيعية وودية تنشأ بين دوله ، بما فى ذلك اقامة نظام اقليمى جديد للعلاقات ينهض على التعاون الوثيق . وقد أكدت هذه الصيغة اولوية طبيعة السلام على ما عداه من مسائل الانسحاب وقضية فلسطين ، وهو ما يؤيد الصيغة الاسرائيلية .

وقد شهدت الفترة المتبقية من صيف سنة ١٩٧٨ تردد القيادة المصرية بين المضى فى المبادرة والعودة الى الصف العربى ، خاصة بعد أن أخفقت المساعى المصرية فى اقناع الملك حسين بالعمل مع مصر بهدف تسهيل المحادثات الخاصة بالضفة الغربية ، كذلك محاولات رأب الصدع بين مصر والدول العربية سيما دول المواجهة .

وقد حسم الرئيس الأمريكى كارتر هذا التردد بغية منع مصر من العودة الى الصف العربى ، فقرر دعوة السادات وبيجين الى مؤتمر قمة ثلاثى فى كامب ديفيد .

كيف تم التوصل الى اتفاق فى كامب ديفيد ؟

انعقد المؤتمر الثلاثى فى كامب ديفيد فى الفترة من ٥ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨ . وفى جلسة المؤتمر الافتتاحية يوم ٦ سبتمبر قرأ السادات خطابا تضمن وجهة النظر المصرية بشأن اطار التسوية الشاملة ، وكان أهم ما جاء فيه ما يلى :

١ — يوافق الطرفان على أن اقامة سلام عادل ودائم يتطلب :

(أ) انسحاب اسرائيل من كافة الأراضى المحتلة وفقا لمبدأ حظر الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب .

(ب) يكون اجلاء المستوطنات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة وفقا للوقت الذى يتم الاتفاق عليه .

(جـ) يكون ضمان الأمن والسيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى لكل دولة عن طريق الترتيبات الآتية :

● اقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا جانبى الحدود .

● وضع قوات تابعة للأمم المتحدة على كلا جانبى الحدود .

● وضع أجهزة للانذار المبكر بشكل تبادلى .

● اشتراك كافة الأطراف الموقعة على هذه المعاهدة فى منع انتشار الأسلحة النووية والتزام جميع الأطراف بعدم انتاج أو الاحتفاظ بالأسلحة النووية

● تطبيق مبدأ حرية الملاحة فى مضايق تيران .

● اقامة علاقات من التعاون والسلام وحسن الجوار بين الطرفين

(د) تلتزم جميع الأطراف بألا تستخدم التهديد باستعمال القوة ، أو استخدام القوة فى تسوية المنازعات فيما بينها ، وأن تحل جميع المنازعات بالوسائل السلمية وفقا للمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

(هـ) يتم الغاء الحكم العسكرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة عند التوقيع على معاهدة السلام ، ويتم نقل السلطة الى الجانب العربى بشكل منظم وبالوسائل السلمية . وسوف تكون هناك فترة انتقال لا تزيد على خمس سنوات تبدأ من يوم التوقيع على الاطار الشامل ، وقبل ستة أشهر من نهاية الفترة الانتقالية يمارس الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير المصير ، ويمكنه أن يقيم كيانه الوطنى .

(و) تنسحب اسرائيل من القدس الى حدود الهدنة التى كانت قائمة عام ١٩٤٩ . وتعاد السيادة العربية والادارة العربية الى مدينة القدس العربية . وتتم اقامة مجلس بلدى مشترك ، يتم تشكيله من عدد متساو من الفلسطينيين والاسرائيليين . وطالب السادات اسرائيل بدفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن الحرب ، التى حاقت بالسكان والمنشآت المدنية ، ولقاء المصادر الطبيعية التى تم استغلالها فى الأراضى المحتلة .

ثم وعـــد الســـادات بالاعتراف الكامل باسرائيل وبانتهاء المقاطعة العربية لها ، وضمان حريتها فى الملاحة دون قيد فى قناة السويس .

أثارت مقترحات السادات غيظ بيجين وسخطه ، ولكنه كتم غيظه . وانتهت الجلسة الافتتاحية على أمل أن يعد بيجين رده على المقترحات المصرية فى أقرب وقت . كما أن كارتر احال وثيقة السادات الى وزير الخارجيـــة الأمريكية والى مساعد الرئيس لشئون الأمن القومى لاعداد رد الولايات المتحدة عليها .

وفى صباح اليوم التالى الموافق ٧ من سبتمبر ، عقد الوفد الاسرائيلى اجتماعا لمناقشة المقترحات الاسرائيلية المضادة التى تم اعدادها فى الليلة الماضية ، وبعد مناقشات طويلة تمت الموافقة عليها . ثم اجتمع الوفدان الاسرائيلى والأمريكى حيث طـــالب وزير الخارجيـــة الأمريكية بايقـــاف الاستيطان الاسرائيلى فى الضـــفة الغربية وقطاع غزة ، وتحديد عـــدد المستوطنات وعدد المستوطنين ، مع البدء فى تنفيذ ذلك فورا . وقد رفض موشى ديان ، وزير الخارجية الاسرائيلية ، مقترحات « فانس » بكاملها ، وانفض الاجتماع دون اى نجاح . ولم يكن الاجتماع الثلاثى المنعقـــد بين كارتر والسادات وبيجين باسعد حظا منه . ثم اصطدمت جلسة المساء بين الرؤساء الثلاثة باصرار بيجين على الابقاء على المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء بدعوى انها تشكل حزام أمن يحمى اسرائيل . كما أعلن بيجين رفض ايقاف عملية الاستيطان فى الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ولو ادى ذلك الى الاصطدام بالولايات المتحدة .

وفى نحو الحادية عشرة من مساء يوم ٧ من سبتمبر ، عقـــد اجتماع بين الوفدين المصرى والأمريكى ، وقـــد بين الرئيس كارتر أن المشـــكلة الرئيسية فى سيناء هى مشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية المقـــامة عليها ، ووجود تعـــارض واضـــح بين موقفى مصر واسرائيل . ثم تكلم الســـادات فقال « ان هناك موضـــوعين أساسيين لا يمكن بأى حال من الأحوال التنازل عنهما وهما الأرض والسيادة » .

وبعد ان انهى السادات كلامه ، عاد الرئيس كارتر يقول « انه اثناء

الخلافات الجوهرية بين مصر واسرائيل حول الضفة الغربية وغزة فانه ينوى التقدم بمشروع أمريكى للتسوية يقوم على فكرة الحكم الذاتى وانه يمكن تأجيل القضايا الأساسية التى تتعلق بالسيادة على الضفة وغزة لمناقشتها فى نهاية الفترة الانتقالية ، كما أن مشروع بيجين مشروع طيب لفترة انتقالية ..... وانه اذا لم يمكن اشتراك الأردن فى أعمال الفترة الانتقالية ، فانه يأمل أن تشترك مصر فى أعمال هذه الفترة ، وأن يكون لها وجود فى الضفة والقطاع » .

« وأضاف الرئيس الأمريكى : ان مشروعه لن يخوض فى التفاصيل ، وسوف يكتفى بالخطوط العريضة للتسوية »(١) .

ثم تكلم محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية المصرية ، عندما طلب منه كارتر الحديث فقال : اننا نرفض مشروع الحكم الذاتى الذى قدمه بيجين فى الاسماعيلية كأساس للتسوية . كما شجب تأجيل بحث السيادة على الضفة الغربية وغزة باعتبار أنها غير واضحة ، وأصر على أن « يعكس المشروع الأمريكى مواقف الولايات المتحدة الرسمية المعلنة بشأن النزاع وهى : الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة مع امكانية اجراء تعديلات طفيفة أو غير مؤثرة فى الضفة الغربية فقط اذا اتفق عليها ، وعدم شرعية المستوطنات ، وحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة أو التعويض ، وعدم الاعتراف بضم القدس العربية ، وأخيرا صيغة أسوان التى صاغها الرئيس كارتر بنفسه لحل القضية الفلسطينية »(٢) .

ثم عقد الجانبان الأمريكى والاسرائيلى فى يوم الأحد الموافق العاشر من سبتمبر اجتماعين أحدهما بعد الظهر ، وقد عرض فيه كارتر المقترحات الأمريكية ، والآخر فى المساء لمناقشة تلك المقترحات .

وفى الاجتماع الأول ، كان القسم الأكبر من مقترحات كارتر يتناول مسائل الضفة الغربية وغزة والفلسطينيين والحكم الذاتى والقدس ،

---

(١) محمد ابراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ص ٥٠٥ — ٧ .
(٢) نفس المصدر ص ص ٥١١ — ٣ .

والقسم الأصفر لسيناء . وقد استبعد كارتر بحث قضـــية السيادة على الضفة الغربية وغزة فى كامب ديفيـــد ، على حين علق آمالا على امكانية التوصل الى اتفاق بشأن المستوطنات الاسرائيلية والانسحاب من سيناء . وقد تجنب المشروع الأمريكى قضية انسحاب اسرائيل الكامل من الضـــفة الغربية ، وبنى التسوية على أساس مشروع الحكم الذاتى الاسرائيلى ، فى حين ضمن لاسرائيل حرية الملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس ، وحرية الحركة عبر حـــدود البلدين (مصر واسرائيل) ، وعـــدم تقسيم القدس ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية والتجارية ، وضمانا ضد حشد أى قوات هجومية مصرية فى سيناء خلف ممرى متلا والجدى .

وقد كان أهم النقاط التى اعترض عليها بيجين فى المشروع الأمريكى ، صياغة الفقرة الواردة فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ والتى تنص على عدم جواز حيازة الأراضى عن طريق الحرب .

وقد انفض الاجتماع لكى يقوم الوفد الاسرائيلى بداسة المقترحـــات الأمريكية دراسة عميقة مستفيضة .

وقد انعقد الاجتماع الثانى فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم واستمر حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى . وفى بداية الاجتماع وجه بيجين حديثه الى الرئيس الأمريكى قائلا « نحن نقدر ما بذلتموه من جهد ، ولكن لدينا بعض الاقتراحات بادخال بعض التعديلات . وسوف نتقدم فى الغد ردنا على الوثيقة المصرية . وسوف نقدم الآن ردنا على مقترحاتكم فقرة فقرة » .

ثم أخذ المدعى العام الاسرائيلى يتناول المقترحات فقرة فقرة ، مبتدئا بحذف كل الاشارات الى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . وقد قاطع كارتر المدعى الاسرائيلى قائلا « ان الوقت لا يسمح لنا باللف والدوران . ولو كنتم قد سحبتم موافقتكم على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، لمـــا كنت قد دعوتكم الى كامب ديفيد ، ولمـــا كنت قد دعوت لعقد هذه الجلسة » .

« وأجاب بيجين : اننا لا نعتبر القـــرار ، بما فى ذلك ديباجته ملزما

فى حد ذاته . وقد كان ذلك موقفنا طوال الأحد عشر عاما الماضية » ويقول كارتر « كان هذا الادعاء بالنسبة لى مجرد ستار لرفض الوثيقة الوحيدة التى ترتكز عليها الجهود الرامية الى اقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وقد وافقت اسرائيل وجميع اعضاء الأمم المتحدة تقريبا عليها بأكملها »(١) .

وقد تناول كارتر فى حديثه أهمية مناقشة مسألة الحقوق القومية للفلسطينيين بما فى ذلك حقهم فى تقرير المصير ، واقترح تجميد عملية اقامة المستوطنات ، وانسحاب اسرائيل من المستوطنات والمطارات القائمة فى سيناء ، وأن تبقى قوات جيش الدفاع الاسرائيلى فى الضفة الغربية فترة تزيد على خمس سنوات .

وقد رفض الوفد الاسرائيلى مقترحات كارتر فيما عدا ما يختص ببقاء قوات جيش الدفاع الاسرائيلى فترة تزيد على خمس سنوات(٢) .

وفى نحو التاسعة من صباح اليوم التالى ، سلم الوفد الاسرائيلى الجانب الأمريكى رد اسرائيل على مقترحات كارتر . وكان الرد الاسرائيلى يتضمن الانسحاب من سيناء على أن تظل المستوطنات والمطارات الاسرائيلية القائمة فى الشمال الشرقى وجنوب وشرق سيناء تحت السيطرة الاسرائيلية .

أما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة فقد اكد الاسرائيليون عدم انسحابهم من تلك الأراضى . وبعد أن فرغ كارتر من قراءة الرد الاسرائيلى على مقترحاته أحس بعدم الرضا . ثم اجتمع بالسادات فى صباح الحادى عشر من سبتمبر حيث استمع الى تعليقه على الرد الاسرائيلى « اذا كان ذلك هو موقف اسرائيل النهائى ، فليس هناك ما يمكن أن نفعله هنا » . وكان السادات يريد أن يتم انسحاب جميع الاسرائيليين من سيناء فى مدى عامين . وهاجم السادات أيضا الموقف الأمريكى الذى تمثل فى المقترحات الأخيرة .

---

(١) كارتر ، مذكرات رئيس ، ص ٣٧٣ — ٥ .

(٢) ايتان هابر وآخران ، حدث فى كامب ديفيد (مترجم) ، ص ص ٥٨٦ — ٧ .

وقد تم فى هذا الاجتماع الاتفاق بين كارتر والسادات على استثناء القدس من المحادثات . ومن التنازلات التى قدمها السادات الى كارتر ، تقديم موعد تطبيع العلاقات مع اسرائيل وارجاء تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية . ولكن كان موضوع الضفة الغربية وغزة هو الذى يشكل الصعوبة الحقيقية فى التوصل الى اتفاق على اطار للسلام الشامل .

ويعقب محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية المصرية الأسبق ، على المشروع الامريكى قائلا : « ولم ينص المشروع الأمريكى على الانسحاب من سيناء ولا على الانسحاب من الضفة مع تعديلات طفيفة . كما انه لم يشر الى الانسحاب من القدس العربية ، ولا هو تضمن اشارة الى مصير المستوطنات ، سواء فى سيناء أو فى الضفة الغربية وغزة » . « ويعطى المشروع لاسرائيل دورا رئيسيا وسلطات واسعة فى الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية ، بينما يجعل دور مصر والأردن ثانويا فيهما ، بل ويكاد يقتصر على توفير الحماية لاسرائيل . كما لم يعالج المشروع موضوع عودة اللاجئين والنازحين معالجة مؤثرة ، وجعل ترتيبات الأمن لاسرائيل وحدها ، وليس للأطراف جميعا » .

وعلى الرغم من التنازلات التى قدمها السادات ، لم يبد الاسرائيليون المرونة اللازمة لانجاح المؤتمر . وهنا أدرك السادات أن مفاوضات كامب ديفيد قد وصلت الى طريق مسدود ، وفى يوم ١٥ سبتمبر قرر السادات الانسحاب من مؤتمر كامب ديفيد والسفر الى واشنطن للاجتماع بلجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس ، ثم عقد مؤتمر صحفى والتحدث فى التليفزيون لتوضيح ما حدث ثم العودة الى مصر .

ويقول محمد ابراهيم كامل « ان السبب فى ثورة السادات وتفكيره فى مغادرة كامب ديفيد هو انه أدرك انه قدم تنازلات كثيرة بالنسبة الى الضفة الغربية وغزة تحت الحاح الرئيس الأمريكى أو استجابة لوعوده المعسولة فى تحقيق تسوية شاملة فى النهاية . ثم تبين له أن صديقه والشريك الكامل قد عجز تماما عن استخلاص اى مقابل لما تنازل عنه من مناحم بيجين ، وافاق على الواقع المزرى الأليم ، وهو أن سيناء ليس

هناك ما يضمن له أن يستعيدها خالية من المستوطنات والمطارات . فيكون بذلك قد خيب آمال المصريين بعد أن خسر العرب وخرج من المولد صفر اليدين » .

ولكن بعد زيارة كارتر للسادات تغير الوضع تماما وهدأت ثورة السادات ، وبدت على سمات وجهه أمارات السرور والفخر ، واستدعى أعضاء الوفد المصرى حيث بادرهم بقوله « ان الرئيس كارتر رجل عظيم ، وذو ذكاء خارق ، لقد حل المشكلة ببساطة شديدة ، وأرضانى تماما » . وتساءل الوفد المصرى : كيف ؟

« قال : لقد قال انى أستطيع ان أعلق الالتزام بأى اتفاق نوقع عليه على موافقة المؤسسات الدستورية فى مصر واسرائيل ، أى مجلس الشعب عندنا والكنيست فى اسرائيل ، بحيث اذا رفضه كلاهما أو احدهما ، فان جميع ما اشتمل عليه الاتفاق من التزامات على الجانبين يسقط ويصبح غير ملزم لنا فى أية مفاوضات مستقبلية » .

وعندما سأل محمد ابراهيم كامل عن ماهية الاتفاق الذى سيتم التوقيع عليه ، اجاب السادات « سأوقع على أى شىء يقترحه الرئيس كارتر دون أن أقرأه » . ثم غادر المكان الى استراحته(١) .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ١٦ من سبتمبر ، قصد محمد ابراهيم كامل استراحة السادات وأوضح له أن الاتفاقية طبقا للمشروع الأمريكى لن تؤدى الى حل شامل ، بل ستنتهى الى صلح منفرد بين مصر واسرائيل مما سيؤدى الى عواقب وخيمة ، اخطرها عزل مصر وانعزالها عن العالم العربى . ولكن السادات نسى أن يكون ذلك صلحا منفردا طالما انه ملتزم بأن يقوم بدور فى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة السنوات الخمس الانتقالية وحتى تحل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها .

---

(١) محمد ابراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ص ٥٧٦ — ٥٨١ .

ولما بين محمد ابراهيم كامل أنه بنى مبادرته على أساس الحل الشامل ، وطلب منه أن يعيد النظر فى توقيع الاتفاقية ، وأن يعود الى مصر ، ويجرى مشاورات مع الدول العربية ، رفض السادات طلبه واصر على المضى فى مبادرته الى النهاية . وهنا لم يجد محمد ابراهيم كامل مفرا من تقديم استقالته ، وكان رد السادات « اذا كان هذا يريحك فانى أقبل استقالتك ، وكل ما اطلبه منك الا تخبر احدا بأمرها حتى نعود الى مصر » . فوعده محمد ابراهيم كامل بأن يفعل ذلك(١) .

وقد توصل الرئيس كارتر ، بعد عدة اجتماعات عقدها مع الوفدين المصرى والاسرائيلى ، الى حل مشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية فى سيناء ، ولم تبق سوى مشكلة صياغة الخطابات النهائية الثلاث ، التى حسمها كارتر يوم ١٧ سبتمبر ، وفى ذلك يقول « كنا جميعا منهمكين تماما ، ولكن فجأة وجدت تفكيرى يصفو ، وعثرت على طريقة لصياغة الخطابات النهائية الثلاثة كلها بشكل يرضى كل من السادات وبيجين » .

« وعندئذ فقط ، ادركت اننا قد نجحنا »(٢) .

واخيرا انتهى مؤتمر كامب ديفيد الى وثيقتين : الأولى وتشمل اطار السلام فى الشرق الأوسط ، والثانية وتتضمن اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل .

اتفاقيتا كامب ديفيد :

الاتفاقية الأولى : اطار السلام فى الشرق الأوسط وتشتمل على مقدمة استرشادية ، ونظام اقرار مبدأ الحكم الذاتى للضفة الغربية وقطاع غزة ، وشكل وطبيعة السلام المتوقع بين مصر واسرائيل ، كذلك بين اسرائيل والأردن وسوريا ولبنان .

القسم الأول من الاتفاقية الأولى :

١ — الضفة الغربية وقطاع غزة :

نص على انه ينبغى ان تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو

(١) محمد ابراهيم كامل ، نفس المصدر ، ص ص ٥٩١ — ٥٠ .
(٢) كارتر ، المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية . ولتحقيق هذا الهدف ، فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ينبغى أن تتم على ثلاث مراحل :

(أ) لضمان نقل منظم وسلمى للسلطة ، يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات . ويتم فى تلك الفترة حكم ذاتى كامل للفلسطينيين فى الضفة والقطاع قائم على الانتخاب الحر ، وانهاء الحكم الاسرائيلى العسكرى والمدنى فورا بمجرد انتخاب سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى التى تحل محل الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والأردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ... وقد يضم مصر والأردن وفلسطينيين ، وتتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتى . ثم تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية مع بقاء بعض هذه القوات فى مواقع أمن معينة ، وتشكل قوة شرطة محلية من الفلسطينيين وقد تضم مواطنين أردنيين ، وتعين دوريات مشتركة من قوات أردنية واسرائيلية لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) تقوم سلطة حكم ذاتى « مجلس ادارى » فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن دون أن يتأخر عن العام الثالث من بداية الفترة الانتقالية . وبحلول نهاية الفترة الانتقالية يتم الاتفاق فى المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائى لهما ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن . كما يجرى انعقاد لجنتين منفصلتين تتكون احداهما من ممثلى مصر واسرائيل والأردن والفلسطينيين فى الضفة وقطاع غزة للتفاوض على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتها بجيرانها . وتتكون اللجنة الثانية من ممثلى اسرائيل وممثلى الأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن .

(د) اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها .

(هـ) تشكل ، خلال الفترة الانتقالية ، لجنة مشتركة من ممثلى مصر والأردن واسرائيل وسلطة الحكم الذاتى وتقرر صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة فى عام ١٩٦٧ .

(و) تتعاون مصر واسرائيل مع الأطراف الأخرى لوضع اجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والدائم لحل مشكلة اللاجئين .

القسم الثانى من الاتفاقيــة الأولى :

٢ — مصر واسرائيل :

وتتعهد فيه كل من مصر واسرائيل بعدم اللجوء الى التهديد بالقــوة او استخدامها لتسوية المنازعات ، وتتفقان على التفاوض باخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام خلال ثلاثة اشهر من توقيع هذا الاطار .

كما حدد المبادىء المرتبطة حيث نص على « أن المبادىء والنصوص المذكورة ادناه ينبغى أن تطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وكل من مصر والاردن وسوريا ولبنان .

« وعلى الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التى فى حالة سلام . . . على أن تشتمل الخطوات التى تتخــذ فى هذا الشأن على :

(أ) اعتراف كامل .

(ب) الغاء المقاطعات الاقتصادية .

(جـ) الضمان فى أن يتمتع المواطنون فى ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية فى اللجوء للقضاء » .

كذلك فقد اوجب على الموقعين استكشاف امكانات التطور الاقتصادى فى اطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة فى صنع جو الســـلام والتعاون والصداقة .

الاتفاقية الثانية : اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل

وقد جاء فى الديباجة « نوافق مصر واسرائيل من أجل تحقيق السلام بينهما على التفاوض بحسن نية بهدف توقيع معاهدة الســـلام بينهما فى غضون ثلاثة اشهر من توقيع هذا الاطار » .

وقد أشار الى أن هدف المفاوضات هو وضع الخطوات التنفيذية للمبادىء الآتية :

(أ) الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب .

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء فى مدة ٢ — ٣ سنة .

(جـ) استخدام المطارات التى يتركها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط .

(د) حق المرور الحر للسفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ ، وتعتبر مضايق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على أن تفتح امام كافة الدول الملاحة أو للطيران دون اعاقة أو تعطيل .

(هـ) انشاء طريق بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والأردن .

تتمركز القوات العسكرية كما يلى :

(أ) تتمركز فرقة واحدة ميكانيكية أو مشاة فقط من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة ٥٠ كم شرقى خليج السويس وقناة السويس .

(ب) تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة داخل المنطقة التى تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة فى مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ — ٤٠ كم .

(جـ) أن تتواجد فى المنطقة فى حدود ثلاث كيلومترات شرق الحدود الدولية قوات اسرائيلية محدودة لا تتعدى أربع كتائب مشاة ومراقبين من الأمم المتحدة .

كما تلحق وحدات دوريات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالشرطة المدنية للمحافظة على النظام فى المنطقة التى ام تذكر آنفا ، وتتمركز قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران ، ولا يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن على مثل هذا الابعاد باجماع الأعضاء الخمسة الدائمين (٣)

وبعد توقيع اتفاقية سلام وبعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل .

الانســحاب المؤقت :

تنسحب جميع القوات الاسرائيلية خلال فترة تتراوح من ٣ الى ٩ أشهر بعد توقيع اتفاقية السلام شرقى خط يمتد من نقطة تقع شرق خــط العريش الى رأس محمد .

تحليل اتفاقيتى كامب ديفيد :

كان الهدف الرئيسى للســادات هو انســحاب اسرائيل من ســيناء ، لذلك لم يحفل كثيرا بمصير الضفة الغربية وقطاع غزة . فقد خلت الاتفاقية الأولى من نص يحرم انشاء المستوطنات اليهودية خلال الفترة الانتقالية ، كما لم يحدد اتفاق اطار السلام فى الشرق الأوسط موضوعين اثنين هما : موضوع القدس وموضوع السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد ترك موضوع القدس جانبا ، على أن يحدد كل طرف موقفــه فى خطاب يلحق بالاتفاق . كما أن السادات أرسل رســالة الى الرئيس كارتر بتاريخ ٢٢/٩/ ١٩٧٨ حول القدس تتضمن ما يلى :

١ ــ تعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية .

٢ ــ أن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .

٣ ــ أن من حق الســكان الفلسطينيين فى القدس ممارســة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة .

أما فيما يختص بترتيبات المرحلة الانتقالية لتوفير الحكم الذاتى من جهة ومراعاة أمن جميع الأطراف التى يشملها النزاع من جهة أخرى ، فيلاحظ طول مدة الفترة الانتقالية ، كذلك تقليص سلطة الحكم الذاتى ، التى مــا هى الا مجلس ادارى يقوم فى الضفة الغربية وغزة .

وبالنسبة للأمن فقد انصب أساسا على توفير الأمن لدولة اسرائيل ، حيث تبقى قوات اسرائيلية فى مواقع أمن معينــة ، كذلك فان الاتفاقية المفترض أن تسفر عنها المفاوضات بين الأطراف المختلفة تتضمن أيضــا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام . هذا بالاضــافة

الى اشتراك القوات الاسرائيلية والأردنية فى دوريات مشتركة وفى تقـــديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

وتفترض الاتفاقية الأولى انضمام الأردن والفلسطينيين فى مراحـــل تالية لمناقشة الترتيبات الانتقالية وللتفاوض بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتى ، اما فى المرحلة الأولى فان الاتفاق يعقـــد بين مصر واسرائيل فقط .

ويضع الاتفاق شكل الســـلام المتوقع بين اسرائيل ومصر والأردن وسوريا ولبنان على الرغم من أن الدول الثلاث الأخيرة ليست طـــرفا فى الاتفاق . وغنى عن الذكر أن اسرائيل فى حـــالة الانســـحاب الجزئى من الضفة الغربية لا ترغب حسب مضمون الاتفاقية فى قيام سلطة فلسطينية كاملة بل تريد احلال السيادة الأردنية فى الأجزاء التى تنسحب منها .

والغريب حقا أن الاتفاقية الأولى قـــد شـــخصت طبيعة العلاقات الجديدة بين اسرائيل وجيرانها ومنها مصر ، اذ قامت بتحديد الواجبـــات بأنها الاعتراف الكامل وايقاف المقاطعة الاقتصادية ومنح الحماية القانونية للمواطنين الاسرائيليين دون التزام من جانب اسرائيل .

أما الاتفاقية الثانية فقد أقرت سيادة مصر الكاملة على سيناء حتى الحـــدود الدولية التى كانت قائمة بين مصر وفلســـطين ابان الانتداب البريطانى ، واتمام الانسحاب الاسرائيلى من سيناء فيما بين عامين وثلاثة أعـــوام ، وان تستخدم مصر المطارات الجوية التى يخليها الاسرائيليون قرب العريش وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط .

ويلاحظ طول مدة الانسحاب حيث طلبت اسرائيل وقتا طويلا حتى تبنى لها الولايات المتحدة مطارات بديلة فى صحراء النقب فضلا عن القيود المفروضة على استخدام المطارات وتمركز القوات المصرية فى سيناء ، فقد نصت الاتفاقية على تمركز فرقة ميكانيكية واحدة أو مشاة داخل المنطقـــة التى تبعد خمسين كيلومترا شرق قناة السويس وخليج السويس .

ثم مضـــت الاتفاقية الى أبعـــد من ذلك ، فقد قبل السادات تطبيع العلاقات بين البلدين دون انتظار الانسحاب الاسرائيلى الكامل ، أى أن الوثيقة الثانية ربطت بين الانسحاب الاسرائيلى من سيناء واقامة العلاقات

الطبيعية بين الدولتين . فقد نصت الوثيقة على انهبعد توقيع معاهدة السلام ، واثر اتمام الانسحاب المؤقت (بعد فترة تتراوح بين ٣ — ٩ اشهر من توقيع المعاهدة) تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل بما فى ذلك الاعتراف الكامل متضمنا علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية ، ورفع القيود على حرية انتقال البضائع والأشخاص .

واذا أمعنا النظر فى صيغة العلاقات الطبيعية لوجدناها تتقارب الى حد كبير مع الصيغة الاسرائيلية ، فضلاً عن الموافقة على المطلب الاسرائيلى بشأن مرحلية الانسحاب فترتبط بكل خطوة اجراءات بناء ثقة بين الطرفين للوصول الى علاقات طبيعية ترغب فيها اسرائيل .

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل (٢٦ مارس ١٩٧٩) :

تمت معاهدة السلام بين مصر واسرائيل بناء على اتفاقيتى كامب ديفيد ، حيث جاء فى الديباجة « ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة اسرائيل .... اذ تؤكدان من جديد التزامهما باطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد المؤرخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ... فقد اتفقتا على الأحكام التالية من أجل تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

وكانت المفاوضات قد دارت بين مصر واسرائيل باشتراك الولايات المتحدة ابتداء من أكتوبر ١٩٧٨ حتى تم توقيع المعاهدة فى واشنطن فى احتفال مهيب فى البيت الأبيض فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ . وقد اشتملت المعاهدة على تسع مواد وسبعة ملاحق ، وأهم هذه المواد هى :

المادة الأولى :

وهى تختص بانهاء حالة الحرب بين الطرفين ، وقيام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على المعاهدة ، كذلك انسحاب كافة القوات الاسرائيلية والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو وارد بالبروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن (الملحق ١) واستئناف مصر ممارسة سيادتها

الكاملة على سيناء . وعند اتمام الانسحاب المرحلى الى شرق خط العريش — رأس محمد ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما .

المادة الثانية :

وتنص على أن الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب .

المادة الثالثة :

وتتعلق بسيادة كل طرف على أراضيه وعدم اللجوء الى استخدام القوة ، والتعهد بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من افعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان ، كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

ويتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية .

المادة الرابعة :

وتتضمن نظام توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين على أساس اقامة ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضى المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبون من الأمم المتحدة .

المادة الخامسة :

وتشمل مرور سفن اسرائيل فى قناة السويس وداخلها من خليج السويس والبحر المتوسط ، واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول .

المادة السادسة :

وهى تحدد حقوق والتزامات الجانبين ، فتنص على أن المعاهدة لا تمس حقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ، وأن يتعهد الطرفان بأن ينفذا التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة ، وأن ينفذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف

التى يكونان من أطرافها . كما يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة . ويقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتهما الأخرى فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

أما عن الملاحق ، فيأتى فى مقـدمتها الملحق (١) وهو البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن ، وأهم ما جاء فى المـادة الأولى أن الانسحاب من سيناء يتم على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلى حتى شرق خط العريش/رأس محمد خـلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائى من سيناء فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على المعاهدة .

أما المادة الثانية فقد حددت الخطوط النهائية والمناطق كالآتى :

(أ) المنطقـة « أ » :

ويحدها من الشرق الخط « أ » ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس ، وتتمركز فى هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة ومنشآتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية . وتتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

١ ــ ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية .

٢ ــ لواء مدرع واحـد .

٣ ــ سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية .

٤ ــ سبع كتائب مدفعية مضـادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض/جـو وحتى ١٢٦ مدفعا مضادا للطائرات عيار ٣٧ مم فأكثر .

٥ ــ حتى ٢٣٠ دبابة .

٦ ــ اجمالى حتى ٢٢ الف فرد .

(ب) — المنطقة ((ب)) :

يحدها من الشرق الخط « ب » ومن الغرب الخط « أ » ، وتوفر الأمن فيها وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة تعاون الشرطة المدنية فى المحافظة على النظام .

وتتكون قوة الحدود من ٤٠٠٠ فرد .

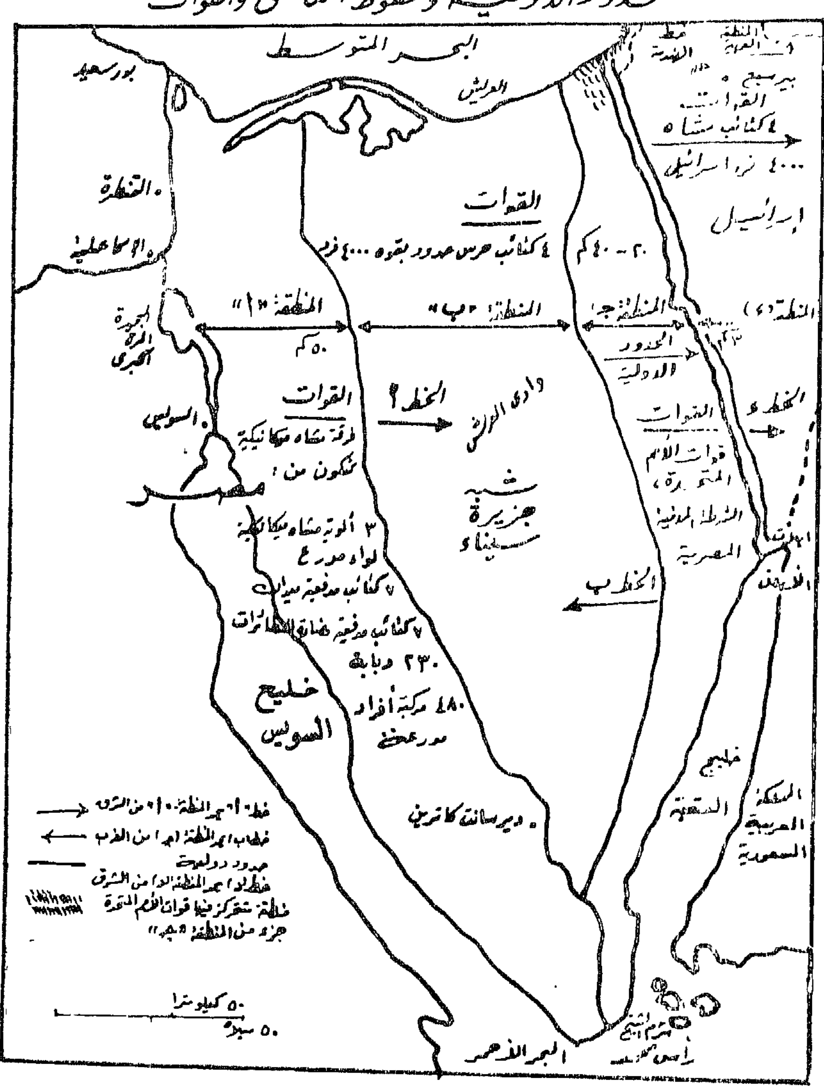
(جـ) — المنطقة ((جـ)) :

يحدها من الغرب الخط « ب » ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة ، وتتمركز فيها قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط ، كما تتمركز قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ .

المنطقة ((د)) :

يحدها من الشرق الخط « د » ومن الغرب الحدود الدولية . تتمركز فيها قوة اسرائيلية محدودها من أربع كتائب مشاه ، ومنشآتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية . ويبلغ اجمالى القوة حتى ٤٠٠٠ فرد ، ليس معهم دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ فردية أرض/جو .

وقد حددت المادة الثالثة نظام الطيران العسكرى ، فنصت على ان تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع لمصر واسرائيل فوق المنطقتين « أ » و « د » فحسب ، كل فى منطقته . كما تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيل فى المنطقتين « أ » و « د » فقط كل فى منطقته . فى حين حددت المادة الرابعة ، النظام البحرى العسكرى ، فقررت أنه يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمركز على سواحل المنطقتين « أ » و « د » كل فى منطقته . أما المادة الخامسة ، فقد حددت نظام الانذار المبكر ، بأنه يمكن لكل من مصر واسرائيل انشاء وتشغيل نظم انذار مبكر فى المنطقتين « أ » ، « د » كل فى منطقته .



الحدود الدولية وخطوط المناطق والقوات
البحر المتوسط
بورسعيد
العريش
القنطرة
الإسماعيلية
البحيرة المرة الكبرى
السويس
مصر
القوات
٤ كتائب حرس حدود بقوة ٤٠٠٠ فرد
٣٠ - ٤٠ كم
إسرائيل
بيرسبع
القوات
٤ كتائب مشاة
٤٠٠٠ فرد اسرائيلي
المنطقة «أ»
المنطقة «ب»
المنطقة «جـ»
المنطقة «د»
٥٠ كم
الحدود الدولية
القوات
فرقة مشاة ميكانيكية تتكون من :
٣ ألوية مشاة ميكانيكية
لواء مدرع
٧ كتائب مدفعية ميدان
٧ كتائب مدفعية مضادة للطائرات
٢٣٠ دبابة
٤٨٠ مركبة أفراد مدرعة
الخط أ
الخط ب
وادي العريش
شبه جزيرة سيناء
القوات
قوات الأمم المتحدة
الشرطة المدنية المصرية
خليج السويس
دير سانت كاترين
خليج العقبة
المملكة العربية السعودية
شرم الشيخ
رأس نصراني
البحر الأحمر
خط «أ» حد المنطقة «أ» من الشرق
خط «ب» حد المنطقة «جـ» من الغرب
حدود دولية
منطقة تتمركز فيها قوات الأمم المتحدة جزء من المنطقة «جـ»
٥٠ كيلومترا
٥٠ ميلا

تحليل معاهدة السلام المصرية ــ الاسرائيلية :

ربطت معاهدة السلام المصرية ــ الاسرائيلية بين عملية الانسحاب والتطبيع الكامل للعلاقات بين مصر واسرائيل عند اتمام الانسحاب المرحلى المنصوص عليه فى الملحق الأول ، وليس الانسحاب الكامل من سيناء . ويدور المفهوم الاسرائيلى لتطبيع العلاقات مع مصر حول قول اسحق لافون رئيس اسرائيل السابق « ان مقابل تنازلنا عن الثروات المادية فى سيناء يجب أن يكون ترجمة معاهدة السلام الى علاقات فعلية » . وطبقا لهذا المفهوم ، فان القيادة الاسرائيلية تعتبر التطبيع الكامل للعلاقات مع مصر ، ثمن انسحابها من سيناء . وبالتالى لم تصبح قضية الانسحاب فى مفهوم المعاهدة مرتبطة بالقاعدة القانونية الدولية التى تقضى بعدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة المسلحة . كما أن القبول بتطبيع العلاقات مع اسرائيل يتجاوز نصوص القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ؛ لأن هذا القرار لم يتضمن أكثر من انهاء حالة الحرب والاعتراف القانونى ، اذ أن مسألة التطبيع أمر وثيق الصلة بسيادة الدولة وحدها .

ان قبول مصر انهاء حالة الحرب بمجرد تبادل وثائق التصديق على المعاهدة ودون الربط بين سريان مفعول انهاء حالة الحرب والانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء ، يعنى تنازل مصر عن حقها المعترف به دوليا فى الدفاع الشرعى عن سلامة أراضيها الذى نشأ عن عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ . والانتظار لمدة ثلاث سنوات حتى تفى اسرائيل بالانسحاب(١) .

وبمقتضى المعاهدة ، أصبح التطبيع فى نهاية المطاف ، مرتبطا باجراءات الانسحاب الاسرائيلى من سيناء ، بحيث يبدأ والقوات الاسرائيلية مازالت تحتل الأراضى المصرية شرق خط العريش ــ رأس محمد .

كما أن التطبيع اتسع ليشمل مختلف مجالات العلاقات تقريبا ، وهو بذلك يشكل عملية متكاملة تهدف الى تحقيق مبادىء عامة مثل التنمية والرخاء والتعاون المتبادل . فالسلام فى مفهوم اسرائيل لا يعنى مجرد

---

(١) عصمت سيف الدولة : هذه المعاهدة : رسالة الى مجلس الشعب المصرى حول معاهدة كامب ديفيد ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٧٩ ، ص ٧١ .

انهاء حالة الحــرب ، وانما يعنى علاقات كاملة وودية وتعاونا اقليميا فى شتى مجالات التنمية(١) .

وقد استطاعت اسرائيل أن تحصل على عدة تفضيلات ، سياحية فى سانت كاترين ، وتجارية فى البترول المصرى فى سيناء ، بالاضـــافة الى تفضيلات خاصة برحلات طيران شركة العال الاسرائيلية الى القاهرة(٢) .

واذا تركنا قضـــية التطبيع جانبا ، لارتســـمت أمامنا القيود التى فرضتها المعاهدة على حرية مصر فى ممارسة السيادة الكاملة على سيناء بعد انسحاب القوات الاسرائيلية ، اذ حددت المعاهدة القوة العسكرية المصرية التى تتمركز فى المنطقة « أ » ولا تتجاوزها ، كما ألزمت مصر بعدم انشاء مطارات حربية أو موانىء عسكرية فى سيناء ، وعــدم استخدام الأسطول المصرى للموانىء الموجودة بها فعلا .

كذلك فرضت المعاهدة قيودا تلزم الحكومة المصرية « بالامتناع عن التنظيم أو التحريض ، أو الاثارة ، أو المساعدة ، أو الاشتراك فى فعل من افعال الحرب ، أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو افعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان . كما تتعهد بأن تكفل تقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة » . كما نصت الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من البروتوكول على أن « يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم والتسامح ، ومنع كل طرق الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر » .

ولا شك أن تعبير « الدعاية المعادية » الذى ورد بالبروتوكول يتسع لتقييـــد حـــرية الفكر والعقيـــدة وكل ما يتعلق بالنظرة الأيديولوجية أو السياسية تجاه اسرائيل والصهيونية .

أما عن علاقات مصر بالعالم العـــربى ، فيمكن القول ان المعاهدة حطمت التزامات مصر العربية ، فلم تترك المعـــاهدة بابا أمام مصر للوفاء بالتزامات سابقة مع أطراف أخرى . كما تجبر المعاهدة مصر على عـــدم الدخول فى التزامات فى المستقبل تتعارض مع الالتزامات الواردة فى هـــذه المعاهدة ، وفى حالة تعارض الالتزامات السابقة لأى طرف مع الالتزامات

---

(١) ابراهيم نوار : السياسة الدولية ، العدد ٦٥ يوليو ١٩٨١ ، ص ص ٧٨ — ٩ .
(٢) نفس المصـــدر ، ص ٨٠ .

الناشئة عن هذه المعاهدة ، فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة . ويعنى هـذا عند تحليل المـادة السادسة من معاهـدة السـلام الزام مصر بنقض التزاماتها السـابقة حيال الدول العربية ، لأن معظم هذه الالتزامات خاص بدور مصر فى مناهضة الصهيونية ومقاومتها بشتى الوسائل .

كما أن مصر لم تحصل من اسرائيل على أى التزام بسلوك محـدد تجاه البلاد العربية فى مقابل اعتراف مصر بها والتزامها بعدم اللجوء الى القوة لحل الخلافات التى تنشأ بينهما والتطبيع الكامل للعلاقات .

وجدير بالذكر أن المعاهدة أسندت الى الولايات المتحـدة الأمريكية دورا تنفيذيا محددا ، فالولايات المتحدة وحدها دون غيرها هى التى تقوم بعمليات الاستطلاع الجوى للاشراف على الانسحاب ، وهى أيضا التى تقوم بتشكيل « قوات الأمن » فى حالة فشل الأمم المتحدة ومجلس الأمن فى تشكيل مثل هذه القوات . ويتضح من ذلك أن دور الأمم المتحدة قد أسند الى الولايات المتحدة . ولما كانت هذه القوات لا يمكن سحبها الا بموافقة الطرفين فقد تحولت فى واقع الأمر الى قوات احتلال دائم تابعة للولايات المتحدة الأمريكية . وليس بخاف على أحد دور الولايات المتحـدة المنحاز الى اسرائيل .

كما أضفت المعاهدة على الولايات المتحدة صفة الحارس الوحيـد والضامن لقيام الأطراف المعنية بتنفيذ الالتزامات الواردة فى المعاهدة حيث ذكر خطـاب « الالتزامات الأمريكية تجـاه الطرفين » الموجه الى كل من الرئيس المصرى ورئيس الوزراء الاسرائيلى ، والذى يعتبر جـزءا من المعاهدة المصرية الاسرائيلية « انه فى حالة حدوث خرق أو تهديد بخـرق لمعاهدة السـلام بين مصر واسرائيل ، فان الولايات المتحدة ستقوم بناء على طلب أحد الطرفين او كليهما بالتشاور معهما فى هذا الشأن ، وستتخذ الاجراءات الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة » .

وقد اعتبر الدكتور مصطفى خليل ، رئيس وزراء مصر حينذاك ، أن « مذكرة الاتفاق بين حكومة الولايات المتحدة ودولة اسرائيل بشأن ضمانات

تنفيذ المعاهدة » التى وقعت بينهما قبل التوقيع على معاهـــدة الســـلام المصرية الاسرائيلية ، كانت « مفاجأة كبرى » له وذلك طبقا لمـــا جـــاء فى خطابه الذى أرسله الى فانس وزير خارجية الولايات المتحدة فى ٢٥ مارس ١٩٧٩ ، « كما أنها تفترض الشـــك فى التزام مصر بتعهداتها » وفيهـــا « تقرر الولايات المحدة لنفسها دور الحكم » . وقـــد رفض رئيس وزراء مصر هذه المذكرة التى اعتبرها « موجهة ضد مصر » ، وقد عدد فى خطابه الى سيروس فانس أســـباب الرفض وأهم هـــذه الأسباب أنها « تخول للولايات المتحدة حقوقا لم يتم التفاوض بشأنها .. » وأنها تعطى الولايات سلطة اتخاذ دابير عقابية كما تعطيها الحق فى فرض وجودها العسكرى فى المنطقة لأسباب متفق عليها بينها وبين اسرائيل .

آثار اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية :

احداث صدع عميق فى صرح العلاقات العربية والتضامن العربى :

بتوقيع مصر معاهدة الســـلام مع اسرائيل فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، اجتمعت كلمة الدول العربية فيما عدا سلطنة عمان على رفض منهج مصر فى تســـوية الصراع العـــربى الاسرائيلى ، الا أن العرب لم يتفقوا على استراتيجية محددة المعالم تجاه الصراع مع اسرائيل ، بينما ظلت عـــوامل التمزق تنهش الجسد العربى . وقد اعتبرت معظم الدول العربية مجرد التفاوض مع اسرائيل خروجا على الاجماع العربى ، حيث تعتبر القضية الفلسطينية وعلاقة أى بلد عربى باسرائيل هما من قبيل القضية القومية التى لا يجوز لأى بلد عربى أن يتصرف فيها على نحو منفرد ، وخروج مصر على هذا الاجماع يضر بالوطن العربى ومصالحه . وقد ترتب على معاهدة السلام أيضا تحطيم التزامات مصر العربيـــة على النحو الوارد بالمـــادة السادسة من معاهدة السلام .

ولمـــا كانت مصر لم تحصل من اسرائيل على أى التزام بسلوك محدد تجـــاه البلاد العربية فى مقابل اعتراف مصر بها وتطبيع العلاقات الكاملة معها ، فقد نجحت اسرائيل فى الفصل بين ما يجرى على الجبهة المصرية وما يجرى على الجبهات الأخرى .

وبخروج مصر من حلبة الصراع ، فقد اصبح الجو مهيأ لتفتيت العالم العربى والسيطرة عليه اقتصاديا وعسكريا . أما على صعيد كتلة عدم الانحياز فقد ضعفت قدرة مصر على التأثير فيها اذا ما قورنت بفترة الخمسينيات .

زيادة التطرف والعربدة الاسرائيلية فى منطقة الشرق الأوسط :

بعد أن تمكنت اسرائيل من اخراج مصر من الصراع العربى الاسرائيلى ، بدأت تصول فى المنطقة العربية وتصرح علنا بأهدافها المتعارضة مع معاهدة السلام . ففى مايو عام ١٩٨١ ، وقف مناحم بيجين فى الضفة الغربية يقول « أنا مناحم بن زيف وحنا (اسم امه) بيجين اقسم امامكم بأنه طالما أننى أخدم هذه الأمة كرئيس لوزرائها ، فانى اتعهد امامكم باننا سوف لا ننسحب من اى شبر من يهودا والسامرة وقطاع غزة والجولان » . وفى ٣٠ يوليو سنة ١٩٨٠ ، ضمت اسرائيل القدس الشرقية واتخذت من مدينة القدس الموحدة عاصمة لها .

وفى عام ١٩٨١ ، دمرت اسرائيل المفاعل النووى العراقى ، كما ضمت مرتفعات الجولان فى ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، واستمرت فى تكثيف المستعمرات فى الأراضى العربية المحتلة فى الضفة الغربية والجولان . واخيرا نفذت اسرائيل غارة جوية وحشية فى اول اكتوبر ١٩٨٥ على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى حمام الشط فى ضواحى تونس .

ومما يسترعى الانتباه أن الوثائق الأمريكية الرسمية التى تعلن فى اعقاب كل عدوان اسرائيلى ، تكشف عن ان الولايات المتحدة اطلعت على الخطط العدوانية وناقشتها ووافقت عليها وسمحت بتنفيذها . حدث ذلك بالنسبة لعدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ ، وبالنسبة لغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ، بل أن الولايات المتحدة جندت خبراءها لمعاونة الفريق الاسرائيلى ، الذى كلف بتنفيذ الغارة على المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١ ، على حل كثير من المشاكل الفنية التى كانت تعترض التنفيذ .

الغــزو الاسرائيلى للبنان :

لما كانت اسرائيل قد ضمت الجولان دون أن يترتب على تصرفها رد فعل عربى موحد وحاسم ، فقــد توفر لديها اقتناع تام بأنها فى مركز قوة يؤهلها لانجاز مخططاتها الرامية الى غزو جنوب لبنان . وقامت اسرائيل فى يونية سنة ١٩٨٢ بغزو لبنان بهدف تصفية منظمة التحرير الفلسطينية سياسيا وعسكريا ، كما أعلن مناحم بيجين أن عملية سلام الجليل كانت ضرورية لازالة رواسب مريرة علقت بنفوس الاسرائيليون نتيجة حــرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وعلى المســتوى الاقليمى ، فلم يكن العالم العربى اضعف أو أكثر انقساما على نفسه فى أى وقت مضى كما كان عليه عند وقوع الغــزو الاسرائيلى . فعزلة مصر عن العالم العربى بعد توقيعها اتفاقيتى كامب ديفيد ، حرم هذا العالم من اقوى نصير ومؤيد على المستويين السياسى والعسكرى . كذلك هدف الغزو الاسرائيلى الى ارغام لبنان على ابرام اتفاق سلام مع اسرائيل على غرار اتفاقيتى كامب ديفيد وهو ما تحقق لها بالفعل فى ١٧ مايو سنة ١٩٨٣ وان تنصلت منه لبنان فيما بعد .

الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط :

فى غيــاب الاتحاد السوفييتى عن المشاركة فى حيـل قضية الشرق الأوسط وانفراد الولايات المتحدة بالحل ، فقد الشرق الأوســط التوازن الذى كان قائما ودخلت مصر فى دائرة الهيمنة الأمريكية على الشــــرق الأوسط وتخلت عن مبدأ عدم الانحيــاز ، واغضبت الاتحاد الســوفييتى لتجاهله ثم كان مشروع ريجان الذى يدعو الى حكم ذاتى بالاتفاق مع الأردن مما يعتبر تحولا أمريكيا عن خطة كامب ديفيد .

والولايات المتحدة ـــ بمعاونة اسرائيل ـــ تسعى الى شرذمة الشرق الأوســــط وتشــــتيته واعادة صـــياغة انتماءاته عن طريق اذكاء نار النزاعات الطائفية والدينية والعراقية ودعوة بعض الدول العربيـــة التي لها أوضاع مميزة ومصالح مشتركة مع الغرب الى الابتعاد تدريجيا عن

هموم الوطن العربى بحجة حمايتها من الصراع الرئيسى الدائر ، مع العمل على شغل مصر عن دورها العربى بتلهيتها بدور أفريقى خالص وشد نظرها الى الجنوب حيث منابع النيل .

اتفاق التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل :

ادى التناسق فى المصالح بين الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية الى ابرام اتفاق التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل فى أعقاب مباحثات ريجان واسحق شامير فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٨٣ . وينص الاتفاق الاستراتيجى صراحة على قيام تحالف عسكرى وثيق بين طرفيه من خلال اجراء تدريبات ، فضلا عن التعاون والتنسيق بين المخابرات المركزية الأمريكية ونظيرتها الاسرائيلية ، الى جانب رفع نسبة مشتريات القوات الأمريكية من الانتاج الحربى الاسرائيلى مع حق استخدام القوات الأمريكية للقواعد العسكرية الاسرائيلية(١) .

ولا يقتصر التعاون الاستراتيجى على الجانب العسكرى وحده ، انما يتعداه الى الجانبين الاقتصادى والعلمى ايضا ، حيث ينص الاتفاق على تقديم دعم اقتصادى غير محدود الى اسرائيل .

وقد كانت هناك مجموعة من العوامل التى ساعدت على افراز هذا الاتفاق أهمها حالة الانقسام المخزى والصمت واللامبالاة السائدة فى العالم العربى ، والتى تمثلت فى عدم حدوث ردود فعل عربية مؤثرة وايجابية ضد الاتفاق من شأنها الاضرار بالمصالح الأمريكية فى المنطقة . فلم تكن أمريكا لتخرج علنا باتفاق متين مع اسرائيل لو انها كانت تخشى أن تضار مصالحها فى البلاد العربية أو كان للعرب بقية من قوة .

ثم ابرم بين البلدين فى ابريل عام ١٩٨٥ ، اتفاق انشاء المنطقة الحرة، كاتفاق مكمل ومنفذ لاتفاق التعاون الاستراتيجى ، وتلته بعض الاتفاقات الأخرى المكملة لهما ، التى انتقلت بالعلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل

---

(١) The Guardian 6th December 1983.

الى مرحلة متقدمة تتمثل فى مشاركة الولايات المتحدة الدائمة فى اعادة صياغة الاقتصاد الاسرائيلى وتقديم كل سبل الحياة له ، من تعاون علمى ورؤوس أموال وتكامل انتاجى وتكنولوجى وأسواق لكى تصبح اسرائيل قاعدة مشتركة تنطلق منها لغزو أسواق البلاد العربية ، كما يجرى الاعداد لادماج الاقتصاد الاسرائيلى بمحيطه العربى . وتعتبر اسرائيل الدولة الأولى التى توقع مع الولايات المتحدة مثل هذا الاتفاق ، الذي تستأثر بمقتضاه بعشرين بالمئة من التجارة الخارجية لاسرائيل .

تحقيق المصالح الاسرائيلية فى المنطقة العربية :

يرتكز تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل من وجهة النظر الإسرائيلية على عدد من المحاور المؤثرة فى مستقبل الوجود الاسرائيلى أهمها : توفير مزيد من الاستقرار الأمنى ، وخفض الانفاق العسكرى ، وتوسيع السوق الخارجية وتعويض فقر الموارد .

فلا ريب أن توفير الاستقرار الأمنى على جبهة مصر يشجع على بقاء الاسرائيليين ويجذب مزيدا من المهاجرين الى اسرائيل ، كما يؤدى خفض الانفاق العسكرى الى خفض معدل التضخم وتقليص نسبة الاعتماد على المعونات والمساعدات الخارجية ، مما ينجم عنه زيادة معدل النمو وتحقيق الرفاهية الاقتصادية ، بالاضافة الى فتح أسواق مصر أمام المنتجات الاسرائيلية وتطلع اسرائيل الى مد نشاطها الى أفريقيا وعمق العالم العربى .

ويرتبط النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى مصر برغبة اسرائيل المحمومة فى تعويض نقص بعض مواردها عن طريق نقل تلك الموارد المتوافرة فى مصر وأهمها البترول .

ومن هنا يتضح أن التطبيع يعكس حاجة اسرائيل الى تطوير المجتمع، الذى يعانى أزمة اقتصادية خانقة وضيق السوق الداخلية وزيادة معدل الهجرة المضادة .

ولا شك أن تحقيق المصالح الاسرائيلية يفضى الى الاحتفاظ بحجم

السكان الحالى وزيادته ، وبالتالى يؤدى الى تثبيت ودعم الكيان الاسرائيلى . وقد ساعدت الحكومة المصرية على دفع عجلة التطبيع بسرعة فائقة الى الأمام ، فالواقع يقول « ان حصاد التطبيع خلال عام ١٩٨٠ يفوق كل ما كان يمكن تصوره فى مجال بناء علاقات جديدة بين دولتين كانتا فى حالة حرب لمدة تزيد على ثلاثين عاما(١) . والدليل على ذلك ، الحصاد الاسرائيلى للتطبيع خلال العام الأول ، فقد اصبحت لاسرائيل سفارة وتمكن السفير الاسرائيلى خلال ذلك العام من مقابلة رئيس الجمهورية ثمان مرات ، واستطاعت عدة شركات اسرائيلية فتح مكاتب لها فى القاهرة . وقد صدرت اسرائيل مباشرة سلعا الى مصر تجاوزت قيمتها مليون دولار ، فضلا عن صادراتها الى مصر — عن طريق طرف ثالث — التى بلغت نحو عشرين مليون دولار ، كما ناهزت قيمة الواردت البترولية الأسرائيلية من مصر ٤٩٠ مليون دولار . وقبل أن ينصرم العام الأول للتطبيع ، توافد الى مصر اكثر من عشرين الف اسرائيلى ، وانتظمت خطوط مواصلات برية وبحرية وجوية بين الدولتين وربطت بينهما اتصالات سلكية ولاسلكية وبريدية . وقد اصبحت اسرائيل — بهذه الانجازات — تمثل مكانة خاصة فى العلاقات مع مصر مقارنة بعلاقات مصر العربية .

« لقد تجاوزت اسرائيل مرحلة العلاقات مع العرب عن طريق الجسور المفتوحة ... فعلاقاتها مع مصر تضمن وجودا شرعيا فعليا فى المحيط العربى الذى تتعامل معه مصر »(٢) .

انتهاء المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر :

بدأ انحسار المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر اثر توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية فى سيناء فى سبتمبر ١٩٧٥ ، اذ ورد بالمادة السابعة بها انه « سيسمح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل ومنها بالمرور فى قناة السويس » .

---

(١) ابراهيم نوار ، المصدر السابق ، ص ص ٨٠ — ٨١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٨١ .

ثم جسمت اتفاقيتا كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الأمر وقضت بانتهاء المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر ، فقد ورد بالإتفاقية الثانية ما يلى :

وقد وافق الطرفان على المسائل التالية :

(د) حق المرور الحر للسفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تطبق على جميع الدول وتعتبر مضايق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على أن تفتح أمام كافة الدول للملاحة أو الطيران دون اعاقة أو تعطيل » .

— تتمركز قوات الأمم المتحدة فى المناطق التالية :

(ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران ولا يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على مثل هذا الابعاد الا باجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين » .

كما جاءت المادة الخامسة من معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية لتؤكد ما تضمنته اتفاقية كامب ديفيد الثانية حيث نصت على ما يأتى :

١ — « تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشئون المتعلقة باستخدام القناة

٢ — يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى . كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من والى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة » .

وهكذا انهت اتفاقيتا كامب ديفيد ومعاهدة السلام المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر كما حرمت مصر من الوجود العسكرى لها فى منطقة خليج العقبة كلها طبقا للمادة الثانة من الملحق الأول من البرتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد صدرت تصريحات كبار المسئولين تؤكد التزامات مصر العربية . فها هو ذا الدكتور مصطفى خليل يؤكد قبل توقيع المعاهدة بثلاثة أيام « أن التزام مصر قائم تجاه الدول العربية طبقـــا لاتفاقية الدفاع المشترك »(١) .

ويؤكد الدكتور بطرس غالى بطريقة حاسمة « أنه اذا حدث أى اعتداء على أية دولة عربية فان للالتزامات العربية الأولوية على هذه الاتفاقيـــة وعلى أية التزامات أخرى »(٢) .

ثم صدر تصريح من اللجنة المنبثقة عن مجلس الشـــعب يؤكد « ان التزام مصر قائم تجاه الدول العربية طبقا لاتفاقية الدفاع المشترك ، وان مصر ستقف الى جانب الدول العربية المعتدى عليها »(٣) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد جاءت مذكرات محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية الأســـبق والصـــديق الشخصى للسادات ، تدين ســـلوك السادات وتقرر أن عملية التسوية مع اسرائيل انما تعبر عن ارادة فـــرد أوحد هو السادات . ويقول محمد ابراهيم كامل فى مذكراته « لقد استسلم السادات للرئيس كارتر تماما ، الذى استسلم بدوره لمناحم بيجين ، وأن أية اتفاقية ســـتبرم فى نهاية الأمر ستكون كارثة على مصر وعلى الشـــعب الفلسطينى وعلى الأمة العربية جميعا »(٤) .

---

(١) الأهرام ، ١٩٧٩/٣/٢٢ .
(٢) نفس المصـــدر .
(٣) مضبطة الجلسة ٥٩ لمجلس الشعب ، ١٩٧٩/٤/٦ ، ص ١١ .
(٤) محمد ابراهيم كامل « مذكرات محمد ابراهيم كامل » ، الحلقة ٣٣ ، الشرق الأوسط (باريس) ١٩٨٣/١/٢٠ .

ولكن بمرور الوقت تتضح الحقيقة وتنهار الأسس التى بنى عليها الشعب اقتناعه ، والرخاء الموعود لا يجىء والأوضاع الاقتصادية المتردية تتفاقم ، ورائحة الفساد تفوح فى كل مكان . ثم تنسخ الممارسات الاسرائيلية التفسيرات الرسمية للمعاهدة ، فاسرائيل تكثف مستعمراتها فى الضفة الغربية والجولان وغزة ، وتدمر المفاعل النووى العراقى ، وتضم الجولان بعد ما ضمت القدس الشرقية ، وتخفق مفاوضات الحكم الذاتى بينما عملية تطبيع العلاقات تجرى على قدم وساق .

ثم أخذت المعارضة تشتد فى مواجهة سياسة السادات حتى حلت القطيعة الكاملة بينه وبين قوى المعارضة فى سبتمبر سنة ١٩٨١ ، وزج السادات بقيادات هذه القوى فى السجون . ثم أخذ الرد شكل العنف ، الذى بلغ ذروته فى حادث المنصة يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ .

الخاتمة

عجزت الأنظمة العربية الحاكمة عن مواجهة تحديات العصر الداخلية والخارجية . وقد تشعب هذا العجز فى المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والحضارية والديمقراطية ، بالاضافة الى العجز المخزى تجاه اسرائيل .

ان هذا العجز المتعدد ، كان ومازال يشل فعاليات الشعوب العربية فى مجابهة تحديات الحاضر بكفاءة واقتدار . وفى ظل العجز العربى اغتصبت الصهيونية فلسطين ، ثم أخذت فى التوسع التدريجى فى الأرض العربية طبقا لخطة مدروسة .

وقد بلغ العجز العربى مداه فى يونيو ١٩٦٧ ، حيث أخفقت القيادات العربية فى ادارة الصراع مع اسرائيل ، وسقطت سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ثمرة ناضجة فى أيدى القوات الاسرائيلية .

وقد أظهرت حرب يونيو ١٩٦٧ أن التصدى للمشاكل فى هذا العصر المتطور يحتم أن تكون القرارات فيه نتيجة دراسات عميقة تنهض على البحث العلمى والدراسة الجماعية فى اطار تضامن القوى العربية .

وقد شهدت الأعوام الثلاثة الأولى من السبعينيات تطورا هاما فى نظام العلاقات العربية ، أدى الى قيام تحالف مصرى — سورى — سعودى ، يستطيع أن يخوض مواجهة ناجحة مع اسرائيل . وقد نجح هذا التحالف ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى أن يجمع حوله معظم الدول العربية فى تضامن غير مسبوق فى العصر الحديث .

الا أن شمس التضامن العربى آذنت بالمغيب ، فقد بدأ الصراع بعد أقل من شهرين من نهاية حرب أكتوبر . وكانت أولى بوادره ، الخلاف المصرى السورى حول خطوات التسوية السلمية . وقد اشتد هذا الخلاف بعد توقيع مصر اتفاقية فك الاشتباك الثانية مع اسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ .

واذا كان مؤتمر قمة الرياض السداسي المنعقد فى الفترة من ١٦ــ١٨ أكتوبر ١٩٧٦ ، قد نجح فى رأب صدع التضامن العربى ، فان صرح التضامن لم يستطع الصمود أمام اعصار مبادرة السلام المصرية فى نوفمبر ١٩٧٧ .

وبتوقيع مصر اتفاقيتى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ ، واعلان معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى مارس ١٩٧٩ ، تقوض صرح التضامن العربى ، وعزلت مصر عن دورها القيادى للدول العربية ، وغاب الحد الأدنى من الاتفاق على الهدف القومى العربى ، وأخذت اسرائيل تعربد فى المنطقة العربية بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية التى أسرفت فى الاستهانة بالأمة العربية .

وقد جاء الرفض العربى للنهج المصرى فى حل الصراع مع اسرائيل من مبدأ يعتبر القضية الفلسطينية محور الصراع العربى الاسرائيلى ، وأنه لا يجوز لأية دولة عربية ابرام اتفاقية سلام منفرد مع اسرائيل دون ضمان تسوية عادلة للقضية الفلسطينية .

غير أن معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية لن تنهى الصراع العربى الاسرائيلى ، وان تحقق السلام فى منطقة الشرق الأوسط فى ظل الأهداف الاسرائيلية التوسعية وتصاعد نزعة التطرف عند الدولة اليهودية ، وتزايد سطوة الولايات المتحدة ، وتفاقم العجز العربى .

أهم المصـــــادر

اولا ـــ المصـــادر العربيـــة :

١ ـــ وثائق رســـمية :

ـــ عبد المجيــد فريد : من محاضر اجتماعات عبــد الناصر العربية والدولية ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٠ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ـــ وثائق عبــد الناصر : ينــاير ١٩٦٧ ـــ ديســـمبر ١٩٦٨ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

٢ ـــ مذكــرات شـــخصية :

ـــ البغدادى ، عبــد اللطيف : مذكرات عبــد اللطيف البغدادى ، جزءان ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٧ .

ـــ ديان ، موشى ، قصة حياتى ، القســـم الثـــانى ، الهيئة العـــامة للاستعلامات ، القاهرة .

ـــ ســـيد مرعى ، اوراق ســـياسية ، ثلاثة اجزاء ، المكتب المصرى الحديث ، سنة ١٩٧٨ .

ـــ الشاذلى ، الفريق سعد الدين : حرب اكتوبر ، منشورات الوطن العربى للطباعة ، باريس ، ١٩٨٠ .

ـــ فانس ، سايروس : مذكرات سايروس فانس ، خيارات صعبة ، المركز العربى للمعلومات ، بيروت ، ١٩٨٣ .

ـــ فهمى ، اسماعيل : التفاوض من اجل السلام فى الشرق الأوسط بالتيمور ، ميريلاند ، ١٩٨٣ .

ـــ كارتر ، جيمى : الحفاظ على العهد ، مذكرات رئيس ، نيويورك ، ١٩٨٢ .

ـــ كامل ، محمد ابراهيم : السلام الضائع فى اتفاقيات كامب ديفيد ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، آيار ، ١٩٨٤ .

— كوانت ، وليم : أمريكا والعرب واسرائيل ، عشر سنوات حاسمة ، ١٩٦٧ — ١٩٧٧ ، ترجمة عبد العظيم حماد ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

— محمد فوزى ، الفريق أول : حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، مذكرات الفريق أول محمد فوزى ، الطبعة الثالثة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٤ .

— محمود رياض : مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ — ١٩٧٨ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣ — مـراجع عربيـــة :

— ايتان هابر وآخران ، حـدث فى كامب ديفيد ، كتاب الأهالى رقم ١٠ ، ترجمة وتوثيق ابراهيم منصور لكتاب : The Year of the Dove

— باليت ، الجنرال د . ك : الحـرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، العودة الى سيناء ، ترجمة طـلال الكيالى ، بيروت ، المؤسسة العربيـة للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ .

— الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : وقائع وتفاعلات ، بيروت : سلسلة كتب فلسطينية ٥٩ ، أكتوبر ١٩٧٤ .

— حسن البدرى ، اللواء وآخران : حرب رمضان ، الجولة العربيـة الاسرائيلية الرابعة ، أكتوبر ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

— حسن نافعة ، الدكتور ، مصر والصراع العربى الاسرائيلى ، من الصراع المحتوم الى التسوية المستحيلة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

— صلاح العقاد ، الدكتور ، السادات وكامب ديفيد ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

— عبد العظيم رمضان ، الدكتور ، حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

د . ــ عصمت سيف الدولة ، الدكتور ، هــذه المعاهــدة : رسالة الى مجلس الشعب المصرى حول معاهدة كامب ديفيد ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ــ الندوة الدولية لحرب اكتوبر ، القاهرة ٢٧ — ٣١ يكتوبر ١٩٧٥ ، مجلدان ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

ــ هيكل ، محمد حسنين : خريف الغضــب ، الطبعــة الرابعة ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٤ ــ دوريـــــات :

مجلة السايسة الدولية الصادرة عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة فى الأعوام من ١٩٧٣ — ١٩٨٢ .

مجلة اكتوبر الصـــادرة عن دار المعارف بالقاهرة فى عـــام ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، الاعـــداد من ٥١٢ — ٥٣٦ .

ثانيــا ــ المصـــادر الأجنبيـــة :

— Ehaim Herzog : The Arab Israeli Wars, London, 1982.

— Kissinger Henry : White House Years, U.S.A. 1979.

— The Insight Team of the Sunday Times : Insight on the Middle East War, Times News Paper Limited, 1974,

— War of Attrition, 1969 — 1970, New York, Columbia University Press, 1980.

المحتـــويات

رقم الايـــداع ١٩٨٧/٢٩٥٩

دار عطـــوة للطباعة